

التعليم التقليدي للغات ، وفقا لهذا ، وفي الوقت الحاضر نجد أن ما يمكن قوله ، ولنا مبرر في ذلك ، حول التعليم التقليدي للغات هو أن أساليبه لم تعد مناسبة لمجموعة جديدة من المتطلبات والتوقعات .

غير أننا حين نتحدث عن السلوك المقبول وغير المقبول أو عن اللغة المناسبة أو غير المناسبة ، فإننا بذلك نتخذ رأيا في اللغة كعرف اجتماعي ، مجموعة من أساليب السلوك يضع المجتمع شروطها أو تحددها السمات الثقافية في ذلك المجتمع ، فغير الصحيح أو غير المناسب هو ، ببساطة ، ما لا يتوافق مع المعايير المشتركة لمجموعة معينة ، إذ أننا بتدريسنا للغات ، إنما نعد الطالب للمشاركة في مجموعة اجتماعية أخرى ، مجتمع لغوي آخر مفاهيم مجتمعه ، وليؤدي دورا في ذلك المجتمع ، واللغة غير المقبولة أو غير المناسبة تحول بين الطالب وبين التفاعل أو التخاطب بطريقة مرضية مع الآخرين من أعضاء ذلك المجتمع . إنه قد يفشل في تحقيق غاياته وقد يفشل في التخاطب أو قد يساء فهمه ، وقد يؤدي مشاعر الآخرين أو قد يجعل من نفسه مثارا للسخرية .

هذا ، ولا تتوافر نفس الأهداف الاجتماعية بالنسبة لجميع الطلبة فيما يتعلق بتعلم اللغات ، إذ أن نطاق الأدوار التي يودون تحقيقها سيكون مختلفا ، فقليل منهم يودون لو أصبحوا شعراء في المجتمع اللغوي الجديد ، والبعض الآخر قد يودون أن يصبحوا زوجات أو أزواجا ، ويقنع معظمهم بأن يصبحوا « أجانب » ، وعلى هذا فنعد تخطيط عمليات تعليم اللغات ، يجب علينا معرفة الأهداف الاجتماعية المتوخاة ، والأهداف الشخصية التي يود الطالب تحقيقها . وبمعنى آخر علينا أن نقرر أي « نوع » من اللغة نعلمه إياه ، فمفهوم « اللغة » أو « اللهجة » مفهوم اجتماعي وليس مفهوما « لغويا » ، فنحن نعلم لغة معينة وليس أية لغة كانت .

وربما كان أكثر الانتقادات التي توجه إلى التعليم التقليدي للغات اقتناعا ، باصراره على الصواب ، وتوابع النحو ، وأهدافه المحدودة ، هو انتقاره لهذا البعد الاجتماعي ، فقد افترض أن اللغة عبارة عن مفهوم لغوي ، ويبدو أنه — التعليم التقليدي للغات — لم يعبأ كثيرا بفكرة المواءمة ، وبالإسلوب القائل

هو تمكين الطالب المبتدئ من التصرف على نحو يجمل في استطاعته المشاركة ، بدرجة ما ولاغراض معينة ، كمراد في مجتمع غير مجتمعه ، وقد تختلف درجة رغبة أي طالب معين في المشاركة ، فقد ينشأ قراءة المؤلفات الفنية فحسب ، أو قد يرغب في الاشتغال بالوعظ في بلد أجنبي . وتتطلب درجات المشاركة المختلفة هذه مستويات مختلفة من المهارة في الأداء اللغوي ، وهي كذلك تنطوي على تقسيم السلوك اللغوي إلى أنواع مختلفة من المهارات ، أما من الناحية التقليدية فهذه الأنماط المختلفة مسميات مختلفة : الكتابة ، والكلام ، والإملاء ، والقراءة بصوت مرتفع وهلم جرا . ومثلها تختلف الأنواع المختلفة من الأداء اللغوي ، تختلف الآليات الكامنة وراءه ، وقد تكون موضع بحث (انظر الفصل السادس) ، فمن الواضح أن تعليم اللغات كان وما يزال يعد تنمية لمجموعة من مهارات الأداء في الطالب ، ودائما يعبر عن المناهج والجدول الزمنية من حيث المهارات التي يجري اكتسابها « اليوم سيكون لدينا درس في المطالعة ، وغدا درس في المحادثة » . وإذا تحدثنا في أية مناقشة حول تعليم اللغات عن تنمية المهارات من قبيل التحدث أو فهم الحديث ، فإننا بذلك نتبنى رأيا نفسانيا (سيكولوجيا) عن اللغة ، وتكون نظرتنا لها على أنها من أمور السلوك الفردي ، وسواء اعتبرنا هذا السلوك مجموعة من العادات أو الاستجابات الممكنة ، أو مجموعة من المعارف أو مجموعة من القواعد ، فإن ذلك يتوقف على الأهمية النفسانية (السيكولوجية) المعينة التي نوليها السلوك اللغوي للفردي وكيفية اكتساب ذلك السلوك . فمن شأن ذلك أن يحدد ، مثلا ، موقفنا من وظيفة التدريبات والفائدة منها ، واعطاء التفسيرات النحوية ، وقيمة التكرار والحفظ عن ظهر قلب ، وفائدة الإملاء ، وأهمية الاستماع فحسب ، وأي كان القرار الذي نتخذه في مجال الأساليب فإنه يعنى تبني رأي في اللغة كظاهرة لعلم النفس الفردي . وما ميز ما يسمى بالتعليم « التقليدي » للغات لم يكن كافيا من حيث امتقاره إلى وعى بالبعد النفسي للغة ، بل لأنه حد من نطاق السلوك أو المهارة المتوخاة ، ولكن ذلك ليس مبررا لتوجيه النقد للتعليم التقليدي للغات ، فالمهارات التي حاول ذلك التعليم تنميتها كانت ، إلى حد ما ، هي المهارات التي يفترض أن المجتمع اعتبرها مناسبة في ذلك الوقت ، وقد تحددت بعض أساليب

« نعم » من الناحية النفسية ، و « ربما » من الناحية اللغوية ، هذا ، ولا يبدو أن الغموض يكتنف تعليم النطق ، إذ بالرغم من أن كلا من العالم اللغوي ومعلم اللغة يمكنه قول الكثير حول نطق اللغة ، فإن مناقشة من هذا القبيل لم تثر حول « تعليم النطق » ، فهو يدرك بصفة عامة بمعناه النفساني محسب ، من حيث جعله الطالب يتصرف بأسلوب معين . كذلك فإن الغموض لا يعترى « تعليم المفردات » والسبب في ذلك جسد شائق إذ على العكس من « التحدث عن النحو أو النطق » ، فالتحدث عن المفردات شيء نستخدم قدرا كبيرا منه في محادثتنا اليومية ، فنحن عندما نصدر تعريفا من أى نوع ، فاننا « نتحدث عن » المفردات وهي تقريبا النوع الوحيد من « الحديث عن » المفردات الذى يمكن للمعلم العادى أدائه ، ويمكن للعالم اللغوي أن يفعل القليل ولكن بطريقة ليست أفضل ، « فالتحدث حول المفردات » أسلوب مقبول « لتعليم المفردات » ، كما أنه لم يكن مثارا للنقد مثلما كان الامر بالنسبة لتعليم النحو « بمعناه اللغوي » . وبالطبع ، ثمة سبل اضافية لتعليم المفردات مثلا ، بالاساليب الظاهرية التى لها مبررها الاكبر في علم النفس عنه في اللغويات .

وتتمثل الصلة الوثيقة بين الدراسة اللغوية وبين اللغة في تعليم اللغات في انها توفر اتسوعا مفصلة وشاملة من اللغة ، وما على المرء سوى أن يتخيل وضع الامور حين ينبغى عليه صياغة منهج لعملية تعليم اللغة بمعناها النفساني أى من حيث المهارات وانماط السلوك اللفظي الواجب تلقينها ، للتحقق من أن تلك هى أوضاع الامور ، وغالبا ما يصادف المرء خططا من هذا القبيل ، بالرغم من عدم اهليتها للمسمى « منهجا » ، فهى بطبيعتها تدخل في نطاق الاهداف العامة بمعنى « أنه يجب أن يكون في مقدور الطالب — عند نهاية المقرر — الكتابة بدون أخطاء نحوية كثيرة ، والتحدث بطلاقة مع أحد أبناء اللغة الاصليين كما يمكنه القراءة بسهولة ويسر في مؤلف غير فنى » ، وقد يبدو وضع منهج بالمعنى الاجتماعى امرا أكثر سهولة : « يجب أن يكون في مقدور الطالب شق طريقه كسائح في البلد الاجنبى ، وشراء التذاكر ، وحجز الحجرات في الفنادق ، والسؤال عن الطريق .. الخ

بان السلوك اللغوي ايجابى بالنسبة لمواقف اجتماعية مختلفة ، ومن المزايا الكبرى لتعليم اللغات في العصر الحديث انه يتناول اللغة تناولا أكثر اجتماعية ، وبأنه يعنى بمشاكل وظيفتها التخاطبية في المواقف الاجتماعية المختلفة ، ويتضح لنا ذلك في الاصرار على تقديم « عرض » اللغة في مواقف ، واستخدام المعينات السمعية والابصارية ، وفي التأكيد على الامثلة اللغوية « الطبيعية » فلم نعد نلاحظ عبارة « قلم عمى » أو « صعق البرق راكب الحصان » .

وارتباط الدراسة اللغوية باللغة من الوضوح بحيث لا يحتاج الى مزيد من مناقشة عند هذا الحد ، فتقسيم ما يجرى تعليمه الى نطق ، ومفردات ، ونحو ، ناشىء عن مقاييس وصف اللغة ، الا اننا ما زلنا نصادف لبسا بين هذا التناول والتناول النفساني عند ما نستمع الى المناقشات التى لا تنتهى حول تدريس النحو ، وتنشأ البلبلة من أن المصطلح « نحو » شأنه شأن المصطلح « لغة » غامض مبهم كما نوه بذلك كويرك (1) Quirk وجرينبوم Greenbaum وليش Leech وسفارتفيك Svartvik (1972) فهو يستخدم بكلا معنيه النفساني واللغوي ، ويحاول المعلمون ، أحيانا ، ازالة هذا الغموض بقولهم ان ما ينبغى علينا عمله هو أن نعلم الناس اللغة ، لا أن نعلم الناس « عن » اللغة ، ومعنى قولهم اننا نحاول اخراج متحدثين باللغة ، لا علماء لغة ، أى اناسا يستطيعون « التحدث باللغة » لا « التحدث عن اللغة » وبالطبع ، يمكن لعلماء اللغة دائما — في آخر المطاف — التحدث عن لغة لا يتكلمونها . وتتمثل احدى الانتقادات التى ثارت ضد الاساليب التقليدية في أن علماء اللغة حققوا نجاحا أفضل في التحدث عن اللغة بدل الذى حققوه في « التحدث بها » ، ومن ثم فتعليم قواعد النحو قد يفهم من الناحية الثقافية على انه يمكن الطالب من اخراج منطوقات يسميها علماء اللغة « نحوية » ، ومن الناحية اللغوية كتعريف للطلاب بقواعد نحو اللغة وسواء كان تعريف الطالب بقواعد نحو اللغة أسلوبا مفيدا لتنفيذ تعليم اللغة لمشار مناقشة من حيث نفسانية تعليم اللغات، والاجابة على التساؤل هل ينبغى علينا تعليم قواعد النحو ؟ هى

(1) Quirk, R. Greenbaum, S., Leech, G., and Svartvik, J. (1972) A Grammar of Contemporary English, Longman.

« لغوية » - قوائم البنيات النحوية والمسرديات ،
وقوائم الاصوات ، ومقومات النطق التي يجب
« اتقانها » . هذا ، والتناول اللغوي مسؤول عن
تحديد كيفية « تصوير » ما ينبغي علينا تدريسه ، وهذا
لا يماثل قولنا من أنه مسؤول عن « تحديد » ما ينبغي
تدريسه ، وهو لا يسهم بطائل بذكر في تحديد كيفية
تدريسنا في المجالات اللغوية .

بلغة البلد الاجنبي » ، وتكن الصعوبة في كلنا الحالتين
في أنه مهما بدت قائمة الانجازات طويلة ، فغالبا ما
تكون هذه الانجازات غير واضحة وغير محددة وغير
نظامية .

والحقيقة انه اذا اردنا رسم خطة تفصيلية جدا
لعملية تعليم اللغة ، وجب التعبير عن ذلك بمصطلحات



نحو التعريب في مجال العلوم والتكنولوجيا

الدكتور د. فهد محمد الترابي
الرياض

مقدمة :

ونحى في مطلع هذه المقالة الجهود الكثيرة التي بذلت من بعض العاملين في المجال العلمي والتقني وذلك باستصدار الكتب العربية والمترجمة ، وكذلك نحى أساتذة الجامعات الذين أثبتوا عن طريق الممارسة انه بالإمكان تقديم المواد العلمية باللغة العربية بالرغم من أن هذه المحاولات لم يتح لها أن تتمم في جميع المعاهد أو لكل المواد الدراسية وذلك من ندرة الكتب العلمية العربية وقلة التأليف العربية في مجال التكنولوجيا .

ولقد كان من ضمن العوامل التي أدت الى كساد سوق الكتب العلمية العربية قلة الطلب عليها من الجامعات والمعاهد ، وانصراف العاملين في المجال العلمي عنها ، حيث تدار جيل الأعمال الهندسية والصناعية والإدارات الفنية المختلفة باللغات الأجنبية .

أما بالنسبة للمجلات العلمية العربية فان اثرها

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد .

فلقد حظى التعريب في مجال العلوم والتكنولوجيا باهتمامات كثيرة منذ أول عهد النهضة العربية الحديثة . وظل أمره يبحث في المؤتمرات واللقاءات العلمية على مستويات مختلفة . ولقد أصبح من المسلم به كنتيجة لاجماع الآراء أن التعريب ضرورة لبناء الأمة العربية ، ومن المرتكزات الأساسية لنهضتها .

ومن هذا المنطلق لا حاجة بنا لإقامة حوار حول حتمية التعريب لمستقبل الأمة العربية وحسبنا من ذلك هذا الاجماع ، لذا نحونا بهذه المقالة الى ابراز بعض مستلزمات التعريب من مؤسسات ووسائل ، عسى أن يحقق الله الانفتاح المرجو على العلوم والتقنيات وأن يمكن للتعريب في اقل زمان واكمل صورة .

كما يكون الجمع مسؤولاً عن التعريب وخطوات سيره ونشر المعاجم العلمية ، ويكون من صلاحيته توجيه البحث العلمى ونشر الموضوعات التى تتصل بحاجة الامة وأولوياتها .

2 - دور النشر العلمية :

تكفل هذه بمسؤولية نشر الكتب والمجلات العلمية وجميع ما يصلها من المعاجم ودواوين الترجمة ، على الا تدار على أساس تجارى بحت حيث هى - أى دور النشر العلمى - موقومة لتلبية متطلبات الكتب الدراسية ومجلات البحوث والنشرات العلمية .

3 - ديوان الترجمة :

يكون مسؤولاً عن تتبع النتاج العلمى فى التقنيات فى خارج البلاد العربية وتقديم دوريات عنها ، ثم ترجمة جميع ما يطلب منه فى ذلك لأغراض البحث او الصناعة والتعمير .

4 - مركز التوثيق :

يقوم بجمع وحفظ المجلات والنشرات والكتب العلمية ومد الباحثين والعاملين بما يحتاجونه حول أى من الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

وحتى تعمل هذه المؤسسات المذكورة بكفاية عالية ، لا بد أن يوظف لها أصحاب الاختصاص كل فى مجاله ، كما يجب الا يرضن عليها بالمال والصلاحيات التى تحقق اهدافها .

وقد يتراءى اول الامر أن نفقات التأسيس كبيرة ولا تتناسب مع مردودها السريع ، ولكنها ضريبة ارساء المرتكزات العلمية التى لا غنى عنها لانماء الامة العربية فى ظل قيمها ودينها وتراثها الاسلامى - بل أن هذه النفقات سوف تنخفض بعد تخطى مرحلة الانشاء كما أن دور النشر قد تحقق أرباحاً من المطبوعات والمنشورات الفنية .

تعريب الكتب العلمية : (التحليلات الرياضية) :

درج كثير من المؤلفين فى مجال تعريب العلوم على كتابة المعادلات والتحليلات الرياضية باللغة الأجنبية ، وقد لا يخفى أن هذه الطريقة فضلاً عما تحدثه من

تليل ومحدود لضيق وسائل النشر وانعدام المناخ العلمى وكان ذوى الاختصاص لم يهتموا بأمرها الاهتمام المطلوب بل انصرفوا عنها انصرافاً . لذلك لجأ كثير من العلماء العرب لنشر بحوثهم فى الخارج حيث وسائل النشر العلمى متوفرة وحيث يتنافس المتنافسون لإبراز نتاج افكارهم وثمره جهودهم مما جعلنا نسمى بأفضل انتاجنا العلمى الى خارج بلادنا ، ولا يخفى أن المجلات العلمية الأجنبية لا تنشر من الموضوعات الا ما يتصل باهتمامات أصحابها ، ومن ثم فإن جهود هؤلاء العلماء العرب ليست مرتبطة فى المكان الاول بحاجة الصناعة والتعمير المحلية ، الا بذلك القدر الذى تحتمه طبيعة البحث العلمى الشمولية .

وإذا كان لا بد من تحول عن هذا الاتجاه فإن التعريب حرى بأن يربط الانتاج العلمى العربى بمشاكل البلاد القائمة . وجعل موارد الامة الطبيعية والصناعية هى حقل البحث الاساسى لدى العلماء ، كما أن ذلك يجنبهم بعض الموضوعات فقط من أجل احتمال نشر نتائجها بالخارج ، على أننا لا ننكر على احد من الباحثين أن يكون له سهم على النطاق العالمى متى سئحت له فرصة لذلك ، كما أننا لا ندعو الى تقييد الباحثين أو الحجر على الروافد الفكرية ، بيد أن التعريب والنشر باللغة العربية ضمان لجلب انظار العلماء للاوليات التى ينبغى أن يلتفت اليها .

هذا ولتحقيق انتاج علمى سليم بالعربية ، لا بد أن تتوفر له جميع المقومات اللازمة فى مجال البحث والنشر والتأليف . ويمكن تلخيص حاجة التعريب من المؤسسات المتخصصة فى الآتى : علماً بأن الآراء قد تتباين فى كيفية اسناد المهام المختلفة بين المؤسسات ، أو دمج بعضها فى بعض .

1 - الجمع العلمى العربى :

يقوم هذا الجمع مقام المعاجم العلمية الماثلة فى الخارج ويكون رقيباً على تطور العلوم التقنية . وتتفرع عنه أمانات للفروع التكنولوجية المختلفة والتى يناط بها نشر المجلات العلمية المتخصصة وتحضير المؤتمرات والقيام بالدراسات والاحصائيات المتعلقة بالكفاية العلمية بالنسبة للبلاد العربية .

تشويش على القارئ أو توشك أن تؤدي إلى استحداث لغة علمية بين بين ، لا هي عربية ، ولا هي اجنبية . ومع أن الدافع لذلك هو حرص هؤلاء المؤلفين لتسهيل النظر في المصادر الاجنبية الا أن نظرة فاحصة في النماذج أ ، ب ، ج كما في الشكل (1) قد توضح أن هذا النهج يقود في النهاية إلى تقريب العلوم لا تعريبها ، بل أنه ربما زهد الطلاب في اقتناء هذه الكتب ودفعهم إلى أخذ العلوم باللغة الاجنبية مباشرة .

ويرأى من خلال الاستعراض التالي أن تعريب هذه المعادلات ليس بأشق من تعريب المصطلحات الأخرى ، وكان من باب أولى أن يلجأ المؤلفون إلى كتابة التحليلات الرياضية بالعربية أسوة بالمصطلحات الأخرى .

وتقدم في هذا المقال عرضا لبعض الرموز الرياضية لأن هذا الباب لم يطرق من قبل ولكن من أجل إعادة النظر والموازنة بين ضرورة تخريج هذه العلاقات الرياضية على نهج عربي وبين المحافظة على الأشكال التي ألفها الناس من المراجع الاجنبية .

1 - التكامل :

التكامل في حقيقته ضرب من صيغ الجمع .

فإذا جعلنا الحرف ج يرمز لعملية الجمع العادي ، فيمكننا بإجراء تحويل قليل في هذا الحرف أي بشده إلى أعلى وأسفل هكذا \int أن نحصل على مدلول عملية التكامل مع اسقاط الاعجام عن الشكل الناتج ، وعليه فإن العلامة \int ترمز لعملية التكامل التي تتأتى من \int ، كذلك \iint ترمز للتكامل المزدوج ، والعلامة \iiint

للتكامل الثلاثي . وهكذا تكرر العلامة بعدد عمليات التكامل المطلوبة على الدالة . أما إذا كان المقصود جمع كميات أو وحدات متجانسة وغير متصلة ، فيمكن أن يرمز لها بجيمين على بعضهما (3) مع اسقاط الاعجام ، انظر الشكل (2) .

2 - التفاضل :

عند ما نقدم على إجراء عملية تفاضل ، أي إيجاد المعامل التفاضلي ، أو إيجاد مشتقة الدالة ، نقول إجازا :

فاضل . . ثم نكتب الدالة المطلوب إيجاد مشتقتها . فإذا أخذنا أول كلمة فاضل أي (فا) ، فيمكننا بتحويل بسيط عليه جعله دلالة لإجراء التفاضل ، فمثلا $\frac{d}{dx}$ س نعني به فاضل بالنسبة للمتغير س .

كما يمكننا بجعل الف المد في فا مائلا إلى اليمين أن نستدل على التفاضل الجزئي على النحو التالي :

ك نعى فاضل جزئيا .

ويمكننا كذلك أن نرمز للزيادة القليلة أو الفخلة بإجراء تحويل آخر على اعلا الالف في

ا فا) كما هو موضح في الرسم التالي

(8) نعى الفخلة أو الزيادة القليلة ، انظر الشكل (3) .

كذلك قاعدة اللوغارتم الطبيعي يمكن أن يرمز لها بالحرف ق مع الإبقاء على الاعجام أو حذفه أي أن $Q = 2^2 = (273000) \text{س}^2$ ، أي أن لو ق س = س

أما الجذر التربيعي والتكبيبي فعلامته معلومة وهو ج مكتوبة بميل يساوي 90° :

وأما دلالات العمليات الحسابية الأولية من جمع وطرح وضرب وقسمة فهي بحمد الله موحدة في الأخرنجية والعربية .

وكذلك علامة : يقل عن < ويزيد على > ويساوى = ، لا خلاف عليها .

ولا ضرر أن نبقى على النسبة التقريبية كما هي

Π وهناك من يكتبها ط .

أما جبر المصفوفات فلا يسبب اشكالا في الكتابة العربية كما هو معلوم ، انظر الشكل (4) .

هذا وإن جميع الرموز السالفة لا تشكل صعوبة في رسمها أو التباسا في مدلولها ، كما أنها تحتفظ بقدر كبير من الشبه مع العلامات المستعملة في المصادر الاجنبية ، أي أن الباحث سوف يتعرف عليها من النظرة الأولى في المصادر الاجنبية ، أن هو اعتاد على مقابلاتها العربية . هذا وإن بعضا من كتب الهندسة العربية

توقيت التعريب :

وإذا كان التعريب أمرا لا محيد عنه ، فإن تركه لعفوية الجهد الفردى وعدم التشريع والتنسيق اللازمين له لهو تسويق لا يتمشى مع واقع الحال ، ولا يأخذ فى الاعتبار عامل الزمن الذى تستبِق فيه الأهم لبسط نفوذها واستغلال ما لغيرها من مقدرات متى كان ذلك ممكنا بسبب نقصان الكفاية العلمية .

فلا أقل من اصدار تشريع أو ميثاق على نطاق الوطن العربى يلزم جميع دور العلم العربية بتعريب جميع مناهجها بعد فترة موقوفة من الزمان — قد تكون عشر سنوات على سبيل المثال — يراعى فيها أن تتسع لاصدار الكتب العلمية فى التخصصات التى يحتاجون إليها سواء عن سبيل التأليف أو الترجمة .

وربما كان من أنجع السبل لهذه الغاية أن يكلف أساتذة الجامعات وغيرهم من ذوى الكفاءات للقيام بمهام الترجمة والتأليف توطئة لتعميم التعريب فى حدود الفترة الموقوفة ، وينبغى حينئذ أن يكون هذا التكليف تعاقدا ملزما ووفق خطة متكاملة تضعها وتشرف عليها هيئات التعريب المأذونة . ومن البديهي أن يصرف على هذا الجهد من جانب المؤلفين والمترجمين والمراجعين دون تقتير حتى ينصرف هؤلاء بكل طاقاتهم لانجاز هذه المهام الكبيرة .

كذلك لا بد من تعريف الموصفات ووضع أساس المقاييس والموازين والمكاييل وفق نظام علمى متكامل .

هذا وان الرسم البيانى فى الشكل (6) يوضح تصورا لخطوات التعريب على قاعدة زمنية .

ويمكن اعتبار الثلاث سنوات الاولى — كما هى موضحة فى الشكل (6) مرحلة اعداد وتنسيق ، حيث يجب أن تتكون أثناءها الهيئات التى تشرف على التعريب كالمجامع العلمية ودور النشر ودواوين الترجمة ومراكز التوثيق وهى من 1395 هـ الى 1398 هـ .

تليها ثلاث سنوات هى بداية مرحلة التأليف والترجمة حيث يمكن وضع المسودات ومراجعتها واعتمادها وهى من 1398 هـ الى 1401 هـ . تليها سنتان للطبع والنشر وهى من 1401 — 1403 هـ .

والرياضيات قد صدرت معربة مع اختلافات قليلة فى رسم الدلالات . وما ينتظر هو أن يتفق المختصون حول رسم هذه الدلالات بحيث لا تحدث التباسا لدى القارئ أو طالب العلم .

الحروف العربية :

لا يخفى أن الحروف الصغيرة والكبيرة باللغتين اللاتينية والاربيقية يعطى مجالا كبيرا لتخير الرموز فى اللغات الأجنبية ، ولما كان الحرف العربى يمكن كتابته على صور مختلفة فى الخطوط العربية ويقبل علامات الشكل (الاعراب) الأربع زائدا الشدة (ع) فان فرصة الاختيار ههنا كبيرة أيضا . بيد أن المرونة الكبرى هى فى امكان جمع حرفين أو ثلاثة معا لترمز لكميات مختلفة عن تلك التى ترمز لها الحروف المنفصلة ، وذلك نحو :

ج ، ا ، ت ، ثم جا ، وجتا ، جت ، تا ، تج .

فهذه جملة كميات مختلفة ، وهكذا فى نحو ظا ، وظنا ، ونق . الخ . وهذا لا يتيسر باللغات الأجنبية ، فان جمعت مثلا بين الحرفين فمفهوم ذلك ان الكمية مضروبة فى الكمية لا غير ، مع ان احتمال اللبس غير موجود فى العمليات التالية :

$$\begin{aligned} ج ا &= ا ج & ج ا ت &= ا ت ج \\ ج ا ت &= ا ت ج & ج ا ج &= ج ا ج \end{aligned}$$

(انظر الشكل 5)

الاعداد العربية :

هناك ضربان من رسم الاعداد عند عرب اليوم ، فبينما يستعمل أهل المغرب العربى الارقام المسماة بالاعداد العربية عند الافرنج وهى : 9 ، 8 ، 7 ، 6 ، 5 ، 4 ، 3 ، 2 ، 1 ، نجد أهل المشرق العربى يستعملون الحروف المألوفة وهى : ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ .

ويبدو أن المخطوطات العربية لعهد يمتد لاكثر من ألف سنة توضح أن الصنف الثانى من الاعداد قد كان فعلا مستعملا عند الغرب فى المشرق فى الاقل ، ولا أرى كيف يمكننا أن نهمل هذا التراث ، ولكن حبذا لو اتفق العرب كلهم على نمط واحد فى كتابة العدد .

3 - أن يقوم ديوان للترجمة .

4 - أن يقوم مركز للتوثيق العلمى .

5 - أن يحافظ على شمول التعريب وتجنب كتابة التحليلات الرياضية باللغات الاجنبية فى الكتب العلمية العربية ، خصوصا فى الكتب التى تتبناها هيئات التعريب .

6 - ايجاد تشريع او ميثاق لتعميم التعريب فى الوطن العربى فى حدود فترة زمنية موقوتة وفى هذا نرى :

(ا) الاستفادة من اساتذة الجامعات وغيرهم لمهام الترجمة والتأليف .

(ب) وضع خطة شاملة لسير التأليف والتراجم وموضوعاتها حسب حاجة العالم العربى العلمية .

ونسأل الله ان يوفق الى هذه الغايات وبذلك الصواب . وعلى الله تصد السبيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

المراجع

لقد استعان الكاتب فى تقديم هذا المقال بالنظر فى المراجع التالية :

1 - كتاب « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » - فى التقديم والحديث .

للأمر مصطفى الشهابى - معهد الدراسات العربية العالمية جامعة الدول العربية - 1955 م

2 - كتاب « حياة اللغة العربية » - لحنسى بك ناصف - مطبعة جامعة القاهرة - 1958 م .

3 - معجم المنجد - للويس معروف - بيروت .

4 - مجلة العربى - العدد 186 - ربيع الثانى - 1394 هـ .

مقال للدكتور عبد الستار أحمد فراج .

5 - عدد من الكتب العلمية المعربة .

واذا احتسبنا سنتين آخرين من أجل اى عوائق اخرى تعطل سير العمل ، فان فترة العشر السنوات لا تبدو متمجلة ، بل يمكن اختصار المدة اذا تضاعفت الجهود على ذلك ، علما بأن جزءا كبيرا من المناهج ربما امكن تعريبه فى فترات متفاوتة فى بحر العشر السنوات القادمة .

هذا ولا بد من حركة تنسيق شاملة لتعريب المصطلحات فى السنوات التى تسبق فترة التأليف حتى تكون التعبيرات العلمية متجانسة ، غير انه لا ينبغى ان يتفق الناس جميعهم على كل مصطلح ايا كان ، فان ذلك مبالغة فى لزوم مالا يلزم . اذ ان كثيرا من التعبيرات والمسمايات غير المناسبة ستنفذت بمرور الزمن ويستبدل بها ما هو اصح . وما يرجى من عملية تنسيق المصطلحات هو ايجاد قدر مناسب من المصطلحات يتفق عليها ، ولا بأس ان يكون هناك اكثر من مصطلح لتعبير واحد . فالفرق بين الحويلة القصوى ، والحدية وحمل الانهيار او حمل الخضوع ليس كبيرا ، وكثيرا ما يستعمل تعبير منها فى مجال آخر .

وقبل ان نختم هذه المقالة نقول : انه لا مجال لنبذ تعلم اللغات الاجنبية جملة ، فهذا شأنه شأن من لا يرى بضرورة التعريب ، بل ينبغى على طالب العلوم الحديثة تعلم لغة اجنبية حية كالاتجليزية او الالمانية او الفرنسية ، لتكون نافذة له على فيض علوم البلاد الاجنبية .

وليس ثمة من يدعو الى وضع يؤدى الى عزل العالم العربى علميا عن النتاج العلمى العالمى ، لكننا نقرر بأن التعريب هو السبيل الوحيد لاستيطان هذه العلوم التكنولوجية فى تراب وطننا العربى .

خاتمة وتوصيات :

نستخلص من هذا المقال التوصيات التالية :

1 - ان يؤلف مجمع علمى لرعاية العلوم والتكنولوجيا .

2 - ان تكون دور نشر علمية على النحو الذى ذكر فى المقال .

ومعادلة القوة القاطمة في المجال $C_2 B$ هي :

$$V_{\Omega_3} = + V_B \cdot \cos \alpha + H_B \cdot \sin \alpha .$$

$$V_{\Omega_3} = 6 \cos \alpha + 6 \sin \alpha = 6 \cdot \frac{-9}{\sqrt{81 + 4(6-x)^2}} + 6 \cdot \frac{-2(6-x)}{\sqrt{81 + 4(6-x)^2}}$$

$$V_{\Omega_3} = \frac{12x - 126}{\sqrt{81 + 4(9-x)^2}} , \quad 9 \leq x \leq 12 \quad (5 \text{ c}')$$

والآن نجد أن معادلات عزم الانطاف في المقاطع الثلاث $\Omega_3, \Omega_2, \Omega_1$ العائدة للمجالات الثلاث $C_2 B, C_2 C_1, AC_1$ هي :

$$M_{\Omega_1} = V_A \cdot x - H_A \cdot y - q \frac{x^2}{2} = 10 \cdot x - 6 \cdot \frac{x}{9} (12-x) - 2 \frac{x^2}{2} ,$$

$$M_{\Omega_1} = 2x - \frac{x^2}{3} , \quad 0 \leq x \leq 6 , \quad (6 \text{ a}')$$

$$M_{\Omega_2} = V_A \cdot x - H_A \cdot y - q \frac{l}{2} \left(x - \frac{l}{4} \right) ,$$

$$M_{\Omega_2} = 10x - 6 \frac{x}{9} (12-x) - 2 \times 6 (x-8) ,$$

$$M_{\Omega_2} = -10x + 36 - \frac{2}{3} x^2 , \quad 6 \leq x \leq 9 \quad (6 \text{ b})$$

وكذلك نجد المعادلة :

$$M_{\Omega_3} = V_B (l-x) - H_B \cdot y .$$

$$M_{\Omega_3} = 6(12-x) - 6 \cdot \frac{x}{9} (12-x)$$

$$M_{\Omega_3} = 72 - 14x + \frac{2}{3} x^2 \quad 9 \leq x \leq 12 \quad (6 \text{ c}')$$

ومعادلات القوى المحسوسة التي تمثل تغيرات محصلة القوة الضاغطة أو الشادة في أي مقطع مثل Ω هي :

الشكل (١) نموذج ٢

ومن اجل الزم الساتيكي نجد من الشكل (5-11) :

$$\bar{n}_x = \int_y^r b \cdot y \cdot dy = \int_0^{\pi/2} 2r^2 \cdot \cos^2 \theta \cdot \sin \theta \cdot d\theta ,$$

$$n_x = -2r^2 \int_0^{\pi/2} \cos^2 \theta \cdot d \cos \theta = -\frac{2r^2}{3} (\cos^3 \theta) \Big|_0^{\pi/2} = \frac{2r^2}{3} \cos^3 \theta . (c)$$

ومن اجل حساب عزم المطالة نجد :

$$I_x = \int_{-r}^r b \cdot dy \cdot y^2 = \int_{-\pi/2}^{\pi/2} 2r \cdot \cos \theta \cdot r^2 \sin^2 \theta \cdot r \cos \theta d\theta ,$$

$$I_x = 2r^4 \int_{-\pi/2}^{\pi/2} \cos^2 \theta \cdot \sin^2 \theta \cdot d\theta ,$$

$$I_x = \frac{2r^4}{2 \times 4} \int_{-\pi/2}^{\pi/2} (1 + \cos 2\theta) (1 - \cos 2\theta) d2\theta = \int_{\pi/2}^{\pi/2} \frac{r^4}{4} (1 - \cos^2 2\theta) d2\theta$$

$$= \frac{r^4}{4} \left[2\theta - \theta - \frac{\sin 4\theta}{8} \right]_{-\pi/2}^{\pi/2}$$

$$I_x = \frac{r^4}{4} \cdot \pi \quad (d)$$

فانا عوضنا حدود العلاقة (a) بقيمها المحسوبة نجد تابع اجهاد القص في القطع المائري وفق العلاقة:

$$\tau_{xy} = P \cdot \frac{2}{3} r^2 \cdot \cos^3 \theta \cdot \frac{1}{2r \cdot \cos \theta} \cdot \frac{4}{\pi \cdot r^4} = \frac{4}{3} \cdot \frac{P \cdot \cos^2 \theta}{\pi \cdot r^2} \quad (e)$$

وانا عوضنا $\cos \theta$ بما يساويها بدلاله y نجد :

$$\cos^2 \theta = 1 - \sin^2 \theta = 1 - \frac{y^2}{r^2}$$

$$\tau_{xy} = \frac{4}{3} \cdot \frac{P}{\pi \cdot r^2} \cdot \left[1 - \left(\frac{y}{r} \right)^2 \right] , \quad (f)$$

الشكل (١) نموذج ب

$$X_1 \delta_{11} + X_2 \delta_{12} + X_3 \delta_{13} + \dots + X_n \delta_{1n} = -\delta_{11}$$

$$X_1 \delta_{21} + X_2 \delta_{22} + X_3 \delta_{23} + \dots + X_n \delta_{2n} = -\delta_{21}$$

$$X_1 \delta_{31} + X_2 \delta_{32} + X_3 \delta_{33} + \dots + X_n \delta_{3n} = -\delta_{31}$$

$$X_1 \delta_{n1} + X_2 \delta_{n2} + X_3 \delta_{n3} + \dots + X_n \delta_{nn} = -\delta_{n1}$$

الصيغة المخرجة (أو معينة الحدود) لجدول المادلات الخطية هي التالية :

$$D = \begin{vmatrix} \delta_{11} & \delta_{12} & \delta_{13} & \dots & \delta_{1n} \\ \delta_{21} & \delta_{22} & \delta_{23} & \dots & \delta_{2n} \\ \delta_{31} & \delta_{32} & \delta_{33} & \dots & \delta_{3n} \\ \dots & \dots & \dots & \dots & \dots \\ \delta_{n1} & \delta_{n2} & \delta_{n3} & \dots & \delta_{nn} \end{vmatrix} = \delta_{ik} \quad (i, k = 1, 2, \dots, n) \quad \text{حيث}$$

مميزات الصورة :

$$D_1 = \begin{vmatrix} -\delta_{1L} & \delta_{12} & \delta_{13} & \dots & \delta_{1n} \\ -\delta_{2L} & \delta_{22} & \delta_{23} & \dots & \delta_{2n} \\ -\delta_{3L} & \delta_{32} & \delta_{33} & \dots & \delta_{3n} \\ \dots & \dots & \dots & \dots & \dots \\ -\delta_{nL} & \delta_{n2} & \delta_{n3} & \dots & \delta_{nn} \end{vmatrix}, \quad D_2 = \begin{vmatrix} \delta_{11} & -\delta_{1L} & \delta_{13} & \dots & \delta_{1n} \\ \delta_{21} & -\delta_{2L} & \delta_{23} & \dots & \delta_{2n} \\ \delta_{31} & -\delta_{3L} & \delta_{33} & \dots & \delta_{3n} \\ \dots & \dots & \dots & \dots & \dots \\ \delta_{n1} & -\delta_{nL} & \delta_{n3} & \dots & \delta_{nn} \end{vmatrix}$$

$$D_3 = \begin{vmatrix} \delta_{11} & \delta_{12} & -\delta_{1L} & \dots & \delta_{1n} \\ \delta_{21} & \delta_{22} & -\delta_{2L} & \dots & \delta_{2n} \\ \delta_{31} & \delta_{32} & -\delta_{3L} & \dots & \delta_{3n} \\ \dots & \dots & \dots & \dots & \dots \\ \delta_{n1} & \delta_{n2} & -\delta_{nL} & \dots & \delta_{nn} \end{vmatrix}, \quad D_n = \begin{vmatrix} \delta_{11} & \delta_{12} & \delta_{13} & \dots & -\delta_{1L} \\ \delta_{21} & \delta_{22} & \delta_{23} & \dots & -\delta_{2L} \\ \delta_{31} & \delta_{32} & \delta_{33} & \dots & -\delta_{3L} \\ \dots & \dots & \dots & \dots & \dots \\ \delta_{n1} & \delta_{n2} & \delta_{n3} & \dots & -\delta_{nL} \end{vmatrix}$$

بواسطة مميزات الصورة والمخرج نستطيع الحصول على المجهيل بالشكل التالي :

$$X_1 = \frac{D_1}{D}, \quad X_2 = \frac{D_2}{D}, \quad X_3 = \frac{D_3}{D}, \quad \dots \quad X_n = \frac{D_n}{D}$$

ان تسمية D بالصيغة المخرجة و D_n معينة الصورة هو أن الأولى لا تقع الا في مخرج والثانية في صورة علاقات حساب المجهيل .

الشكل (1) نموذج ج

علامات التكامل

ج لإجراء الجمع العادي

تعد هكذا 2 ← 2 ← 2 ← 2 ← 1

لإجراء التكامل

لإجراء التكامل المزدوج

لإجراء التكامل الثلاثي

لإجراء التكامل الدائري

لإجراء جميع الوحدات المتجانسة

الشكل (٢)

علامات التفاضل « الإشتقاق »

نقول " إيجازاً " فاضل الدالة
 خذ " فا " كدالة للمفاضلة

فاضل بالنسبة للمتغير س δ س

فاضل جزئياً δ

فضلة أو الزيادة القليلة δ

أي :

حيث θ دالة من المتغيرين س و ص

$$\left[\begin{array}{l} \frac{\theta \delta (س, ص)}{\delta س} \\ \theta \delta (س, ص) \\ \frac{\theta \delta (س, ص)}{\delta ص} \end{array} \right.$$

الشكل (٣)

$$[\text{ك}] = [\text{د}] [\text{ه}]$$

$$\begin{bmatrix} (\text{بئ} + \text{ج} + \text{د} + \text{ء}) & (\text{بئ} + \text{ج} + \text{د} + \text{ء}) \\ (\text{بئ} + \text{ج} + \text{د} + \text{ء}) & (\text{بئ} + \text{ج} + \text{د} + \text{ء}) \end{bmatrix} = \begin{bmatrix} \text{ب} & \text{ب} \\ \text{ص} & \text{م} \\ \text{ع} & \text{ن} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} \text{د} & \text{م} & \text{ب} \\ \text{ع} & \text{ص} & \text{ك} \end{bmatrix}$$

$$[\text{ب}] = [\text{ا}] [\text{ب}]$$

$$\begin{bmatrix} \text{ص} & \text{ك} \\ \text{ع} & \text{ص} \end{bmatrix} = \begin{bmatrix} 0 & 1 \\ 1 & 0 \end{bmatrix} \begin{bmatrix} \text{ص} & \text{ك} \\ \text{ك} & \text{ص} \end{bmatrix}$$

الشكل ٤

ا ب ج د ر س ص ط ع و ك ل م ه و لا
 ٧ ش ص ه ء ف ك ل م ر ٢
 ج ه ه ع ك ٥
 ٨
 ٩
 ١٠

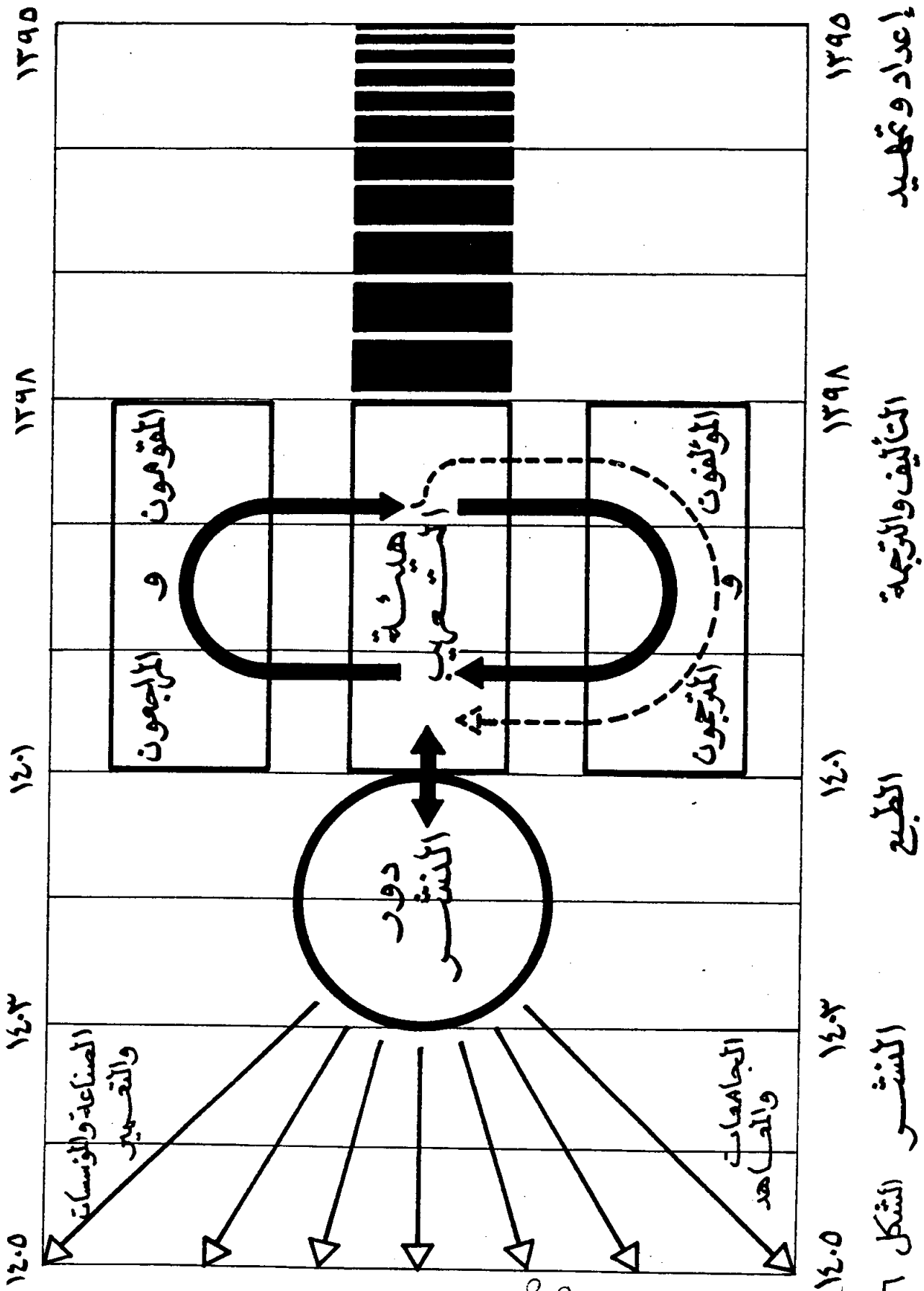
(١) ج
 (٢) ت
 (٣) ج x ا
 (٤) ا
 (٥) ج

(٤) ج
 (٥) ج
 ج ا x ا
 ج ا x ب

كا
 تا
 نق
 اسم
 ظل
 جم
 جلم
 وهلم جرا

$AB \rightarrow A \times B$

الشكل ه



ثانیاً: آراء وِدیوِریسٹس

92

تكوين الفكر العربي قبل الإسلام

من اللغة -

الدكتور رشاد محمد خليل

(I)

مقدمة :

وهو تعريف يشير الى الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية من ناحية كما يشير الى وظيفة اللغة الاجتماعية من ناحية أخرى .

فدراسة اللغة في ذاتها تعنى دراسة بنيتها من جوانبها الصوتية والتركيبية والمعجمية .

ودراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع تعنى دراسة علاقة اللغة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية في مجتمع بعينه من ناحية ، ومدى تأثير هذه الجوانب على بنية اللغة وتطورها من ناحية أخرى (1) .

وقد درست اللغة العربية قديما دراسة مستفيضة من حيث بنيتها نحوا وصرفا وتركيبا ومعجما ، ولكن دراسة بنيتها في ضوء علوم اللغة الحديثة ما زالت متعثرة ، تقوم على بعض الجهود الفردية المتناثرة هنا وهناك ، كما تقوم على الاجتهادات الفردية ايضا ، ويمكن القول ان دراسة اللغة العربية دراسة حديثة نحوا وصرفا وتركيبا ومعجما لما تكبد تبدأ ، لان محور

تدرس اللغة اليوم على اساس انها ظاهرة اجتماعية وقد دخلت في مجال الدراسة الاجتماعية باعتبارها جزءا من علم الاجتماع العام ، وانشىء لدراستها فرع خاص في علم الاجتماع يدرسها على اساس انها ظاهرة اجتماعية ، ويسمى هذا الفرع (علم الاجتماع اللغوى) .

كما تدرس في نفس الوقت على انها ملكة انسانية ، وقد دخلت بهذا الاعتبار مجال الدراسات النفسية ، واصبحت لدراستها جزءا من علم النفس العام ، وانشىء لدراستها فرع خاص في علم النفس يدرسها على اساس نفسى ، ويسمى هذا الفرع : (علم النفس اللغوى) .

ويعرف اللغويون المحدثون اللغة بأنها « نظام من الرموز الصوتية يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » ،

(1) اللغة العربية عبر القرون ، محمود حجازي ص 4

الدراسة لما يزل عرضا للدراسة القديمة ، او نقدا لها او دفاعا عنها ، وذلك في الاعم الغالب .

لا يفكرون في ضم الجمل نفسها بعضها الى بعض ، فأسلوبهم كما يقول أرسطوطاليس هو الاسلوب اللانهائي ، الذي يتبع طريقة الجزئيات المتراكمة التي تتعارض والجملة الكاملة في تجانسها والمعروفة في اليونانية واللاتينية ، فالشيء عندهم في البلاغة ، كما هو الحال في المعمار ، هو الزخرفة العربية المعروفة (6) .

اما دراسة اللغة العربية في علاقتها بالمجتمع باعتبارها ظاهرة حضارية فانها تكاد تكون في حكم المدومة ، وأقول في حكم المدومة لان الدراسات التي تناولت اللغة العربية كظاهرة حضارية لم تكن دراسات بالمعنى العلمي ، وانما كانت في العديد منها ستارا علميا يراد من ورائه تصوير العرب بصورة المتخلفين عقليا وحضاريا ، ثم تأييد هذا التصور بجملة تكويننا أساسيا يظهر أثره في تركيب لغتهم ويفسر بطبيعة الجنس حيناً وجبرية البيئة حيناً لكنه ايا كانت التفسيرات لا يصدق عليهم وعلى لغتهم كيفما كانوا ، وصف التخلف .

ويكرر جوتيه نفس الإنكار تقريبا ولكنه يفسرها بالجبرية البيئية بدلا من طبيعة الجنس ، فالذي يميز الشعب العربي هو « تفصيل الطرفين ، وقرن الأضداد ، والمتشابهات بالاولى ، والانتقال من هذا الى ذاك انتقالاتا فجائيا أما المميز للمعبرية الآرية فهو التقريب التدريجي بين الأضداد ، ووصلها بعضها ببعض وصلا متناسقا بفضل ما يضمه بينها من الاطراف الوسطى المختارة بمهارة فهو الوحدة في الاختلاف ، وهو الشعور بالتنوع والتدرج المتوالي داخل سلسلة منسقة تنسيقاً منتظماً (7) .

ومما هو جدير بالأسف حقا أن هذه الدراسات المشبوهة قد أثرت في الفكر العربي الحديث تأثيرا عميقا ، وظهر هذا الأثر في كثير من الأبحاث العربية التي اعتبرت نتائج هذه الدراسات مسلمات تنطلق منها أبحاثهم .

أما أوليري فيرى انه مما لا فائدة منه أن تدعى أن تاريخ الفلسفة العربية يربنا ضمنا في أصالة العقل السامى ، لسبب واحد هو أننا لا نجد واحدا من فلاسفة المرتبة الاولى بعد الكندي عربيا بمولده ، وتقليل منهم يمكن أن يوصف بأنه سامى وقد يكون أكثر دقة أن نقول أن الفلاسفة الاغريق قد تفردوا حتى وقت متأخر جدا بمحاولة أى شيء يصدق عليه أنه دراسة نفسية علمية (8) .

ومن أمثلة هذه الدراسات التي تنتهى الى أحكام تطمية متمضة ، ما ذهب اليه رينان من أن « الجنس السامى اذا قوبل بالجنس الهندى الاوربى يعتبر حقا تركيا أدنى للطبيعة الانسانية » (2) « فالدين واللغة عندهم لم ينشأ بجهد عقلى .. وليس هناك شيء يخترع » (3) والوجدان السامى « واضح لكنه محدود » (4) والاسلوب السامى ينقصه نقصانا تاما الرؤية عن بعد ، وذلك بأن اللغات السامية مبسطة بسطا ، ولا تأخير فيها ولا تقديم ، فهي لا تعرف من طرائف التعبير غير قرن الإنكار بعضها ببعض » (5) « انه ينقص الساميين عامة احدى درجات التراكيب التي نعتبرها ضرورية للتعبير عن الفكر تعبيرا كاملا ناقص ما يعنون به ضم الكلمات في جملة واحدة ، وهم

ومن أمثلة العرب من معاصرنا الذين أخذوا هذه الاحكام المعتسفة مسلمات بنوا عليها دراستهم هو أحمد أمين فهو يردد أن « الخيال العربي ، محدود غير متنوع » أما عقليته فتمتيز « بعدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمطلوب ، والسبب والمسبب فهما

- (2) المدخل ص 63 .
- (3) الفكر العربي في التاريخ ، أوليري ترجمة تمام حسان ص 150 ، 151 .
- (4) فجر الاسلام ، أحمد أمين ص 39 .
- (5) فجر الاسلام ص 42 .
- (6) فجر الاسلام ص 42 .
- (7) المدخل ص 63 .
- (8) الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، أوليري ترجمة تمام حسان ص 150 و 151 .

طبيعة العقلية العربية تبيل الاسلام ، ليس مصدرها المستشترتين ولم تكن على اساس من الدراسة اللغوية وانما مصدرها علماء ومفكرون مسلمون ساقوها في معرض الدفاع عن الاسلام وابرار فضله على العرب ابتداء من ابن خلدون الى محمد عبده وعباس العقاد ومحمد البهي ومحمد حسن الباتورى . فابن خلدون يذهب الى ان جملة العرب كانوا « اهل بنى والحداد . وقطع للارحام ، وتنافس في الردى ، وأعراض عن ذكر الله ، فكانت عبادتهم الاوثان والحجارة ، واكلهم المقارب والخنافس والحيات والجعلان وأشرف طعامهم اوبار الابل اذا امروها في الحرارة في الدم ، واعظم عزهم وفادة على آل المنذر وآل جفنة ، وبنى جعفر ونجعة من ملوكهم ، وانما كان تنافسهم المؤودة والسائمة والوصيلة والحامى » (14) .

ويرى محمد عبده انه « قد بلغ العرب من سخافة العقل حدا صنعوا فيه اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ، فلما جاعوا اكلوها ، وبلغوا من تضعف الاخلاق وهنا قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن ، او تنصلا من نفقات معيشتهم وبلغ الفحش فيهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمة » (15) .

وهو يرى ان الاسلام جاء قوة في قلب الضعف ، وسلطانا في مظنة المعجز وعلما في وسط امية ، ورشادا في غمرات الجاهلية (16) .

اما العقاد فيذهب الى ان حرية العرب تبيل الاسلام « هي حرية مصدرها كمصدر الحرية التي تتمتع بها الاوابد في الخلاء ، او تتمتع بها الطير في الهواء وعلتها انها حرية مصدرها قلة المنازعة عليها لا قوة المبادئ التي تدعها وتحميها ، فليست هي حقا من الحقوق ، ولكنها مال همل مباح لقلّة الراغبين فيه ، وغنية المنتفعين باليعدوان عليه » (17) ويقول « نشأت

تاما » (9) « وطبيعة العقل العربي لا تنظر الى الاشياء نظرة عامة شاملة ، وليس في استطاعتها ذلك » (10) « ونظرتة سطحية اذا نظر الى الشيء الواحد لا يستغفقه بفكره » (11) « فالعقل العربي تركيبى لا تحليلى ، وانه يعنى بالجزئيات ولا يحفل بالكل ، وهو لذلك عرف أدب المثل ولم يعرف القصة ، والفرق بين التركيب والتحليل يتضح في هذين النوعين من الانواع الادبية . فالمعنى الكبير يمكن تركيزه في المثل الذى لا يتجاوز السطر ، وهذا المعنى نفسه يمكن ان يصور في قصة طويلة ، المثل عملية تجريد وتركيب ، ونسى القصة على العكس يحدث تشخيص وتحليل وتفصيل » (12) ثم يفصل القول في تطبيق هذه الاحكام على لغة العرب وآدابهم .

وأحدث الدراسات التى تابعت نفس الاتجاه دراسة عز الدين اسماعيل في كتابه « الاسس الجمالية للنقد العربى » فقد ردد فيه نفس الإنكار عن النظرة الجزئية ، والعقلية التركيبية ، وفسر ذلك بالحرارة والمناخ ، والدائرة المغلقة في الصحراء ، فالحرارة والمناخ يفسران ظاهرتى الثبات على التقاليد والتكرار ، والصحراء والحرارة ودائرة الامق المغلقة تفسرهما أيضا وتفسر معهما الشعور باللامحدود واللانهاى ، كما تفسر لنا وحدة البيت في القصيدة ، وتفسر تفكك القصيدة كما أن طبيعة العقل العربى التركيبية تفسر لنا اهتمامه بالبيت الواحد دون القصيدة والنظرة التجريدية في طبيعة هذا العقل تفسر لنا عدم عنايته بالتفصيلات واكتفائه بالخطوط الاساسية ، بل ان من دلالات النظرة التركيبية في طبيعة العقل العربى ما عرف من قدرته على اللحمة الفكرية دون الفكرة الكلية (13) .

على ان هناك أيضا أحكاما قطعية تعسفية على

(9) فجر الاسلام ، أحمد أمين ص 39 .

(10) فجر الاسلام ص 42 .

(11) فجر الاسلام ص 42 .

(12) فجر الاسلام ص 61 .

(13) انظر الاسس الجمالية ص 283 الى 288 ، ص 279 الى 282 .

(14) تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 167 - 168 .

(15) رسالة التوحيد ، محمد عبده ص 180 .

(16) نفس المصدر ، ص 191 .

(17) الديمقراطية في الاسلام ، العقاد ص 27 - 28 .

العربى من خلال تراثهم اللغوى ، وذلك لتبين وجه الحق فيما ذكره مستشرقون وباحثون عرب ومسلمون عن طبيعة العقليّة العربيّة ، وطبيعة اللغة العربيّة ، ولتكشف المناخ الفكرى الذى ظهر فيه الإسلام من ناحية ثانية ، ولتكشف الأساس الفكرى الذى يقوم عليه بناء اللغة العربيّة وتركيبها من ناحية ثالثة .

افعل ذلك اقتناعاً منى بأنه من أوجب الواجبات علينا فى هذه المرحلة الدقيقة من تريخ امتنا ، أن نعيد النظر فى التصورات المقررة حالياً لتاريخ هذه الأمة وحضارتها وفكرها ، حتى نعرف أنفسنا معرفة دقيقة ، لا تنهض على أساس من أفكار وآراء ومسلّمات بنيت على دراسات سريعة غير مستوعبة وتقوم على سوء الفهم أو سوء النية .

وافعل ذلك اقتناعاً منى بأن كشف مناخ الإسلام جزء أساسى من فهمه ، والإسلام وهو دين الله الحق ، لا يقلل من مكانته ، ولا يهون من شأنه قط ، ان تظهر الدراسة العلميّة أن القوم الذين ظهر بين ظهرائهم كانوا أهل فكر مستنير ولعلّ العكس هو الصحيح لانه قد يفسر لنا أشياء فى حركة الإسلام وانتشاره ما تزال مستعصية على التفسير .

وافعل ذلك اقتناعاً منى بأن فهم الأساس الفكرى للبنية اللغويّة ، ضرورى لفهم أسلوبها وطبيعتها تراكيبيها ويعين من ثم على تحديد الأسلوب السليم الذى تتطور به وتنمو وتتجدد فى إطار تركيبها الأساسى، وفى ضوء خصائصها الذاتية .

وقد بنيت هذه الدراسة على أساس من دراسة تاريخ اللغة وتطورها لكشف مدى أصالتها ومدى عراقّة الفكر العامل فيها ، ثم دراسة بعض الخصائص ذات الدلالة المحددة على طبيعة الفكر ومستواه من جهة ، وذات الدلالة على أسلوب اللغة ومنهجها فى البناء والتطور والنمو ، ثم دراسة تطبيقية على الشعر القديم (الجاهلى) لمابعة أطراد الظواهر اللغويّة ، وأسسها الفكرية فى أساليب التعبير الفنى شكلاً ومضموناً يضاف الى ذلك دراسة معجمية للشعر القديم

الدعوة الإسلاميّة فى بيئة مريضة بأدواء العصببيات وضروب الضلال فى اختلاط العبادات والخرافات فلو جرت الأسباب التى تتركها فى مجراها المعهود ، فالدعوة التى تأتى من قبل هذه البيئة لن تدعو الى اله واحد يتساوى لديه جميع الناس ، ولن تمنح الإنسان حقاً واحداً يتساوى فيه جميع الناس » (18) .

ويذهب محمد البهى الى أن العرب قبل الإسلام كانوا قوماً أميين فى ضلال مبين ، وانهم لم يكونوا أصحاب حضارة (19) .

أما الباتورى فيذهب الى القول بأنه فى جزيرة العرب « عاشت أمة جاهلية فكانت فى جملتها أذلّ الناس ذلاً ، وأشقاهم عيشاً ، وأبينهم ضلالاً ، وأعراهم جلوداً وأجوعهم بطوناً ، معكومين على رأس حجر ، بين الاسدين فارس والروم . . والله ، ما نعلم أمة فى حاضر الأرض كانت أصغر حظاً وأدق شأناً منهم ، حتى جاء القرآن فنقلهم من الذلّة الى العزة ، ومن الشقاء الى السعادة » (20) .

وليس بهم فى ميزان العلم الصحيح ان تصدق هذه الاحكام على عقليّة العرب ولغتهم أو لا تصدق ، وانما المهم بمقياس العلم الصحيح ان تصح هذه الاحكام أو يصح غيرها نتيجة دراسة منهجية دقيقة غير متحيزة ولا متحاملة للتراث الوحيد الذى خلفه لنا هؤلاء القوم محط الحكم والتقدير - وهو اللغة ، فاللغة وحدها هى كل ما خلفه هؤلاء الناس من تراث ، اذ لم يتركوا لنا أثراً باقياً مما يعتده المؤرخون من وثائق معتمدة للبحث التاريخى مثل الاوراق والبرديات والنقوش والعمائر ، والتماثيل . . الخ . هذه الوثائق .

واقصد بالعرب الذين ظهر الإسلام بين ظهرائهم، لا أصعد فى تاريخهم جنوباً الى حضارات اليمن ، ولا شمالاً الى حضارات الشمال أقصد عرب الحجاز ونجد بالتحديد ، فلغتهم هى التى بقيت لنا ، وهم الذين قدموا لنا الإسلام .

ومهمة هذا البحث هى الكشف عن تكوين العقل

(18) عبقرية محمد العقاد ص 24 .

(19) الفكر الإسلامى الحديث ، البهى ص 223 - 224 .

(20) أثر القرآن فى اللغة العربيّة ، الباتورى ص 9 .

الدراسة ، فانها ضرورية ليس فقط لبيان وجه الحق في طبيعة اللغة العربية والعقلية العربية بل للكشف كذلك عن اصالة الفكر العربي ، واصالة منابعه ، واصالة مناهجه ، وطبيعة الدور الذي اداه للانسانية عبر التاريخ .

• وعلى الله قصد السبيل •

رشاد محمد خليل

(الجاهلى) حول قضايا الفكر الاساسية وهى :
الله ، الوجود ، النفس ، الاخلاق — مع مقارنة تصور الفكر العربى لهذه القضايا بتصور الفكر الاغريقى والمدارس التى تأثرت به على طول تاريخ الفلسفة القديمة قبل الاسلام ، ثم بيان موقف الاسلام من التصور العربى فى هذه القضايا .

وفى ضوء هذه الدراسة الشاملة المتكاملة يمكن فقط الحكم على اللغة العربية والعقلية العربية بمنطق العلم وموازينه . وايا كانت الصورة التى تكشف عنها



الباب الاول

القسم الاول

تطور اللغة وخصائصها

الفصل الاول :

١ - التطور اللغوي :

سنة ، وهذا التاريخ ، هو تاريخ اقدم نص اكدي ، والاكدي احدى اللغات الميتة التى كشفت عنها وعن غيرها البحوث الاثرية فى منطقة الشرق الاذنى والتى عكف الباحثون على دراستها ، وتبين لهم فى اللغات السامية وجود خصائص مشتركة بين بعضها البعض ، وبينها وبين بعض اللغات الحية كالعربية والعبرية والحبشية مما دفعهم الى افتراض اصل مشترك بين هذه اللغات جميعا سموه اللغة السامية الام ، واطلقوا على مجموعة اللغات التى تشترك فيه اسم أسرة اللغات السامية وهى تضم العربية والاكادية والكنعانية والحبشية والآرامية . وتشتمل اللغة الكنعانية على اللغات الاوغاريتية والعبرية والفينيقية ، وتسمى اللغة الفينيقية فى امتدادها الانريقى اللغة البونية ، كما تشتمل اللغة الآرامية على اللهجتين السريانية والنبطية ، وتشتمل اللغة العربية على العربية الجنوبية (لغة اليمن) والعربية الشمالية (لغة الحجاز ونجد) (3) .

تبدو اللغة العربية التى نزل بها القرآن وروى بها الشعر القديم . ودونت فى المعاجم اللغوية ، وكأنها قد ظهرت الى الوجود فجأة ، تامة التكوين ، ناضجة الاساليب ، مما دفع عددا من اللغويين القدماء الى ان يتصورها لغة مقدسة هبط بها الوحي ، او تجلى بها الالهام على قلوب اصحابها (1) كما دفع ذلك احد المستشرقين المحدثين ، وهو المستشرق الالماني (فولرز Vollers) الى القول بأن اللغة العربية الفصحى لغة صناعية ، ولم تكن يوما من الايام لغة كلام ومخاطبة (3) .

لكن الدراسات الحديثة قد استطاعت ان تصل هذه اللغة التى لم يكن يعرف لها تاريخ ابعده من قرنين من الزمان قبل نزول القرآن - الى ما قبل عام - 2500 ق . م اى ما قبل الاسلام باكثر من 3000

(1) المزهرة للسيوطى ج 1 ص 30 : 35 فقه اللغة لابن فارس ص 5 - 6 .

Volkssprache und schrift

Sprachmelten Arabien ; Strassburg ; 1905

(2) بنرك فلزر K. Vollers فى كتابه : انظر العربية ليوهان فك ، ترجمة محمد عبد

(3) اللغة العربية عبر القرون ص 16 - 23 . وانظر اللغات السامية لفؤاد حسنين .

قبل هذا التاريخ من مهد الساميين الى أرض الراندين .
معنى هذا أن عمر هذه الالفاظ أكثر من خمسة وأربعين
قرنا « (5) .

وتكشف لنا هذه المجموعة من الالفاظ على ثقتها
عن شيء بالغ الدلالة بالنسبة للشعوب التي يطلق
عليها الشعوب السامية بما فيها الشعب العربي ،
وهو أن هذه الشعوب قد تجاوزت طور المرحلة البدائية
منذ هذا التاريخ البعيد الذي يرجع الى ما قبل الميلاد
بأكثر من 2500 سنة « ففى الامم البدائية الضعيفة
التفكير ، المنحطة المدارك تغزر الكلمات الدالة على
المحسات والامور الجزئية ، وتنعهد أو تقل الالفاظ
الدالة على المعانى الكلية ، وتخلو دالة المفردات من
الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والابهام
وتخلو القواعد أو تكاد تخلو من ظواهر التحريف
والاشتقاق وريط عناصر الجملة ، والعبارة بعضها
ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من
ضروريات الحياة وفى كثير من الامم البدائية ينمكس
فى اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تماز به
عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور ، حتى أنها
لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح دقيق ، وحتى
ان أهلها انفسهم ليضطرون فى أثناء حديثهم الى
الاستعانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة ما ينقص
تعبيرهم وما يعوزه من دلالة . فقد روى عن قبائل
(البوشيمان Bochimán) عشائر بدائية تسكن جنوب
افريقية) أنهم اذا أرادوا المحادثة ليلا يضطرون الى
اشعال النار ليتمكنوا من رؤية الاشارات اليدوية
والجسمية التي تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتوضح
مدلولاته (6) ويقرر علماء الاثنوجرافيا الذين عنوا
بدراسة السكان الاصليين بأمريكا واستراليا وافريقية
ان عقليات هذه الشعوب لا تكاد تدرك المعانى الكلية
فى كثير من مظاهرها ، وان هذا القصور العقلى كان
له صدق كبير فى لغاتهم فلا تكاد نجد فى كثير منها لفظا
يدل على معنى كلى . ففى لغة الهنود الحمر مثلا لا
يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط ، ومن باب
أولى لا يوجد أى لفظ للدلالة على الشجرة على

ومعنى هذا ان اللغة العربية ظلت لغة حية
تنمو وتتطور على طول ما يزيد كثيرا على 3000
آلاف سنة محتفظة فى رحلتها الطويلة هذه بأقدم
خصائصها اللغوية مما جعل اللغويين ينظرون اليها
اليوم على أنها أقدم اللغات السامية ، وأقربها الى
اللغة السامية الام (4) .

و « يعرف الباحثون اليوم عددا من الالفاظ
المشتركة فى كل اللغات السامية نجدها فى العربية
والاكادية واللغات الكنعانية والآرامية بجانب العربية
الجنوبية والحبشية وكان هذه الكلمات هى المعجم
الاساسى البسيط الذى كان يستخدمه الساميون
القدماء والذى ورثته كل لغة من اللغات السامية عن
اللغة الام . يضم هذا المعجم الاساسى الالفاظ الدالة
على اعضاء الاسرة فكلمات الاب والام والاخ والاخت
والعم كلمات مشتركة فى كل هذه اللغات والكلمات
الخاصة بأعضاء جسم الانسان مثل العين والانف
والرجل والشعر واليد والاذن والراس الفاظ نجدها
مشاعا فى كل اللغات السامية وهذه الالفاظ دون شك
هى ميراث قديم عند ما حاولت هذه الجماعات من
البشر أن تسمى علاقات الاسرة وأن ينظر كل واحد
الى اعضاء جسده . وهناك عدد آخر من الكلمات
المشتركة الموروثة فى اللغة السامية الام تعبر عن
اسماء بعض الحيوانات منها ليث وكنب وعجل ، هذا
وقد عرفت بيئة الساميين الاوائل نوعا من الزراعة ،
الامر الذى جعل بعض الكلمات الزراعية من المعجم
الاساسى المشترك فى كل اللغات السامية وهذه مثل
كمون ، سنبله ، قمح ، ثوم ، وبجانب هذا وذاك
فالأعداد شىء مشترك فى هذه اللغات ونعنى بها
الأعداد من 1 : 1000 فالساميون القدماء لم يعرفوا
كلمة للمليون بل قال العرب مثلا ألف ألف . أما فى
محيط الأعمال فهناك أعمال كثيرة مشتركة فى اللغات
السامية مثل : ملك .. قتل ، كتب ، هذه الالفاظ
أذن من أقدم الالفاظ فى العربية وإذا نظرنا الى النقوش
الأكادية المؤرخة فى القرن الخامس والعشرين قبل
الميلاد وجدنا فيها هذه الكلمات ، هاجر بها الأكاديون

(4) نفس المصدر ص 20 .

(5) اللغة العربية عبر القرون 24 - 25 .

(6)

مع الرواية الشفهية اذا صح اسنادها ، الرواية من صحيفة مكتوبة ، ولا الرواية عن صحفى يعتمد على الصحف المكتوبة (10) .

على ان هذا التاريخ الغامض الشديد الغموض تد ترك لنا بعضا من الآثار التي يمكن ان تلقى الضوء على هذا التطور في بعض مراحل هذه الآثار هي :

1 - النقوش :

كشفت لنا جهود الباحثين في المائة عام الماضية عددا كبيرا من النقوش العربية الشمالية المبكرة ، وصلتنا في الفترة الزمنية بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي ، وليست هذه النقوش هي أقدم شيء وصلنا بالعربية ، فقد ذكرت النقوش الاكادية التي حوت في العراق القديم عددا من اسماء الاعلام العربية ، وقد قام بعض الباحثين بدراسة هذه الاسماء واثبتوا انها اعلام عربية ، ويبدو ان هذه النقوش قد دوت بين 553 - 626 ق م ولكن هذه الاسماء لقلتها لا تقدم لنا معلومات مجددة عن طبيعة اللغة العربية في تلك الفترة .

اما النقوش الثمودية والصفرية واللحيانية فتعتبر من اهم مصادرنا للتعرف على المرحلة المبكرة في تاريخ العربية ، وقد وجدت هذه النقوش في أماكن كثيرة من المنطقة شبه الرعوية بين صحراء الجزيرة العربية والمناطق الزراعية في الشام والعراق وكذلك في شبه جزيرة سيناء ، وتختلف هذه النقوش من ناحية جودة الكتابة ووضوحها ، فبعضها كتب بعناية ودقة واهتمام والبعض الآخر كتبه أفراد بسطاء دون اهتمام بالرونق والجمال ويطلق على النوع الاخير اسم الجرافيتي او المخريشات . وكل هذه النقوش مدونة بخط يشبه الى حد ما الخط المسند الذي عرفته الصحف في عصورنا القديمة ، ويختلف شكل الخط المسند عن الخط العربي الشمالي اختلافا أساسيا ، ولكن هذا وذاك يشتركان في خاصية واحدة فقد عنوا بالاصوات الساكنة دون حركات قصيرة فنحن نكتب الكاف والتاء والباء للتعبير عن كتب وكتب وكتب .. الخ . وشبيه

العموم . وفي لغة الهوروليين (Hurons) من السكان الاصليين لأمريكا الشمالية) يوجد لكل حالة من حالات الفعل المتعدى لفظ خاص بها ، ولكن لا يوجد للفعل نفسه لفظ يدل عليه ، فيوجد لفظ للتعبير عن الاكل في حالة تعلقه بالخبز ولفظ آخر للتعبير عنه في حالة تعلقه باللحم ، وثالث في حالة تعلقه بالزبد ، ورابع في حالة تعلقه بالوز .. وهكذا ، ولكن لا يوجد فعل ولا مصدر للدلالة على الاكل على العموم او الاكل في زمن ما (7) . ولفظ السكان الاصليين لجزيرة نسمانيا (يقرب استراليا) لا يوجد بين مفرداتها لفظ يدل على الصفة فاذا ارادوا وصف شيء لجأوا الى تشبيهه بأخر مشتمل على الصفة المقصودة فيقولون مثلا : « فلان كشجرة كذا » اذا ارادوا وصفه بالطول (8) . « فمه » (9) الظواهر التي تلاحظ في اللغات البدائية قد اختلفت منذ هذا العهد السحيق ، فظهور الاسماء الكلية بالنسبة لاسماء بعض الحيوانات او بعض النباتات او بعض الاعمال وكذلك ظهور الاعداد من 1 : 1000 يعني ان اللغة قد دخلت فعلا في مرحلة حضارية . كما ان ظهور فعل كتب بالذات له دلالة التي لا تخفى على تقدم هذه المرحلة .

على ان ذلك لا يعني ان الدراسات السامية الحديثة قد استطاعت ان تزيح الغموض الشديد الذي يلف تاريخ تطور اللغة العربية حتى تاريخ ازدهارها في القرنين السابقين على الاسلام . وذلك لان هذه اللغة لم تتطور وتم عن طريق الكتابة او على ايدى المدرسين . وانما نمت وتطورت حتى ازدهارها فوق الرمال المتحركة عن طريق الحفظ والتلقين ، والتدريب الاجتماعي جيلا بعد جيل ، مما جعلهم يعتزون بالرواية الشفهية الى ابعد الحدود حيث انها كانت الوسيلة الوحيدة لحفظ تراثهم وتاريخهم ولغتهم وحضارتهم ، وحتى رأينا هذا الحب يترك اثره الواضح حتى بعد انتشار الكتابة وعصر التدوين مما جعل سلسلة الاسناد بالرواية الشفهية يدخل في امهات الكتب المدونة في مختلف فروع العلوم ، وحتى رأينا العلماء ولا يجيزون

Rilot... ; P 110 (7)

Rilot... ; P 204 (8)

(9) اللغة والمجتمع ، عبد الواحد ص 14 : 17 .

(10) طبقات ابن سلام ص 6 .

شيعة ، حرة ، غلام ، وهذه الالفاظ مما نعرفه في العربية .

وهناك أوجه خلاف بينها وبين العربية التي نعرفها نوزن هفعل يستخدم في اللحيانة ضمن أوزان التعدية ونحن نعلم أن العربية تعرف مقابل هذا وزن أفعل مثل أذهب أكرم ، أما وزن هفعل فنجده في النقوش اللحيانية في الفعل همتع أى متع بالصحة ، وهذا الوزن غريب عن العربية . وفوق هذا فإدانة التعريف في النقوش اللحيانية هي الهاء على نفس النحو الذى نعرفه في اللغة العبرية ، هذا ولم تكن الجماعات السامية القديمة فيما يبدو تستخدم أداة للتعريف تطورت كل لغة سامية وسائلها الخاصة بها للتعريف نال في العربية تقابل الهاء في العبرية . أما الآرامية فعرفت الفتحة في آخر الاسم وسيلة لتعريفه .

وفوق هذا وذاك فكل النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية تشترك في عدد من الخصائص اللغوية الأساسية التي تأخذها من كتاباتهم بإمكانياتها التعبيرية المحدودة مما يجعلنا نقول أنها من اللهجات العربية المبكرة . غير أن اللهجات لا تمثل العربية الفصحى المتطورة التي وصلتنا في الشعر الجاهلى والقرآن الكريم . فهناك فرق بين وجود بعض الظواهر اللغوية الصرفية أو المعجمية المشتركة وبين كون هذه النقوش مرحلة في طريق التطور الطويل الذى عرفته العربية من العهد السامى القديم قبل القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وحتى وصلت في الشعر الجاهلى الى مستوى رفيع .

وليس الثموديون والصفويون واللحيانيون وحدهم هم أصحاب النقوش التي وجدناها في صحراء الشام والعراق ، فالنبط أيضا شعب عربى ونعرف هذا من أسماء الأعلام عندهم ولكنهم لم يكتبوا بالعربية وكتبوا بالآرامية وهى لغة الحياة الدولية آنذاك ، ولكن للنبط أهمية كبرى في تاريخ العربية وخطوطها فالنبط هم من علموا العرب كيف يكتبون ، والخط النبطى هو صورة متطورة عن الخط الآرامى وهو أساس الخط العربى وقد استطاع الباحثون في تاريخ الكتابة تتبع المراحل التي تطورت بالخط عبر النبط حتى وصل الى الصورة التي نعرفها في أقدم النقوش المدونة بالخط العربى الشمالى وأقدم هذه النقوش المدونة بالخط

بهذا ما عرفناه في هذه النقوش فهى كتابة لا تعبر الحركات القصيرة حظها من الاهتمام ، ومن ثم كان استخراج الظواهر اللغوية من هذا الهيكل الكتابى صعبا . فى بعض الظواهر مستحيلا فى بعض الظواهر الأخرى .

تعرف النقوش الثمودية عددا كبيرا من الظواهر التي نعرفها فى العربية ، ففيها وفرة من الأفعال التي نعرفها فى العربية حق المعرفة مثل : علم حل بات رعى رهب بان كتم رد عشق ، وتعريف النقوش الفعل بوزن فاعل مثل : ساعد وبوزن أفعل مثل أبتسر ، وتعريف النقوش الثمودية كذلك عددا من حروف الجر مثل الى والباء وفى ومن واللام ، وعددا آخر من المفردات الشائعة فى العربية مثل جمل فاقه فرس وعل فلان فلانة آل أسير اسد ذكر حزم ظلم نصر . نعم سلامة سعادة ، وهناك عدد من أسماء الأعلام العربية وردت فى النقوش الثمودية مثل أحمد وبدر ووائل وزيد وحليم وطاهرة وظريف وكلب ولبيد ومطر ومكين وحضر ومروان ونوفل وضيف وأمين وشهر ، فكل هذه الظواهر والكلمات التي نعرفها اليوم وردت فى النقوش الثمودية التي يؤرخها معظم الباحثين من القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد والى القرن الثالث الميلادى ، وهكذا نجد أن عمر كثير من الظواهر فى العربية يرجع على أقرب تقدير الى هذه الفترة .

أما النقوش الصفوية ففيها ظواهر كثيرة تجعل الباحثين يقررون أنها تمثل لهجة عربية شمالية فنجد فيها الأفعال : ندم وتشوق ولعن ونهل وسمع وعور وقتل ورعى ، ومن الأسماء الشائعة فيها : فرس حنان ضال خيل خال خمسة كبير ملك معزى سطر عشرة ضيف رواح قبر ضريح . وبجانب هذا يوجد عدد كبير من أسماء الأعلام العربية ترد فى هذه النقوش مثل أذنيه جمال همام وهب ورد حبيب سالم سميع سرى سعد غاتم نهر صباح تيم معن ..

أما المجموعة الثالثة من النقوش فهى النقوش اللحيانية ، وهذه النقوش تعرفنا كثيرا من الخصائص التي تجعل الباحثين يدرجونها فى اللهجات العربية المبكرة ولتقرأ فيها الأسماء الآتية : عبد ، رب ، يوم ، بيت ، رأى ، عرض ، نعم ، ملك ، صام ، مرأة ،

العربي نقش زيد المؤرخ سنة 512 م ، ونقش حوران سنة 568 م ، ونقش أم الجبال الذي يؤرخ أيضا بالقرن السادس الميلادي أي أنها من تاريخ متأخر نسبيا إذا تورنت بالنقوش التي وصلتنا باللغات السامية الأخرى .

فأهمية النبط في هذا المقام ترجع إلى دورهم في تطور الكتابة وتعليمها لغيرهم من العرب ، أن النقوش النمودية والصفوية والليانية تفيد في دراسة العربية ، ولكن لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لا تعتبر الامتداد المباشر للغة هذ النقوش ان هذه اللغة العربية قد وصلتنا في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم في صورة مصقولة متبلورة « (11) » .

2 - اللهجات :

تعد اللهجات ميدانا هاما جدا اذا نظر اليه في ضوء اللغة الثقافية التي روى بها الشعر القديم ونزل بها القرآن الكريم . اما الشعر القديم فقد روى بلغة موحدة لا اثر فيها للهجات القبائل الخاصة التي ينتسب اليها الشعراء « ونحن حين نستعرض شعراء ربيعة تلك القبيلة التي عرفت بالكشكشة لا نكاد نلمح اثرا لتلك الصفة في شعر شعرائها ، ورواية شعر فيه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الاوزان الشعرية .

بل حين نرجع إلى ديوان الهذليين لنستشف منه الصفات التي عرفت بها لهجة هذيل كالفحفة أو تسهيل الهمز أو الاستنطاق ، لا نكاد نعثر على اثر لها في اشعارهم . وكل الذي نراه في الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدو أن يكون بضع كلمات قيل لنا انها بلفظها ومعناها قد اقتصت بها هذيل مثل ابل ضحضاح أي كثيرة ولا يعرف هذا غير هذيل والخبطة أي الوتد ، ومعناها فقط مثل : الطرف بمعنى الفتى . الكريم والخخش بمعنى الخشف وهناك كلمات وردت بالديوان في صيغة مخالفة لما اشتهر عنها مثل سبيج بمعنى سمج ونجد بمعنى نجد ، والسبب بمعنى السبب أي الحبل . ويوصف كل هذا بأنه لغة هذيل .

ويظهر أن شراح الديوان حين كان يعيهم تفسر كلمة من الكلمات أو تبرير صيغتها كانوا يعمدون إلى

(11) اللغة العربية عبر القرون ص 29 : 33

(12) في اللهجات العربية أنيس ص 43 : 44 .

إلى القول بأنها لهجة هذيل : فليس ما ورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعا من محاكات المفسرين والشرح « (12) » .

وأما بصدد القرآن فقد ظهر اختلاف اللهجات هذا أول ما ظهر في القراءات القرآنية . روى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « دخلت المسجد أصلى . فدخل رجل فافتتح النمل ، فقرأ ، فخالفني في القراءة فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم جاء رجل فقام يصلى فقرأ وافتتح النمل فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما ، فانطلقت بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : استقرىء هذين ، فاستقرا أحدهما وقال : أحسنت فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية . ثم استقرا الآخر وقال : أحسنت . فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده فقال : أعيذك بالله يا أباي من الشك ثم قال : ان جبريل عليه السلام أتاني فقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف من أمتي ، ثم عاد وقال : ان ربك عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة أحرف « (النشر في القراءات العشر لابن الجوزي) . ومن الواضح من هذا الحديث وغيره من الأحاديث أن العرب كانوا يستعملون في حديثهم اليومي لهجات متعددة تختلف إلى حد ما عن اللغة الفصحى التي روى بها الشعر ونزل بها القرآن ، وأن الرسول راعى اختلاف هذه اللهجات في أقرائه القبائل للقرآن تيسيرا للقراءة عليهم حتى لا ينفروا وأنه استأذن ربه في هذا التيسير فأذن له .

اختلاف اللهجات :

وحيث بدأ اللغويون في تدوين اللغة ، وأخذ النحويون في تفعيل قواعدهم لاحظوا فروقا بين لغة الشعر ولغة الحديث ثم بين لهجات الحديث المختلفة

فسجلوا هذه الفروق ، فمنها ما نسبوه الى اهل ، ومنها ما اكتفوا بايراده .

ويشتمل هذا الاختلاف على ظواهر صوتية ، ونحوية ولغوية تتعلق ببنية الكلمة ودلالاتها والاشترك والترادف وغيره من الظواهر اللغوية وسنعرض لهذه المسائل جميعا في تركيز شديد .

1 - الناحية الصوتية : من ظواهر الاختلاف الصوتية :

(1) الفتح والامالة : اجمع علماء العربية على نسبة الفتح لاهل الحجاز وعلى نسبة الامالة الى قبائل نجد ، ولا نريد ان نتعرض لدراسة الفتح والامالة من الناحية الصوتية فهذا ليس موضوع بحثنا ، وانما نشير فقط الى نوع الاختلاف فاهل الحجاز ينطقون مثل : باع وقال بفتح الباء والمد بالالف بينما ينطقها اهل نجد بالامالة اما الى الكسر فيقولون يبيع او الى الضم فيقولون بوع حسب اختلاف القبائل .

(2) الادغام وتسمى هذه الظاهرة عند المحدثين ASSIMILATION وهي تاتي نتيجة لتأثر الاصوات في المخرج بعضها ببعض .

وينقسم الادغام الى قسمين : كبير وهو الذي يفصل فيه بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير (اى حركة) وقد نسب هذا الادغام الى ابي عمرو بن العلاء احد القراء السبعة . وهذا النوع من الادغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل ان يتحقق فضلا عن انه ينسب الى قبيلة خاصة عرفت به وآثرته في نطقها . صغير وهو الذي يتجاوز فيه الصوتان الساكنان ، دون فاصل اصوات العين (13) ويظهر ان القبائل التي اثرت في البيئة العراقية بعد الاسلام تميل لهجتها بوجه عام الى الادغام ، وان قبائل الحجاز كانت تميل الى الازهارة ، ويستأنس لذلك بان تمينا وهي من قبائل وسط الجزيرة كانت تقول : « محم » بدلا من « معهم » فقد قبلت العين المهجورة الى نظيرها المهموس وهو الحاء لجاورتها لصوت مهموس وهو الهاء ، ثم ادغمت الهاء في الحاء ادغاما تقديما ، وروى عن تميم انها تقول « فزد » بدلا

من « فزت » اى ان القاف المهموسة قد قلبت الى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لجاورتها لصوت مجهور وهو الزاي (14) .

3 - الهمز :

تكاد تجمع الروايات على ان قبيلة تميم تلتزم تحقيق الهمز في حين ان قريشا تتخلص من الهمزة بحذفها او تسهيلها او قلبها الى حرف مد . فنقول : تميم : رأس ، يثر ، لؤم ، وتقول قريش : رأس ، بير ، لوم .

4 - الكسر والضم :

والكسر هو لهجة الحجاز اى الضم فلهجة تميم يقول الحجازيون : اسوة ، سرية ، غلظة ، عدوة ، عشوة قدوة بكسر الاول يقول التميميون : اسوة ، سرية ، غلظة ، عدوة ، عشوة ، قدوة بضم الاول .

5 - الشدة والرخاوة :

تميل القبائل البدوية الى الاصوات الشديدة في نطقها على العكس من اهل المدن . فالباء والتاء والدال والكاف ، وغيرها من الاصوات الشديدة تميل في نطقها على الترتيب الى الفاء والسين والزاي والشين .

6 - جهر الاصوات وهمسها :

تميل القبائل البدوية الى جهر بعض الاصوات بينما تميل قبائل الحضرة الى همسها مثال ذلك ان هذيل تغلب في لهجتها (الحاء عينا) فنقول : اللحم بدلا من اللحم ، والاعمر بدلا من الاحمر واعسن بدلا من احسن ، وقرا ابن مسعود في هذه اللهجة (عسى عين) بدلا من (حتى حين) .

7 - التضخيم والترقيق :

تميل القبائل بوجه عام الى اصوات التضخيم في حين تميل القبائل الحضرية الى الترقيق ، ولذلك تظهر اصوات الاطباق وهي الصاد والظاء والضاد والطاء في نطق القبائل الاولى بينما تميل الاخرى

(13) في اللجنة العربية : انيس 20 : 71

(14) نفس المصدر 73 .

الى التخلص منها فتقلب الصاد مثلا سينا فتقول سراط
بدلا من صراط .

8 - سرعة النطق :

تميل القبائل البدوية الى السرعة في نطقها
فتدغم الاصوات بعضها في بعض ، وتسقط منها ما
يمكن الاستغناء عنه دون اخلال بنهم السامع .

لهجات مشهورة :

ترتب على هذه الاختلافات الصوتية وجود
لهجات اشتهرت نسبتها الى بعض القبائل منها :

« الكشكشة » ، وهي في ربيعة ومضر ، يجعلون
بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا فيقولون : رايتكش ،
ويكش ، وعليكش ، فمنهم من يثبتها في حالة الوقف
نقط ، وهو الاشهر ومنهم من يبيتها في الوصل ايضا
ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرهما في الوصل
ويسكنها في الوقف ، فيقول ، منش وعليش .

ومنها : اللشكشة وهي في ربيعة ومضر ،
يجعلون بعد الكاف او مكانها في الذكر سينا على ما
تقدم .

ومنها العنمنة وهي في كثير من العرب في لغة
تيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون
في ائك عنك وفي اسلم عسلم ، وفي اذن عذن ومنها :
الفحفحة في لغة هذيل ، يجعلون الحاء عينا .

ومنها : الوكم في لغة ربيعة ، وهم قوم من
كلب ، يقولون : عليكم ويكم ، وحيث كان قبل الكاف
ياء او كسرة .

ومنها : الوهم في لغة كلب ، يقولون : منهم
وعنهم ، وبينهم ، وان لم يكن قبل الهاء ياء او كسرة .

ومنها : المعججة في لغة تضاعة ، يجعلون الياء
المشدودة جيما يقولون في تيسى تيج .

ومنها : الاستنطاء في لغة سعد بن بكر ، وهذيل ،

والازد ، وقيس ، والانصار ، تجعل العين الساكنة
نونا اذا جاورت الطاء كاتطي في اعطى .

ومنها : الوتم في لغة اليمن ، تجعل السين تاء
كالنات في الناس .

ومنها : الشنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شيئا
مطلقا كلبيش اللهم لبيش اي لبك .

ومنها : اللخلخانية في لغة اعراب الشحر وعمان
كتولهم : مشا الله كان اي ما شاء الله كان .

ومنها الطمطماتية في لغة حمر كتولهم : طاب
اسهواء : اي طاب الهواء « (15) » .

ب - الناحية الاعرابية والنحوية :

روى النحاة عدة مسائل اعرابية مختلف عليها
وعلوا هذا الاختلاف بأنه اختلاف لهجات من هذه
المسائل :

(1) ان ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقا ،
ولكن بنى تميم يرفعونه اذا اقترن (بالا) حملا لها
على (ما) .

(2) قسم النحلة (ما) النافية الى حجازية
وتبسية وقرروا ان خبر (ما) يكون منصوبا عند
الحجازيين ، ومرفوعا عند التبسيين .

(3) ينصب الخبر بعد (ان) النافية في لهجة
اهل العالية ، ويروى انه سمع من بعضهم (ان احد
خيرا من احد الا بالعافية) .

(4) يصرف بنو اسد مالا ينصرف ، ويقع منهم
ذلك فيما علة منه الوصفية وزيادة الالف والنون
فيقولون (لست بسكران) .

(5) تنصب تميم تمييز (كم) الخبرية مفردا ،
وغيرهم يوجب جره ، ويجيزون افراده وجمعه فبنو
تميم يقولون كم درهما أنفقت وغيرهم يقولون : كم
درهم أنفقت .

(15) الزهر للسيوطي ج 1 ص 221 : 223 ، وانظر فقه اللغة ، عبد الواحد ص 120 وانظر فقه اللغة
لابن فارس ص 24 وما بعدها .

ومنها : الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفا معتلا ،
نحو اما زيد ، وايا زيد .

ومنها : الاختلاف في الامالة والتقويم مثل قضى ومدى .
فبعضهم يفخم وبعضهم يميل .

ومنها : الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله .
فمنهم من يكسر الاول ومنهم من يضم ، نحو :
اشتروا الضلالة .

ومنها : الاختلاف في التذكير والتانيث ، فان من العرب
من يقول : هذه البقر ، وهذه النخل ، ومنهم
من يقول : هذا البقر ، وهذا النخل .

ومنها : الاختلاف في الادغام نحو : مهتدون ومهدون .
ومنها : الاختلاف في الاعراب نحو : ما زيد قائما :
وما زيد قائم ، وان هذين ، وان هذان .

ومنها : الاختلاف في صور الجمع نحو : اسرى واسارى
ومنها : الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو : يامرکم
ويامرکم ، وعفى له وعفى له .

ومنها : الاختلاف في الوقف على هاء التانيث مثل :
هذه امه ، وهذه ايت .

ومنها : الاختلاف في الزيادة نحو : انظر ، وانظور (16)

د - اختلاف دلالة الكلمة .. التضاد :

وهو ان تدل الكلمة الواحدة على معنيين
متناقضين ، وقد اختلف حول وضع العرب الكلمة
الواحدة للمعنيين المتضادين او انكار ذلك . وقد الف في
الاضداد جماعة من ائمة اللغة ، منهم قطرب ، والتوزي ،
وابو بكر بن الابباري ، وابو البركات بن الانباري ،
وابن الدهان ، والساغاني « (17) ، ولكن بحثهم في
تأييد وجود التضاد او نفيه لم يسر مع
الاسف في الطريق الصحيح فكل من الفريقين قد ايد
وجهة نظره بحجج منطقية تدور حول ما يجب ومالا

(6) تعمل (لعل) عمل الجر عند عقيل : قال
شاعرهم : لعل الله فضلكم علينا .

(7) تعمل (متى) عمل (من) الجارة عند هذيل ،
قال شاعرهم :

شربين بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضمر لهن نتيج

(8) نصب الاسم والخبر (بليت) لغة تميم او رؤية
الذي هو من تميم .

(9) مطابقة الفعل لفاعله في الامراد والتثنية
والجمع وهو من خصائص لهجة طيء وتسمى هذه
اللغة (بلغة اكلوني البراغيث) .

ج - اختلاف بنية الكلمة :

قال ابن فارس في فقه اللغة : اختلاف لغات
العرب من وجوه :

احدها : الاختلاف في الحركات نحو نستعين
ونستعين بفتح التون وكسرها ، قال الفراء : هي
مفتوحة في لغة قريش واسد وغيرهم يكسرها .

والوجه الآخر وهو الاختلاف في الحركة والسكون
نحو معكم ومعكم .

ووجه آخر : وهو الاختلاف في ابدال الحروف ،
نحو : اولئك واولئك ومنها قولهم : ان زيدا وعن زيدا .

وبعد ذلك : الاختلاف في الهزة والتلين نحو
مستهزلون ومستهزون .

ومنها : الاختلاف في التقديم والتاخير نحو
صاعقة وصاعقة .

ومنها : الاختلاف في الحذف والاثبات نحو استحيت
واستحيت .

(16) الزهر للسيوطي ج 1 ص 255 : 256 ، وفقه اللغة لابن فارس ص 19 : 21 ، وقد مر بعض
هذه الاختلافات في الصوتيات .

(17) الزهر ج 1 ص 387 .

الواحد بمعنى وتستعمله الأخرى بمعنى واطرد هذا في بقية الالفاظ أمكن القول بهذا الرأي الذي ذهب إليه الآخرون ، وإذا تبين أن القبيلة الواحدة تستعمل اللفظ الواحد لمعنيين مختلفين وأن هذا يطرد في بقية الالفاظ قلنا أن العرب تضع اللفظ الواحد لمعنيين متضادين ، ثم نبحث بعدها لذلك عن علة وسبب ، ولهذا عن سبب آخر .

ومن هذا القبيل ما رواه الأزدي في كتاب الترتيمص : أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا عن عبد الرحمن عن عنه قال : خرج رجل من بنى كلاب ، أو من سائر بنى عامر بن صعصعة إلى ذي جعدن ، فاطلع إلى سطح ، والملك عليه ؟ فلما رآه الملك اختبره فقال له ثب أي اتعد . فقال : ليتعلم الملك أنني سماع مطيع ، ثم وثب من السطح فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ؟ ؟ أن الوثب في كلام نزار الطمر . فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ، من ظفر حمر . أي من أراد أن يقيم بظفائر فليتكلم بالحميرية . فعلى الرغم من الصنعة الواضحة في كل خطوة من خطوات هذا الخبر ، فقد كنا نتمنى أن يتجه اللغويون هذا الاتجاه بصورة أكثر واقعية مع الفاظ مثل : الصريم بمعنى الصبح والليل ؟ والسدفة بمعنى الظلمة والضوء ، والقرء بمعنى الطهر والحيض . الخ . بصورة تمكننا من معرفة كيفية تداخل اللهجات ، وتطورها إلى الأرقى عن طريق الاحتكاك ثم الانتخاب .

هـ - المشترك اللفظي :

وهو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى في وقت واحد ، وقد اختلفوا أيضا في المشترك اللفظي « فالأكثر على أنه ممكن الوقوع ، لجواز أن يقع أما من واضعين ، بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في أمانته للمعنيين ، وهذا على أن اللغات غير توقيفية ، وأما ومن واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة كما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وقد سأله

يجب . فقد « ذكر صاحب الحاصل : أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد ، لأن المشترك يجب فيه أفاة التردد بين معنييه ، والتردد بين النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ » (18) ويقول « أبو بكر الأنباري في أول كتابه (الأضداد) : هذا كتاب ذكر الحروف التي توتمها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤيدا عن معنيين مختلفين 397 » ثم أصبح التضاد ما ملخصه أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ومن ذلك قول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جليل
والفتى يسمى ويليه الأمل

فدل ما تقدم قبل « جليل » وتأخر بعده ، على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجليل هنا معناه عظيم (19) .

وذهب بعضهم إلى أن الحرف إذا وقع على معنيين متضادين فبحال أن يكون العربي قد أوقعه عليهما بمساواة بينهما ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سجع بعضهم لفة بعض فأخذ هؤلاء من هؤلاء . قالوا : فالجون الأبيض في لفة حى من العرب ، والجون الأسود في لفة حى آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر كما قالت قريش : حسب يحسب . فكان من حسب من لغتهم في أنفسهم ويحسب لفة لغيرهم ، سموها منهم فتكلموا بها ، ولم يضع أصل البناء على يفعل (20) والرأي الأخير كان من الممكن أن يقودنا إلى شيء هام لو أنه بنى على أساس استقرائي إحصائي بدلا من الأساس المنطقي بمعنى أن نتتبع أصحاب هذا الرأي المتضاد في لهجات القبائل ثم يقومون بإحصائه ثم تصنيفه حسب القبائل ، فإذا تبين أن بعض القبائل تستعمل اللفظ

(18) الزهر للسيوطي ج 1 ص 397 ، الأضداد في اللغة للأنباري ص 2 .

(19) الزهر للسيوطي ج 1 ص 397 : 398 ، الأضداد للأنباري ص 2 : 3 .

(20) الزهر ج 1 ص 401 : 402 ، الأضداد ص 10 .

وهلال السيد : وهو شبيه بالهلال يمرتب به حبار
الوحش وهلال الفحل : وهو الدوابة والهلال : القطعة
من الغبار . وهلال الاصبع : المطيف بالظفر ، والهلال
قطعة ، والهلال : الحية اذا سلخت ، والهلال :
باقى الماء في الحوض ، والهلال : الجمل الذى قد اكثر
الضراب حتى هزل .

وواضح ان اكثر ذلك ياتى من باب المجاز وهو
من اهم الابواب التى تطورت بها اللغة ونمت
واتسعت .

و - المتاردفات :

وهو ان يدل اكثر من لفظ واحد على معنى واحد
في وقت واحد ، وكما اختلفوا في الاشتراك والقضاء
واختلفوا ايضا في المترادف فمنهم من امر المترادف :
ومنهم من انكره ، ومنهم من يقف عند حد الاعتدال
ومنهم يركب متن الشطط . (22)

ورائنا في الترادف كراينا في التضاد والاشتراك
وهو انه لا يتصور ان يكون الشيء الواحد قد سمي
باسماء متعددة ابتداء ، وانما المتصور ان يكون الشيء
الواحد قد وضع له لفظ واحد ابتداء ، ثم مع التطور
والاحتكاك وكثرة الاستعمال واستمراره اخذت تظهر
لشيء الواحد أسماء اخرى لاسباب متباينة ، او ان
يكون الشيء الواحد قد وضعت له أسماء مختلفة في
وقت واحد في جهات متعددة . ثم حصل احتكاك
واختلاط اختلطت معه الاسماء على الشيء الواحد
واشتهرت عليه ، ولناخذ لذلك مثلا الاسماء التى
ذكرها ابن خالويه للسيف ، جاء « في شرح الدردير .
الصارم ، والزداء ، والخليل ، والقضيب ، والصفحة ،
والمفتر ، والصهامة ، والماتور ، والمقضب ، والكتهام ،
والاثيث ، والمعصد ، والجراز ، واللدن والفطار ،
وذو الكريهة ، والمشرقي ، والقساسى ، والمعضب ،
والحسام ، والمخكر ، والهذام ، والهذوم ، والمنصل ،
والهذاذ ، والهذهاذ ، والهذاهذ ، والمخصل ، والهزم ،
والقاضب ، والمصمم ، والمطبق ، والضريبة ،
والهندوانى ، والمهند ، والصقيل ، والابيض ، والغمر ،

رجل عن النبى صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما
الى الغار : من هذا ؟ قال : هذا رجل يهدينى السبيل .

والاكثرون ايضا على انه واتع لنقل اهل اللغة
ذلك في كثير من الالفاظ ومن الناس من اوجب وقوعه
— قال : لان المعانى غير متناهية والالفاظ متناهية ،
فاذا وزع لزم الاشتراك .

وذهب بعضهم الى ان الاشتراك اغلب — قال :
لان الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ،
والانعمال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ،
والمضارع كذلك ، وهو ايضا مشترك بين الحال
والاستقبال ، والاسماء اكثر فيها الاشتراك فاذا
ضمناها الى تسمى الحروف والانعمال كان الاشتراك
اغلب (21) .

وواضح هنا ايضا ان الخلاف جدلى في جوهره ،
غير ان دلالة المشترك اللفظى على التطور لا يمكن
ان يكون محل شك لانه لا يمكن تصور ان يكون اللفظ
الواحد قد وضع ابتداء للدلالة على مجموعة من
المعانى المشتركة وانما المتصور انه يكون اللفظ وضع
للدلالة على شيء حى في الغالب ثم جرد بالمجاز للدلالة
على شيء معنوى ، ومثل الاوز جمع اوزة لهذا الطائر
المعروف ورجل اوز بمعنى غليظ ، ومثل العين بمعنى
الحاسة البصرة والعين بمعنى الجاسوس والعين
بمعنى ينبوع الماء ..

اما الالفاظ المشتركة بين عدة معان حسية فاما
ان يكون الاصل فيها واحدا ثم وضع لغيره لمشابهة
بين الاثنين ، او ان تكون احدى القبائل قد وضعت
اللفظ لشيء ثم وضعت قبيلة اخرى نفس الاسم لشيء
وثالثة لشيء آخر وكذا ، من ذلك لفظ الأرض ، جاء
في الصحاح : الأرض المعروفة ، وكل ما سفلى فهو
أرض ، والأرض أسفل قوائم الدابة والأرض : النفضة
والرعدة . قال ابن عباس في يوم زلزلة : ازلزلت
الأرض أم بي أرض ، والأرض : الزكام ، والأرض :
مصدر أرضت الخشبة لتؤرض أرضا فهي ما أرضته
اذا اكلتها الأرضة وفي الجهمرة : الهلال : هلال السماء

(21) المزهري ص 369 : 370 ، وانظر فقه اللغة لابن فارس ص 65 وما بعدها .

(22) انظر المزهري للسيوطي ج 1 ص 402 : 403 .

والمعققة ، والمبين ، وهو الذى لا يقطع ، والهنديكى
ايضا ، فى شعر كثير « (23) .

فنحن نستطيع بمجرد النظر ان نرد بعض هذه
الاسماء الى النسبة ، مثل الهندوانسى ، والمهند ،
والهنديكى ، كما نستطيع بمجرد النظر ان نرد بعض
هذه الاسماء الى الصفة مثل : الصارم من الصرم وهو
القطع ، والخليل : من صاحب ، واللدن من اللادن
وهو المرن ، والابيض بالنظر الى لونه الصاقى ،
والصقيل بالنظر الى لمعانه ، والمتين بالنظر الى
صلابته .

فاذا تأكد لنا ان بعضا من هذه المترادفات ما
تزال واضحة الاصل الى الحد الذى يمكن معها ردها الى
اصولها من النسبة او الصفة دون رجوع الى المعاجم ،
امكن القول بان باتى الاسماء يمكن رده ايضا الى
صفات يمكن استخراجها من المعاجم كالتعاضب
والضريبة ، والعضب ، والرداء ، والمعققة ،
والغمر .. الخ . وهو اغلبها وان القليل جدا هو الذى
يتعذر الحصول على اصله . على اننا لا نذهب الى القول
بان هذه الاسماء كانت تستعمل ابدا منظورا الى
نسبتها او وظيفتها وانما نقول انها هكذا كانت ثم
غلبت فى الاستعمال كاسماء سواء وضحت عند السامع
نسبتها ووصفيتها لم لم تتضح ، وهذا الاصل واضح
جدا فى الصفات التى تطلق على افراد تحقيرا او
تدليلا او تعظيما ثم تغلب عليهم فتحل محل اسمائهم
الاصلية ، او تستعمل معها وهو ما يسمى باسماء
الشهرة وقد ايد المحدثون من علماء اللغات وتوسع
الترادف فى اى لغة من لغات البشر وذكروا لوتقوعه
شروطا اوردتها ابراهيم انيس ونوجزها فيما يلى :

(1) الاتفاق فى المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما فى
ذهن الكثرة الغالبة .

(2) الاتفاق فى البيئة اللغوية كان تنتمى الكلمتان
الى لهجة واحدة او مجموعة منسجمة من اللهجات .

(23) المزهر : ج 1 ص 409 : 410 .

(24) المزهر ج 1 ص 409 : 410 (1) فى اللهجات العربية ص 178 : 184 .

(25) المزهر ج 1 ص 407 : 413 .

(26) فقه اللغة ، عبد الواحد ص 163 .

(3) الاتفاق فى العصر كان تكون الكلمتان فى عهد
خاص وزمن معين وهى النظرة التى يعبرون عنها بكلمة
synchronic فلا يجوز ان تبحث الترادف بين كلمتين
احدهما من العصر العباسى والاخرى من العصر
الحديث مثلا .

(4) الا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتى
للفظ الاخر فلا نقارن بين (الجئل والجمل) بمعنى
النمل (24) .

ويشكل الترادف فى العربية بغزارته ظاهرة
استلقت نظر الباحثين قديما وحديثا ، فقد ألف فيه
بعضهم كتابا منهم « مجد الدين الفيروزابادى صاحب
القاموس ، ألف فيه كتابا اسماء الروض المسلوكة فيما
له اسمان الى الوف وافرد خلق من الائمة كتابا فى اشياء
مخصوصة ، فالف ابن خالويه كتابا فى اسماء الاسد ،
وكتبا فى اسماء الحية واورد صاحب القاموس فى كتابه
الذى سماه تزيين الاسل لتصنيف العسل للعسل
ثمانين اسما وكتب فيه ابن خالويه ، والقالى ،
والزجاجى ، وابن السكيت ، وثلث وغيرهم (25) .

وقد جمع ، فون هامر Von Hammer -
المفردات العربية المتصلة بالجمل وشؤونه . فوصلت
الى خمسة آلاف وستمائة واربعة واربعين (26) ويكشف
لنا الترادف بغزارته هذه عن التطور الكبير الذى مرت
به العربية من ناحيتين .

أولا - الناحية التاريخية :

والتي تتمثل فى :

(1) تاريخ طويل مر على هذه المفردات لكى
تشتق وتوضع جيلا بعد جيل حتى تتراكم على هذه
الصورة الهائلة فنحن لا ندري كم من الزمن احتاجه
اشتقاق 5644 اسما للجمل وشؤونه الا اننا نقطع ان
هذا الزمن لا بد ان يكون قد استغرق اجيالا كثيرة .

وانظر :

(2) كما تتمثل أيضا في الاحتكاك الطويل بين مختلف القبائل على تعاقب أجيال كثيرة يقرض بعضها بعضا ويأخذ بعضها من بعض ثم يتجمع هذا الرصيد ببطء ليصبح رصيذا لغويا مشتركا تستعمله اللغة الثقافية ، ويتصرف فيه الشعراء والخطباء وتتداوله السنة الناس دون تمييز .

ثانيا - الناحية الاشتقاقية :

وهي تمثل لنا مرونة عقلية ضخمة وقدرة اشترك فيها العرب على اختلاطهم على التصرف في المعانى بالمجاز ، وعلى نمو هذه المقترنة وتتوارثها جيلا بعد جيل حتى اثمرت ثمرتها في النهاية في خلق هذه اللغة الناضجة التي دون بها الشعر ونزل بها القرآن .

ز - بصمات أخرى للتطور :

على انا نجد بالاضافة الى كل ما سبق بصمات اخرى للتطور الذي مرت به اللغة العربية تتمثل فى كثير من المظاهر اللغوية التي نذكر منها :

(1) **الضعيف من اللغات** : وهو ما انحط عن درجة الفصحى ومنها في ديوان الفارابى اللهجة لغة في اللهجة وهي ضعيفة . وانيد نبذا لغة ضعيفة في نبذ واندمع لونه لغة ضعيفة في امتنع وتمندل بالمنديل لغة ضعيفة في تندل وواخاه لغة في آخاه وهي ضعيفة والامتحاء لغة ضعيفة في الامحاء (27) .

(2) **المتكسر** : وهو اضعف من الضعيف واقل استعمالا من امثلته في الجمهرة قال قوم : بلىق الدابة ، وهذا لا يعرف في اصل اللغة .

وفيهما : قال قوم : نبلة وحدة النبل . ولبس بالمعروف .

وفي الصحاح جرعت الماء بالفتح لغة انكرها الاصمعي والمعروف جرعت بالكسر (28) .

(3) **المتسوك** : وهو ما كان تديبا من اللغات ثم ترك واستعمل غيره وامثلة ذلك كثيرة في كتب اللغة .

قال في الجمهرة : اسماء الايام في الجاهلية : السبت : شبار - والاحد : اول والاثنين اهون واوهد والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة :

واسماء الشهور في الجاهلية المؤتمر وهو المحرم وصفر وهو ناجز وشهر ربيع الاول وهو خوان وقالوا خوان . وربيع الآخر وهو ويمان وجمادى الاولى الحنين ، وجمادى الآخرة ربي . ورجب : الاصم - وشعبان : عادل ، ورمضان نائق وشوال وعل وذو القعدة ورنه وذو الحجة برك (29) .

4 - الرديء والمضموم :

وهو اللهجات التي سبق الكلام عنها من كشكشة وكسكسه وقلقله . الخ .

(5) **الشاذ** : ومنه ما هو مطرد في القياس شاذ في الاستعمال وذلك نحو الماضي من بذر ويدع . وكذلك قولهم : مكان مبقل ، هذا هو القياس ، والاكثر فى السماع باقل ، والاول مسموع ايضا ابوزبير في كتاب « جيلة ومحالة » وانشد اعاشنى بعدك وادمبقل (30) والشاذ في القياس والاستعمال جميعا وهو كتتميم مفعول ما عينه واو او ياء نحو ثوب مصوون ومسك مدووف وخلقى البغداديون فرس تقوود ، ورجل معودود من قرضه (31) .

(6) ومن ذلك ايضا الحوشى والضرائب والنوادر : قال ابراهيم بن المهدي لكاتبه عبد الله بن صاعد : وايك وتتبع وحشى الكلام طمعا في نيل البلاغة ، فان ذلك هو العى الاكبر وعليك بما سهل مع تجنيك الفاظ السهل . والضرائب جمع غريبة ، وهي بمعنى الحوشى ، والشوارد جمع شاردة وهي ايضا بمعناها والنوادر الشواذ قال في الصحاح ندر الشيء ينذر ندورا سقط وشذ ومنه النوادر وقد ألف الاقدمون كتباً في

(27) المزهري ص 214 ج 1 .

(28) المزهري ص 218 .

(29) المزهري ج 1 ص 219 .

(30) المزهري ج 1 ص 227 ، 228 ، والخصائص لابن جنى ج 1 ص 101 .

(31) المزهري ج 1 ص 229 والخصائص ط ص 102 .

حزمه ومولاة بيته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفتدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة السنن اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (36) .

وقد حدد الاتدمون ايضا موطن هذه اللغة الثقافية وحصروها في نطاق معين من القبائل التي يمكن ان يقال انها تشكل وحدة حضارية تمثل مستوى خاصا من الثقافة نقل السيوطي عن ابي نصر الفارابي قوله في اول كتابه المسمى (بالالفاظ والحروف) كانت قريش اجود العرب انتقادا للانصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا ، وابينها ابانة عما في النفس والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعندهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، واسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ معظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة لم يؤخذ عن حضرى قط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ من لخم ولا من جذام لجاورتهم اهل مصر والتبطن ولا من تضاة وغسان لجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرعون بالعبانية (37) ولا من عبد القيس ولا من عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم (38) .

النوادر كنوادر ابي زيد ونوادر ابن الاعرابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وغيرهم ، وفي آخر الجهمرة ابواب معقودة للنوادر وفي الغريب المصنف لابي عبيد باب لنوادر الاسماء وباب لنوادر الاعمال والف الصنعاني كتابا لطيفا في شوارد اللغة ، ومن عبارات العلماء المستعملة في ذلك النادرة وهى بمعنى الشوارد (32) ومن امثلة النوادر في الاسماء البدرت : الرجل الدليل ، والحرش : الاثر ، والمعينة ساحل البحر (33) .

ومن امثلة النوادر في الافعال ما ذكره ابو عبيد في الغريب المصنف تمتعت بالشيء ذهبت ، تشاول القوم : تناول بعضهم بعضا عند القتال بالرمح ، خرج يستمى الوحش يطلبها (34) .

اللغة الثقافية :

يتضح لنا مما سبق ان هناك مراحل طويلة جدا من التطور مرت على اللغة العربية قبل ان تستكمل بناءها وادواتها علمية كانت او ادبية وقد ادرك القدماء هذا المعنى وعبروا عنه بقولهم « قال الفراء : كانت العرب القدماء تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا افصح العرب ، وخذت لغتهم من مستبشع اللغات ومستتبشع الالفاظ » (35) و « وقال ابن فارس في فقه اللغة : باب القول في افصح العرب . اخبرني ابو الحسن احمد بن محمد مولى بنى هاشم بقزوين قال حدثنا ابو الحسن محمد عبد عباس الحشكي قال : حدثنا اسماعيل بن ابي عبيد الله ، قال : اجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لاشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وايامهم ومحالهم ان قريشا افصح العرب السنة ، واصفاهم لغة ، وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار معهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا فطان

(32) المزهج ج 1 ص 234 .

(33) المزهج ج 1 ص 236 .

(34) المزهج ج 1 ص 237 .

(35) المزهج ج 1 ص 221 .

(36) المزهج ج 1 ص 209 : 210 ، فقه اللغة لابن فارس ص 231 .

(37) الاصح بالسريانية - اللسان العربي .

(38) المزهج ج 1 ص 211 : 212 .

دلالة التطور العقلية والنفسية :

وأذن فلا بد أن تكون اللغة التي نزل بها أفضل اللغات وأوسعها ، يقول ابن فارس في فقه اللغة : « لفة العرب أنضل اللغات وأوسعها ، قال تعالى : « وأنه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين (39) » فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف الكلام ، وهو البيان . وقال تعالى : « خلق الانسان علمه البيان » (40) فقدم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه ، وتفرد بإنشائه ، من شمس وقمر ، ونجم وشجر ، وغير ذلك من الخلائق المحكبة ، والنشاي المتقنة ، فلما خص سبحانه - اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه ووافقة دونه « (41) » .

ثم اخذ يعدد الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية من دون اللغات ، ومنها الترادف ، وقد سبق أن بينا في دراسة التطور اللغوى أن الترادف مسألة خلافية كما أن دلالة أسماء كثيرة على الشيء الواحد في نفس الوقت أدخل في باب الخصائص لانه لا مبرر أن يثبت دليل قاطع أن هذه الأسماء جميعا قد وضعت للشيء الواحد ابتداء ، وأنها لم تكن نتيجة تطور وتعارض واحتكاك قبل النظر فيما إذا كان لدلالة أسماء كثيرة على شيء واحد في وقت واحد مميزة في ذاته أم لا ثم تكلم عن القلب والاعراب ، والعروض ، وحفظ الانساب ، والهمز في عرض الكلام ، وبعض الحروف التي اختلفت بها العربية ، والتصريف والنظم الذي اختلف به العرب ، مثل قولهم عاد فلان شيخا ، وهو لم يكن شيخا قط . ومخالفة الظاهر كقولهم في المدح قاتله الله ما اشعره والاستعارة والحذف والاختصار .

وهي خصائص يقتضى اثباتها للغة العربية وحدها التحقق من شئين :

اولا : أن يثبت بالدراسة المقارنة أنها خصائص للغة العربية تنفرد بها دون اللغات .

ثانيا : أن يتأكد أن هذه الخصائص تصلح نفس ذاتها كميزة يتمدج بها ، فالاعراب مثلا ليس مما تنفرد

نستطيع بناء على ما سبق القول بأن الفكر العربى قد دخل مرحلة حضارية قبل ظهور الاسلام بما يزيد على 3000 آلاف سنة ، وظل طوال هذا التاريخ ينمو ويتطور فوجود الاصول السامية القديمة في العربية واستمرارها طوال التاريخ لا يدل على عزلة هذه اللغة خلف رمال الصحراء الشاسعة كما ذهب المستشرقون ، لان هذا القول لو كان صحيحا لتجدت هذه اللغة على حالها القديمة تلك ، ولما نمت وتطورت واتسعت هذا التطور والانتساع الهائل الذى يشهد به التطور الذى درسنا آثاره واللغة الثقافية التى سندرس بعض خصائصها ، بل أن ثلاثة آلاف سنة من العزلة كانت كهيئة بأن تقضى تماما على المرحلة التى تطمتمت اللغة الام في تطورها وتمرد اللهجات المتفرغة عنها الى مرحلة بدائية أو شبيهة بها - لان الانسان كائن اجتماعى لا ينمو ولا يتطور ولا يتحضر الا بالاحتكاك والاجتماع - وقد شاهدنا العكس من ذلك وهو استمرار اللغة في اتساعها ونموها وتطورها فلا بد أن بقاء هذه الاصول ونموها بالتجريد والاشتقاق والمجاز راجع الى حيوية هائلة في العقلية العربية مكنتها من الاستمرار والتطور وقدر كبير من حرية الإرادة والتصرف مكنتها من أن تستفيد من احتكاكها بالحضارات دون أن تفقد شخصيتها وأصالتها من جهة ، وأن تندفع في نموها وازدهارها من جهة أخرى .

ب - خصائص لغوية ذات دلالة فكرية :

تكلم العرب قديما عن خصائص اللغة العربية ، وكان الدافع لحديثهم عن الخصائص أحد سببين :

الاول : سبب دينى : وذلك لان اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، والقرآن كلام الله تعالى الذى لا يعلو عليه كلام ، والذى أعجز ببلاغته الانس والجن ،

(39) سورة الشعراء 191 : 195 .

(40) سورة الرحمن 3 : 4 .

(41) المزهر ج 1 ص 321 ، وفقه اللغة لابن فارس ص 12 .

به اللغة العربية ، وانما تشاركها فيه اخواتها الساميات كما ان الدراسات الحديثة تثير الشك في قيمته وفي اطراذه قبل الاسلام وهو اعتراض خطير لا بد من تحقيقه قبل اثبات الميزة او عديمها .

الثانى سبب عنصري : وذلك لان الشعوب المغلوبة وعلى رأسها الفرس ، لم يرتح بعض ابنائها لغلبة العرب عليهم لاسباب لا داعى للخوض فيها ، والمهم انهم طعنوا فيما طعنوا فيه في اللغة العربية ، وفيما يزعمه لها العرب من مزايا في الفصاحة والبلاغة والبيان ومما قالوه ما رواه الجاحظ « ومن احب ان يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ، ويتبحر في اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند . ومن احتاج الى العقل والادب ، والعلم بالمراتب والعبير والمثلثات ، والالفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة فليُنظر في سير الملوك . فهذه الفرس ورسائلها وخطبها والفاظها ، ومعانيها وهذه اليونان ورسائلها وخطبها ، وعللها وحكمها ، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف المستقوم من الصحة ، والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند في حكمها واسبابها وسيرها وعللها ، فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، عرف اين البيان والبلاغة ، واين تكاملت تلك الصناعة فكيف سقط على جميع الامم من المعروفين بتدقيق المعاني ، وتخير الالفاظ وتمييز الامور ، ان يشيروا بالقنا والعصى ، والقضبان والقسي كلا ، ولكنكم كنتم رعاة الابل والغنم . فحملتم العصى في الحضرة بفضل عادتكم لحملها في السفر ، وحملتوها في المدر ، بفضل عادتكم لحملها في الوبر ، وحملتوها في السلم ، بفضل عادتكم لحملها في الحرب . ولطول اعتباركم لمخاطبة الابل ، جفا كلامكم وغلظت مخارج اصواتكم ، حتى كأنكم اذا كلمتم الجلساء انما تخاطبون الصمان . وانما كان جل قتالكم بالعصى . ولذلك فخر الاعشى على سائر العرب فقال :

لسنا نقاتل بالعصى ولا نرامى بالحجارة
الا علالة او بدا هة تارح نهد الجزيرة (42)
وقد رد الجاحظ على هذه الاتهامات معددا

الخصائص التي تتميز بها عقلية العرب ولغتهم على سائر اللغات فقال « وجملة القول انا لا نعرف الخطب الا للعرب والفرس . فانما الهند فانما لهم معان مدونة وكتب مخلدة لا تضاف لرجل معروف ولا الى عالم موصوف وانما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة .

وليونانيين فلسفة وصناعة منطق . وكان صاحب المنطق نفسه بكى اللسان غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه وهم يزعمون ان جالينوس كان انطق الناس ، ولم يذكره بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة . ونفى الفرس خطباء ، الا ان كل كلام للفرس ، وكل معنى للمعجم فانما هو عن طول فكرة ، واجتهاد راي ، وطول خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثانی علم الاول ، وزيادة الثالث في علم الثانی ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم . وكل شيء للعرب فانما هو بديهية وارتجال ، وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة ، وانما هو ان يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، او حين يمنح على رأس بئر ، او يحدو ببعير ، او عند المتارعة او المناظرة او عند صراع او في حرب ، فما هو الا ان يصرف همه الى جملة المذهب ، والى العمود الذي اليه يتصد فنائيه المعاني ارسالا ، وتنتال عليه الالفاظ انثيالا يقيده على نفسه ولا يدرسه احد من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلمون وكان الكلام الجيد عندهم اظهر واكثر ، وهم عليه اقدر ، وله اقهر ، وكل واحد في نفسه انطق ويكائه من البيان ارفع وخطباؤهم للكلام اوجد ، والكلام عليهم اسهل ، وهو عليهم ايسر من ان يفتقروا الى تحفظ ، ويحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب وان شيئا هذا الذي في ايدينا جزء منه الا بالمقدار الذي لا يعلمه الا من احاط بقطر السحاب ، وعدد التراب ، وهو الله الذي يحيط بما كان والعالم بما سيكون .

(42) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج 3 ص 14 : 15 .

اساس ان اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالظروف التي يعيشها المجتمع فتتخلف بتخلفه وتتقدم بتقدمه وتنعكس عليها كافة الآثار العقلية والاجتماعية .

اما السبب فهو أننا نقيس عن طريق هذه الخصائص المستوى الحضارى للفرد عن طريق دراسة الظواهر التي تحتاج لعمليات عقلية وشروط نفسية خاصة لا توجد ولا تنمو ولا تتطور الا بواسطتها ومن خلالها .

وتد تبلورت لدينا هذه الخصائص ذات الدلالة الخاصة ، والتي سندرسها على الترتيب فيما يلي :

(1) الاشتقاق

(2) التجريد والمجاز

(3) الزمن كصيرورة .

1 - الفعل المضارع وما شابهه

ب - الابداز

الفصل الاول

(1) الاشتقاق :

تسم بعض العلماء الاشتقاق الى صغر وكبير واكبر والاشتقاق الصغر او الاصغر كما يسمى أيضا هو الاشتقاق الاساسى الذى بنيت عليه المادة المعجمية كلها وهو الذى يهنا أمره فى هذا البحث ، لانه من اخطر الاصول اللغوية دلالة على العمليات العقلية والنفسية المختلفة وارتباطها بها وهو يحتاج الى - ويبدل فى الوقت ذاته على - عدة عمليات مثل الملاحظة والجمع والترتيب والمقارنة والاستنتاج والادراك والخيال ورقة الاحساس ودقة التمييز فهو مقياس بالغ الاهمية لكل هذه العمليات على اختلافها وهو يستطيع ان يضع ايدينا على مقدرة العرب على الترقى من الحسى الى المعنوى وعلى التدرج فى الحسى والمعنوى ، وعلى ادراك العرب للعلاقات التى تربط الاشياء والكائنات بعضها ببعض .

ونحن - ابقاك الله - اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد والارجاز ومن المثنو والاسجاع ومن المزدوج وما لا يزودج فمعنا العلم ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع اشعر الناس اليوم ولا ارغمهم فى البيان ان يقول مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل .

ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل التى بأيدى الناس للفريس انها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة واذ كان مثل ابن المقفع وسهل ابن هارون ، وابى عبيد الله وعبد الحميد ، وغيلان يستطيعون ان يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير « (43) والجاحظ هنا يلقي الكلام على عواهنه، ويزسله ارسالا بلا تدقيق او تحقيق فما هذه البديهة التى يتحدث عنها ، وما حدها وما مداها وما الفرق بين البديهة والالهام بهذا المعنى وكيف يتفق هذا وما ورد من شعر يدل على اناة شديدة واعمال فكر شديد وهو الطابع الغالب على القصيدة الكاملة ، وكيف يتفق هذا مع تحكيك زهير لقصائده حتى يحول عليها الحول قبل اخراجها للناس ؟

وما هو الطبع وما حده وما مداه ؟ كلام مرسل لا يدل على شيء .

وكذلك الكلام عن السجع والازدواج والديباجة والرونق . كلام مرسل ، اذ لا يتصور ان ينفرد العرب مثل الديباجة والرونق دون غيرهم من الامم كما لا يمكن تصور تيمة حقيقية للسجع والازدواج خارج اطار معين وهكذا نجد ان الكلام عن الخصائص بسبب من الدين او بسبب من النعرة لم يؤسس على اساس سليم، ولم يعرف حقه من البحث والمقارنة .

ولكننا سنعترض هنا لبعض الخصائص اللغوية على اساس مختلف ولسبب مختلف .

اما الاساس فانا لا ننظر الى الخصائص من ناحية تفرد العربية بها ، وانما ننظر اليها من ناحية ارتباطها ببعض الخصائص العقلية ودلالاتها عليها ، او على

(43) البيان والتبيين ج 3 ص 27 : 29 .

(4) ان المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل
والفعل له امثلة مختلفة .

(5) ان الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر
وليس العكس .

(6) ان المصدر لا يجرى على سنن في القياس
ولو كان مشتقا من الفعل لما اختلف في اسماء الفاعلين
والمفعولين .

(7) ان المصدر ولو كان مشتقا من الفعل لدل
على ما في الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى
ثالث .

(8) ان المصدر لو كان مشتقا من الفعل لوجب
حذف الهمزة في مثل اكرم اكراما كما حذف في اسم
الفاعل والمفعول تحوم « يكرم وفكر » .

(9) ان الاصل في تسمية المصدر هو الموضوع
الذي يصدر عنه . وكل هذا دليل على ان المصدر اصل
والفعل فرع .

ويلاحظ على ادلة الفريقين انها في اساسها ادلة
مصنوعة كما يلاحظ ان ادلة الكوفيين اقرب الى الواقع
كما انها تطابق القاعدة التي جرت عليها كتب النحو
والصرف في اشتقاق المصادر والمشتقات المشهورة
مثل اسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان وغيرها
من الانفعال لا من المصادر ورغم المنطقية التي تتحكم
في آراء الفريقين فاننا نجد الكوفيين قد احتجوا بحجة
قوية ذات طبيعة استقرائية وهي ان المصدر لا يتصور
معناه ما لم يكن فعل فاعل وهي حجة تهدم حجة
البصريين الاساسية وهي ان المصدر اصل لانه يدل
على زمان مطلق بينما الفعل يدل على زمان مقيد
وذلك اطلاق المصدر يجعله غير صالح للاشتقاق لان
الاشتقاق من هذا المطلق يحتاج الى عقلية فلسفية
نظرية لا الى عقلية واقعية عملية وهي العقلية التي
تامت بمسؤولية الاشتقاق على طول تاريخ العربية
القديم قبل ان تظهر المدارس والمجامع اللغوية والنحوية
المتخصصة هذا بالاضافة الى اضطراب البصريين في
تصور المصدر فهو اسم حيناً ودال على الزمان حيناً
ودال على الحدث دون الزمان حيناً مع ان ابن مالك
وهو يشرح مذهب البصريين اكثر ما يشرح يقول :

ولكننا لا نستطيع ان نتصور هذه العلاقات الا
اذا نظرنا الى الاشتقاق نظرة لغوية مستبعبدين جهد
الامكان النظرة المنطقية الى اللغة والنحو ، اى الا اذا
نظرنا الى الاشتقاق من وجهة نظر تاريخية في ضوء
النصوص الموجودة فعلا ، لا من وجهة تعديدية
فالموازين الصرفية والقواعد النحوية قد وضعت بعد
الاسلام وبعد عصر التدوين ومهما كان من اعتماد هذه
الموازين والقواعد على النصوص فقد غلب التصور
المنطقي على عقلية الذين وضعوا هذه القواعد واتموا
هذه الموازين .

فقد اختلف الكوفيون والبصريون حول مصدر
الاشتقاق هل هو الفعل او المصدر اما الكوفيون فذهبوا
الى ان اصل الاشتقاق هو الفعل واحتجوا لرايهم بما
يأتى :

(1) ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله .

(2) ان الفعل يعمل في المصدر .

(3) ان المصدر يذكر تأكيدا للفعل .

(4) ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل
فاعل .

(5) ان المصدر انما سمي مصدرا لا لصدور الفعل
عنه كما يقول البصريون وانما لانه مصدور فدل ذلك
على ان الفعل اصل والمصدر فرع لانه تابع له فيما
سبق .

واما البصريون فقالوا ان اصل الاشتقاق هو
المصدر واحتجوا لرايهم بما يأتى :

(1) ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل
على زمان معين .

(2) ان المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى
عن الفعل واما الفعل فانه لا يقوم بنفسه وينتشر
الى الاسم .

(3) ان الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدث
والزمان المحصل ، والمصدر يدل بصيغته على شيء
واحد وهو الحدث .

المصدر اسم ما سوى الزمان من
مدلولي الفعل كأمن من أمن

والاصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر
اسمى .

على أن القول بالاشتقاق من الفعل أو المصدر
كليهما تحكم لا مبرر له ، وهو يخالف في الوقت نفسه
الواقع العملي للاشتقاق كما تصوره المادة المعجمية
نفسها ، لقد نظر النحاة الى الاشتقاق من ناحية
الميزان الصرفي الذي وضعوه بأنفسهم فأدى ذلك الى
أن أصبحوا هم أنفسهم أسرى هذه الصيغ الصرفية .

وقد ذهب ولفنسون مذهب الكوفيين في القول
بأن الاشتقاق لا يكون الا من الفعل فقال « أن من
خصائص الساميات أن أغلب الكلمات فيها مشتق من
اصل ثلاثي وثنائى وهذا الاصل فعل يضاف الى اوله
أو آخره حرف أو أكثر .

نشأ من اشتقاق الكلمات من اصل هو الفعل
ان سادت العقلية الفعلية - اذا صح هذا الاستعمال
- على اللغات السامية ، اى أن لاغلب الكلمات في
هذه اللغات مظهرا فعليا حتى في الاسماء الجامعة
والالفاظ الدخيلة التي تسربت من اللغات الاجنبية .
فقد أخذت هذه الكلمات مظهرا فعليا ايضا .

وقد رأى بعض علماء اللغة العربية ان المصدر
الاسمى هو الاصل الذى يشتق منه اصل كل الكلمات
والصيغ ، ولكن هذا الراى خطأ - في رأينا - لانه
يجعل اصل الاشتقاق مضافا لاصله في جميع أخواتها
السامية .

وقد تسرب هذا الراى الى هؤلاء العلماء من
الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية

اما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء فمنه
تتكون الجبلة ، ولم يخضع الفعل للاسم والضمير بل
نجد الضمير مسندا الى الفعل ومرتبطا به ارتباطا
وثيقا .

وعلى كل حال فنظرية العقلية الفعلية في اللغات
السامية هي نظريتنا الخاصة اذا لم يشر اليها احد من
علماء الانرنج « (44) والى هذا الراى ايضا ذهب بعض
الباحثين من المستشرقين كما بين ذلك مؤاد حسنين
في نقده لادعاء ولفنسون أنه يتفرد وحده بين العلماء
الغربيين بهذا الراى ، فقد ذكر مؤاد حسنين أن « هذا
الراى وحده قد شغل العلماء وقتا طويلا فبعضهم من
أفرد له الأبحاث العديدة في مجالات المستشرقين والبعض
الأخر لم يقنع بذلك فكتب فيه الكتب الكثيرة وكان ذلك
في القرن التاسع عشر فالنظرية العقلية ، ليست
وليدة القرن العشرين وليست من نتائج قريحتك بل هي
ثمار القرن التاسع عشر في أوربا ونتيجة من نتائج
أبحاث جمهرة من أكابر مستشرقى ألمانيا » (45) .

كما ذهب باحثون آخرون الى أن أصل الاشتقاق
في العربية هو الاصول الثنائية يقول الاب انستاس
كرملى « الثنائية bilittéralism هي النظرية
القائلة بأن الاصول في العربية - وكذلك في أخواتها
السامية - ليست الالفاظ ذوات الحروف الثلاثة ،
بل ذوات الحرفين ، أذن من شأن الثلاثيات أن ترد
الى الثنائيات » (46) وقد دافع عن هذه النظرية
جورجى زيدان فقال « ان الالفاظ المانعة (47) الدالة

(44) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ص 14 : 15 .

(45) اللغات السامية مؤاد حسنين بحث صغير بدون ترقيم .

(46) المعجمية العربية ص 6 .

(47) يقسم جورجى زيدان الالفاظ من حيث الدلالة الى « الفاظ ذات دلالة مطلقة ويسميهما « الفاظا
مطلقة وهي التي تصح الدلالة بواحدة منها على اى موجود حسبها كان او معنويا ، وتشتمل على
الضمائر واسماء الاشارة واسم الموصول وما شاكل ذلك . والى ذات دلالة مانعة وتدعوها
تساهلا « الفاظا مانعة » اى لا يمكن الدلالة بأحدها الا على قسم من الموجودات او على نوع واحد
من المعنى . فنقولنا « حيوان » مثلا نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا « مادة » او « قوة » اذ
يخرج في الاولى جميع ظواهر القوة كالانفعالات والعقلية ، وفي الثانية تخرج المادة وظواهرها
ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان او المادة او القوة او المحبة ان الحزن أو الفرح أو ما شاكل
ذلك ونقول « انت » لكل ما نخاطبه جمادا كان أو حيا حسبها أو معنويا ، وكذا في البواتى . والالفاظ
المانعة تقسم الى « دالة على معنى في نفسها » وتنحصر في الفعل والاسم ومشتقاتها ودالة على معنى
في غيرها « وهي الحروف وما شابهها » الفلسفة اللغوية زيدان ص 55 .

على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية (احادية المقطع) تحاكي اصواتا طبيعية (48).

وتشتمل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى اقل من ذلك ، وعندى انها قابلة ولو بعد العناء . . . » (49)

ويؤيد مراد كامل وجهة نظر جورجي زيدان بقوله « ان اقدم الاسماء صيغة في اللغات السامية هي الاسماء الثنائية وقد حافظت العربية على بنائها الاصلى في كثير منها ، غير انها اشتقت من بعضها صيغا جديدة » (48) الا انه على الرغم من اقتناعه بأن اقدم الاسماء في اللغات السامية صيغة هي الاسماء الثنائية ، الا انه لا يرى ان هذه الاسماء وحدها هي الاصل فيقول : « وهناك أسماء ثلاثية اصلية نجدها مشتركة في اللغات السامية وهي على الاخص أسماء الاشياء المادية المنظورة الملموسة منها للحيوان : النمر والذئب والابل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والثوم والقثاء والكمون ومنها لاجزاء الجسم الرأس والعين والاذن والانف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذئب والقرن واللبن والكلية والكف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والارض والحقل والبئر والبيت والعمود والعرش والقوس والحبل والاناء والقمح والديش ، وهذه الاسماء كلها لم تشتق من الافعال والدليل على ذلك :

1 — انه في كثير منها لا يكاد معناها ان يحتمل الاشتقاق من فعل اصلا فمن اى فعل نشقت أسماء

كالذئب والقدم والرأس والارض ؟ ولماذا نفترض ان يكون هناك فعل اسبق من هذه الاسماء وامثالها ؟

2 — ان بعض هذه الاسماء تخالف الاعمال التي يحبل معناها الاشتقاق منها مخالفة تامة مثل الاذن ففعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى .

3 — لا نجد صلة بين اوزان هذه الاسماء ومعانيها فانا نرى الاسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في الوزن نحو الثور والحمار والعين والاذن ، ولو اشتقت من افعال لكان لكل معنى وزن واحد بنيت عليه الاسماء او اوزان قليلة . . . » (51)

بل انه يذهب الى ان بعض الصيغ الرباعية مثل فعلل قدينة جدا في اللغات السامية ومن اوزانه : عكبر وعقرب وارنب وهي سامية الاصل « (52) وان كان لا يمنع احتمال ان تكون الباء في عقرب وارنب علامة الحقت للدلالة على معنى كل منهما (53) .

كما يذهب الى ان هناك أسماء مشتقة من الافعال فيقول « ومن أسماء الاشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك أسماء الآلة والمكان وهي سامية الاصل . ووزن مفعال للآلة اصله مفعال ثم الحقت به الميم ، وفعلل اقدم وزن لاسم الآلة في اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق ولسان » (54) ثم يذهب في نهاية الامر الى ان الاشتقاق بالنسبة الى العربية بالغ المرونة حيث يقول واكثر اللغات السامية امسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان تقديم جدا الا على القليل من الوزان كالمصادر والانساب فاصبحت جملة اسمائها محدودة لا يزداد عليها الا القليل في المادة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت او يكاد . وداومت

(48) ذهب الى هذا ايضا بعض اللغويين العرب يقول بن جنى « وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشجيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندى وجه صالح ، ومذهب متقبل » الخصائص ط ص 44 — 45 .

(49) الفلسفة اللغوية ص 98 .

(50) الفلسفة اللغوية ، هامش ص 101 .

(51) نفس المصدر هامش ص 102 — 103 .

(52) ، 53 ، 54) نفس المصدر هامش ص 104 .

(53) الفلسفة اللغوية هامش ص 104 — 105 .

(54) انظر كتاب الاشتقاق ، لعبد الله أمين ففيه تفصيل واف لهذا الموضوع .

ب — أسماء القبائل : قيس قبيلة من مضر :
تقيس فلان : اذا تشبه بهم وتمسك منهم اما بحلف
أو جوار ، أو ولاء ، لسان العرب .

ج — أسماء الاقارب : الاب : ابوت وابيت :
صرت ابا وابوته اباوة : صرت له ابا . ويقال : ماله
اب يابوه : اى يغذوه ويربيه ، وتابيتن ابا : اى اتخذت
ابا : لسان العرب .

د — أعضاء الجسم : اشتق العرب من أسماء
الأعضاء افعالا ، اما تصريحا أو ضمنا ومن هذه الأفعال
اشتقوا المصادر وجميع المشتقات ومن ذلك :

الابط : باطن المنكب : وتأبط الشيء : وضعه
تحت ابطه ، لسان العرب .

الاذن : عضو السمع : واذنه اذنا فهو مأذون :
اصاب اذنه على ما يطرد في الاعضاء ، واذنه كاذنه
اى ضرب اذنه وقال : اذنت للشيء واذن له اذنا : اذا
استمعت له ، لسان العرب .

* أسماء متنوعة :

الجيش : الجنود يسرون لحرب أو غيرها :
يقال جيش فلان اى جمع الجيوش واستجاشه : اى
طلب جيشا ، لسان العرب .

الحبل : الرباط : وحبل الشيء حبلا شده بالحبل .
لسان العرب .

الحصبة : الحمى واداته حصيته والحمى صغار
الحجارة ، حصبه يحصبه حصبا : رماه بالحصباء ،
وتحاصبوا : تراموا بالحصباء ، لسان العرب .

الخطام : كل ما وضع في انف البعير ليقاد به ،
وخطمه بالخطام يخطمه خطما ، وخطمه : كلاهما
جعله على انفه ، وكذلك اذا حز انفه جزا غير عميق ،
يوضع عليه الخطام ، لسان العرب .

الذئب من الحيوان المفترس . فيه خبث ودهاء
وهو شبه الكلب في الجسم : وذأب الرجل ذأبة ،
وذئب .

وتذاب : خبث وصار كالذئب خبثا ودهاء — وذئب
الرجل فزع من الذئب وذأبته : فزعته ، لسان العرب .

اللغة العربية تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على
الاوزان المتنوعة . وجاز للشاعر أن يرتجل الاسماء
الجديدة على الاوزان المعروفة فكانت الكلمة تستخدم
مرة في بيت من الشعر ثم لا يعاد استخدامها وكسنت
جملة الاسماء غير محدودة بل قابلة للزيادة والنقصان
في كل وقت ووجد عدد من الاسماء في الواقع وان لم
يوجد في الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية
في الشعر عند العرب وضبطوا معانيها « (53) .

وهكذا نجد ان الدراسة الحديثة المؤسسة على
منهج المقارنة بين اللغات السامية تلتقى مع الصورة
الواقعية التي تقدمها المعاجم العربية فحين ينظر
الى المادة المعجمية . . نجد ان اصل الاشتقاق من
جدا ، كما نجد ان الاشتقاق عملية عقلية تقوم على
اساس ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه
بصرف النظر عن نوع المشتق ، حتى انا لا نكاد نجد
مادة معجمية لم تكن عندهم صالحة للاشتقاق ، سواء
اكانت هذه المادة اسما أو فعلا أو حرفا (54) .

1 — الاشتقاق من الاسماء :

لا يخضع الاشتقاق من الاسماء لقاعدة معينة
فكل اسم قابل للاشتقاق ولكن هذا لا يعنى ان كل اسم
يجب ان يشتق منه ، وانما ذلك امر متروك للظروف
العقلية وحدها ، فقد اشتق العرب مثلا من :

x أسماء العدد وأسماء الأزمنة : فمن أسماء
العدد : ثنيته اثنيته ثنيا صرت معه ثانيا ، وثنيته
الشيء بالثقل : جعلته اثنين . المصباح المنير ، ومن
أسماء الأزمنة ، الاصيل : الوقت بعد العصر السى
المغرب ، وأصلنا : دخلنا في الاصيل ، لسان العرب .

x أسماء الاعيان :

ا — الامكنة : الحرم : مكة واحرم القوم :
دخلوا في الحرم . لسان العرب .

السرب : المسلك في خفية أو الانسراب الدخول
في السرب . لسان العرب .

الشرق : ناحية طلوع الشمس . وشرقوا ذهبوا
الى الشرق ، أو اتوا الشرق لسان العرب .

والاشتقاق من الاسماء على اختلافها كثير جدا ولا يقع تحت حصر ، ولا يتصور ان تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة عن افعال أو مصادر لانه لا يوجد لها موازين معينة ولا طرق واضحة في الاشتقاق يمكن أن توضع لها اقيسة مطردة كالاسماء التي تؤخذ من غيرها مادة ومنها المصادر نفسها ، وانما الممكن هو أن يكون غيرها من المشتقات والافعال والمصادر مأخوذا عنها ، لان لكل منها موازين معينة ، وطرقا في الاخذ مطردة .

ومما يقوى ان الاشتقاق قد وقع في الاسماء ابتداء دون أن تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة من مصادر وافعال ، ان العرب قد اعرّبوا اسماء اعجمية ، ثم اشتقوا منها مصادر وافعالا ومشتقات — وذلك عندهم كثير جدا — ولا يعقل أن يكونوا قد اشتقوا من افعال أو مصادر هذه الاسماء في مصادرها الاعجمية ، ومن هذه الاسماء :

الدرهم والدرهم لغتان . فارسي أو يوناني (55)
معرب ملحق ببناء كلامهم :

ورجل مدرهم ولا فعل له : كثير الدراهم . حكاة
ابو زيد قال :

ولم يقولوا درهم . قال ابن جنى : لكنه اذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل ، ودرهمت الخبازى : استدارت فصارت على اشكال الدراهم فعلا وان كان اعجميا ، قال ابن جنى واما قولهم : درهمت الخبازى فليس من قولهم : الرجل مدرهم ، لسان العرب .

الفلفل : بالضم معروف لا يثبت بأرض العرب وقد كثر مجيئه في كلامهم . وقد فلفل الطعام والشراب . وثوب مفلفل : اذا كانت دارات وشبه تحكى استدارة الفلفل وصفره ، وخرم مفلفل التي فيه الفلفل ، فهو يحدى اللسان ، وشراب مفلفل : اى يلذع لذع الفلفل لسان العرب .

وقد صرح النحويون بجواز الاشتقاق من الاسم

الرباعى ووقعه فيه . يقول جمال الدين ابو عبد الله محمد بن مالك في كتاب (تسهيل الفوائد) ، وتكميل المقاصد في النحو) (فصل) انفرد الرباعى بفعل لازم ومتعديا لمعاني كثيرة . وقد يصاغ من اسم رباعى ، التسهيل 56 : 57 .

ويقول سيبويه في (هذا باب تمثيل ما بنت العرب من نبات الاربعة في الاسماء والصفات غير مزبدة وما الحقها من نبات الثلاثة كما لحقها في الفعل ما يأتى :

فالحرف من نبات الاربعة يكون على مثال فعلل ، فيكون في الاسماء والصفات فالاسماء نحو جعفر ، وعنبر ، وجندل ، والصفة : مسلوب وجلحم ، وشجمع ، وما الحقوا به من نبات الثلاثة حوفل ، زينب وجدول ، ومهدد ، وعلقى ، ورعشن ، وسبتنة ، وعنسل

وهذا النحو لانك لو صيرتهن فعلا كن بمنزلة الاربعة . فهذا دليل الا ترى أنك حيث قلت : حوقلت وبيطرت ، وسلقيت اجرتهن مجرى الاربعة « (56) .

2 — الاشتقاق من حروف :

وقع الاشتقاق في المعاجم من الحروف على اختلافها ، سواء اكانت حروفا للمعاني ، أو حروفا هجائية .

أ — حروف المعاني : من ذلك :

سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيبويه : سوف : كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد ، الا ترى أنك تقول : سوفته : اذا قلت له مرة بعد مرة ، سوف افعل ، لسان العرب .

نعم : قالوا : نعم الرجل ، اذا قال له نعم ، ونعم نعم كتوك بلى ، الا ان نعم في جواب الواجب وهى موقوفة الآخر ، لانها حرف جاء لمعنى ، وفي التنزيل « هل وجدتم ما وعدتكم حقا ؟ قالوا : نعم . ونعم الرجل : قال له نعم ، فنعم بذلك بالا ، وانعم له : اى قال له : نعم ، لسان العرب .

(55) في الجهرة ج 3 ص 368 ان الكلمة معربة وكذلك في اللسان ولم يذكر مصدرها وذكر الاب انستاس الكرملى في مجموع النقود العربية (حاشية ص 24) ، الدرهم في اليونانية دراهمى : انظر تعليق محمود شاكر على مادة درهم هامش المعرب للجواليقى ص 48 .
(56) سيبويه 2 — 335 .

ب - حروف الهجاء : من ذلك :

حرف التاء : رَجُلٌ تَأْتَا وَعَلَى فَعَلَال ، وفيه تَأْتَاه :
يتردد في التاء اذا تكلم ، والتأْتَا حكاية الصوت ،
لسان العرب .

حرف الفاء : الْفَأْفَاءُ عَلَى فَعَلَالِ الَّذِي يَكْثُرُ
تُرَادُ الْفَاءُ إِذَا تَكَلَّمَ ، وَالْفَأْفَاءُ حَبْسَةٌ فِي اللِّسَانِ ،
وَعَلِيَّةُ الْفَاءِ عَلَى الْكَلَامِ ، وَقَدْ فَأْنَا ، وَرَجُلٌ فَأْنَا وَفَأْنَا
يُؤَدُّ وَيَقْصُرُ وَامْرَأَةٌ فَأْنَا ، وَفِيهِ فَأْنَا . اللَّيْثُ : الْفَأْفَاءُ
فِي الْكَلَامِ كَأَنَّ الْفَاءَ تَغْلِبُ عَلَى اللِّسَانِ فَنَقُولُ : فَأْنَا
فَلَانٌ فِي كَلَامِهِ فَأْنَا ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : الْفَأْفَاءُ : التَّرِيدُ فِي
الْفَاءِ ، وَهُوَ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْفَاءِ إِذَا تَكَلَّمَ ، لِسَانَ الْعَرَبِ .

هذا فيما يختص بالاستقاق من الاسماء والحروف
اما لاستقاق من الاعمال فلا حاجة الى ايراد امثلة له
لانه اشهر انواع الاستقاق وعلى اساسه قامت القواعد

وهكذا يتبين لنا ان الاستقاق لا يمكن ارجاعه
الى اصل واحد بعينه ويظهر ان بعضا من اللغويين
القدماء قد تنبه الى هذه المسألة بعد تدوين المعاجم ،
وظهور تنوع مصادر الاستقاق فيها ، فقد ذكر السيوطي
قول « طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم مشتق ،
ونسب ذلك الى سيوييه والزجاج » (57) وان كان
التعميم على هذه الصورة يجنح الى التطرف كما لاحظ
ذلك السيوطي (58) - لا لما يستلزمه من قول بالدور
والتسلسل كما ذهب (59) وانما لان بعض المكلم وهو
الحروف الابجدية يستحيل ان يكون لها مصدر اصلي
نشق منه ، وان كان من الممكن ان تكون هي نفسها
مصدرا للاستقاق كما مر .

وخلاصة القول ان الاستقاق لا يرجع الى سبب
آخر وراء مناسبة المعنى بين المشتق والمشتق منه
فكون المشتق منه فعلا او اسما او حرفا لا دخل له في
عملية الاستقاق ذاتها فليس هناك أصل وفرع ، وانما
هناك مشتق ومشتق منه او كما يقول تمام حسان
الاستقاق « رد لفظ الى آخر لموافقته اياه في حروفه

الاصلية ومناسبته له في المعنى » (60) فالقول بان
كلمة او صيغة اصل لكلمة او صيغة اخرى مردود في
القديم والحديث فلا الفعل كما يقول الكوفيون ، ولا
المصدر ، كما يقول البصريون ، اصل للمشتقات ، لانك
تدرايت ان الادلة على اصالة كل منهما ضعيفة لا تقاوم
النظرة الفادحة . فما وجه القول اذا في الاستقاق ،
وما نظرة علم اللغة الحديث اليه ؟

وجه القول كما اراه في ضوء الدراسات اللغوية
الحديثة ، ان مسألة الاستقاق تقوم على مجرد العلاقة
بين الكلمات واشتراكها في شيء معين خير من ان تقوم
على افتراض اصل منها وفرع » (61) .

الصيغة او الميزان الصرفي :

ولكن اذا كان الاستقاق كسب لنا على هذه
الصورة المرونة العظيمة في العقلية العربية ، وطائفة
الخيال الواسعة القادرة على ادراك مختلف العلاقات
الدقيقة والمناسبات المتنوعة بين الاشياء والاشياء
- او بين الاشياء والمعاني - او بين المعاني والمعاني
او بين الاعمال والاشياء والمعاني .. فان الصيغة
التي بنى عليها الاستقاق او الميزان الصرفي للكلمة
يكشف لنا عن خاصية تكاد تنفرد العربية بها « وتدخل
الصيغة في الجدول كما تدخل الامثلة اي الكلمات
التي توزن عليها - فنحن نستطيع ان نصرف
الصيغة من غير الاستعانة بامثلتها ، وهذه خاصية
من خواص اللغة العربية ، وربما كانت في اللغات
السلمية ايضا . مثال ذلك :

	افتعلت	افتعل	انا
	افتعلنا	نفتعل	نحن
افتعلی	افتعلت	تفتعل	انت
افتعلی	افتعلت	تفتعلين	انت
افتعلنا	افتعلتما	تفتعلان	انتما

(57 ، 58) الزهر ج 1 ص 348 .
(59 ، 60) مناهج البحث في اللغة تمام حسان ص 178 .
(61) نفس المصدر ص 181 - 182 .

التحديد فيعمدون الى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض ، ويظهر القسر والسف في استخدامها واضحا . فاما اتخاذ الصيغة الصرقية اداة من ادوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ، فميزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها (التأكيد من عندي) .

وتساعد الصيغة في الاعم الاغلب على تحديد الباب ايضا ، ذلك لان معناها الوظيفي هو المورفيم ، نفسه تعبير عن الباب ، فكان الباب احد معاني الصيغة غير المباشرة . ومعنى هذا الكلام اننا اذا اخذنا « فاعل » فسنجد كل ما على مثالها داخلا في باب الفعل الماضي الذي يدل على المشاركة ، (نقول غالبا اضرازا من « سائر ») ، فالصيغة هنا دلت على النسبة الى قسم من اقسام الكلام ، وهذه ميزة من ميزات اللغة العربية ايضا (التأكيد من عندي) .

واعتماد هذه الدلالة هي ما يسميه علماء اللغة بالتحديد الجراماطبقي (62) .

وعن طريق هذه الصيغة التي لا يحتاج تفسير المعنى فيها يتقابلها من فعال الى اكثر من زيادة حركة ، كعلم وعلم .

أو — زيادة مادة كطالب وطلب

أو — زيادتها كضارب وضرب

أو — نقصان حركة كفرس وفرس

أو — نقصان مادة ككتب وكتاب

أو — نقصانها كنزوا ونزوان

أو — نقصان حركة وزيادة مادة كفضي وفضب

أو — نقص مادة وزيادة حركة ، كحرم وحرمان

أو — زيادتها مع نقصانها ، كاستنوق من الناقاة .

أو — تغاير الحركتين كبطر بطرا

أو — نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف ، كاضرب من الضرب .

انتم	افتعلمتم	تفتعلمون	افتعلموا
انتن	افتعلمتن	تفتعلمن	افتعلمن
هو	افتعل	يفتعل	
هي	افتعلت	تفتعل	
هما	افتعلتا	يفتعلان أو تفتعلان	
هم	افتعلوا	يفتعلون	
هن	افتعلمن	يفتعلن	

ومثل هذا يمكن أن يتم مع كل صيغة من صيغ الاعمال نتيجة ذلك تصريفا في الداخل مورفيم الافتعال . بحسب اختلاف الضمائر الشخصية التي يعبر كل منها عن مورفيم آخر هو المتكلم أو الخطاب أو الغيبة مع مورفيم الافراد أو التثنية أو الجمع .

واكتفاء الصرف بالصيغة كإكتفاء الاصوات بالصوت ، واكتفاء التشكيل بالحرف والمقطع استكفاء مرضه التحليل . والا فليست هذه الا مفهومات منهجية لا تعبيرات باللغة .

ونحن لا نتكلم اصواتا ، ولا حروفا ، ولا مورفيمات ، ولا صيغا ، وانما نتكلم جملا مفيدة مركبة من هذه الاجزاء التحليلية ، التي يعتبر النظر المنهجي مسؤولا عن اكثرها ، حيث يخلقتها باعتبارها وسائل تقسيمية ، او ادوات لتناول مادة اللغة تناولا يبنى على منهج خاص . فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها ، وانك تقول « خرج محمد بالامس » فننتكلم على شرط اللغة ولا نقول « فعل مفعل بالفعل » لان هذا ليس من اللغة .

واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية لان هذه الصيغ تصلح لان تستخدم اداة من ادوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في انسياق ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الاساس الذي يمكن به ان تحدد الكلمات (التأكيد من عندي) .

والباحثون في لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانون التعب والمشقة اللذين يجدونها في سبيل هذا

(62) مناهج البحث في اللغة 175 : 177 .

هذا الطريق تكونت هذه المادة اللغوية الضخمة التي تملأ بطون المعاجم ، كما فتح باب القياس لتستمر اللغة في نموها وازهارها على نفس الاساس على اختلاف الاجيال واختلاف العصور واختلاف الظروف .

نخرج من هذا بان الاشتقاق في اصوله المختلفة ، والصفة او الميزان الصرفي في تقاليبه المتعددة يمكنان ، برونة عقلية واسعة ، ودقة شديدة للاحظة المناسبات والفروق الحسية والمعنوية التي تتمتع تحت التصرف ، ومقدرة على التمييز الدقيق بين درجات هذه الفروق ، وخيالا واسعا يستوعبها جميعا دون تصور أو اعياء ، وارهانا شديدا في الحس يلمح ما خفى وما دق من الفروق ، والدلالات ، والاشارات .

أو - نقصان مادة وزيادة اخرى كراضع من الرضاعة .

أو - نقص مادة وزيادة اخرى وحركة كخاف من الخوف .

أو - نقصان حركة وحواف وزيادة حرف ، كماخر من الفخار .

نقصت الفا وزادت الفا وفتحة (63) .

عن طريق هذه التغيرات البسيطة يمكن اشتقاق سبعة وخمسين مادة من مادة واحدة هي مادة (الجمل) كما سيرد عند الكلام عن التجريد ، وعن

مَكَّة وحَمُورَابِي

الأستاذ عبدالحق فاضل

ندخل الموضوع رأساً ، دون مقدمات ..

وحملهما معه الى حيث أنشأ اللغات السامية الحبشية من
جزيرة وأمهرية وغيرهما .

ولقد كان المسلمون هم الذين تفتنوا الى هذه الصلة
الاشتقاقية بين مكة ومكورابا لوجب عليهم أن يقولوا
عكس المستشرقين بأسبقية مكة . فذلك تطبيقاً للآية :
«إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة» .

لكن تعالوا ننظر ماذا قال المسلمون في تسمية مكة .
تقول المعاجم .. كلا .. دعونا مما تقول المعاجم ، فاننا
لم نجد فيها شيئاً ذا بال يخرج عما اورده ياقوت .

يلذكر ياقوت في معجم بلدانه آراء أشتى غير منسقة
ثم يبدي من عند نفسه رأياً له ، ثم يعود الى سرد آراء
الآخرين المتنوعة الشتى . ولنوردها مختصرة مع شيء
من الترتيب كما يلي : وللقارىء ان يضحك من بعضها
اذا هوسا .

يقول الباحثون .. المستشرقون .. ان اسم (مكة) مقتبس
من الحبشية (مكورابا) : معبد ، أو هيكل ، لكنهم على
عادتهم لم يتساءلوا من اين جاء اسم مكورابا هذا .

ثم لماذا لم يقولوا على العكس ان (مكورابا) مقتبس
من (مكة) ؟ .. لا أدري . ذلك ديدنهم .. كلما شاهدوا كلمة
مشتركة بين العربية وغيرها قالوا ان العربية هي الجهة
المستفيدة . حتى (الخيمة) زعم اللغويون العرب وغيرهم
ان اسمها هذا مستعار من الحبشية ، مع أن الخيمة من
الزرم لوازم البداوة - لا الحضارة - ان كانت ذريعة
الحضارة هي التي تغريهم في كثير من الاحيان بهذا الظلم ،
أو الجهل . كان في وسعهم ان يقولوا بكل سهولة ان
العربي البدوي حين هاجر الى الحبشة لف لغته في خيمته

هنا يتزل الحموي بنفسه الى الميدان ليبدلي بحل من
لذنه جذري للمشكلة فيقول : «قال عبيد الله الفقير اليه :
وجدنا أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصه لقله مائها
لانهم كانوا يتمكنون الماء اي يستخرجونه . وقيل انها
تمك الذنوب اي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع امه» .
تخريج حسن - اي ما يخص قلة الماء - لولا إلحاقه
به مك الذنوب ! والله في مفسرته شؤون ..

لا نريد الزاوية بهذه الآراء مهما بعدد بعضها عن
المنطق وقرب بعضها من السخف ، فانما هي محاولات
من السلف للبحث على طريقتهم عن حقائق الاشياء وإمطة
الحُجُب عن اسرارها .. لكننا غير قادرين أن نساوي
بين غتها وسميتها في مقياس من التقدير واحد .. مع أننا
سنرى انها جميعاً على خطأ .

قد رأينا فيما تقدم ان بعضهم خلط بين تسمية بكة
ومكة ، وبعضهم عد بكة ومكة شيئاً واحداً من عمل
الإبدال . لكن اكثرهم يقررون في مختلف المصادر ان
(بكة) هي البيت او الحرم او الكعبة ، وأن (مكة) هي
ما حول ذلك أو القرية أو بطن الوادي . فذلك على ما
يظهر لانهم وجدوا اسم (بكة) في القرآن مرة واحدة
و (مكة) مرة واحدة اخرى ، وفي الاولى يقترن اسم بكة
بالبيت في الآية التي سبق لإيرادها : «إن اول بيت وضع
للناس للذي ببكة» فاستنتجوا ان المقصود بها هو البيت
نفسه .. وفي الثانية يقترن اسم (مكة) ببطن مكة فسي
الآية : «وهو الذي كف ايديهم عنكم وكف أيديكم
عنهم ببطن مكة» فاستنتجوا أن المراد بطن الوادي .

ولا اعرف لماذا لم يلاحظوا - العلماء المسلمون -
وجه الشبه بين مكة ومكورابا ، مع أن بعض الصحابة
والتابعين ومن تلاهم يعرفون الحبشية ، وبعضهم أحباش
- مثلما لحظه المستشرقون المتأخرون .
مهما تكن الحال فان ملابسات ومقارنات لغوية

«قال بعضهم : مكة هي بكة والميم بدل من الباء كما
قيل ما هذا بضرية لازب ولازم» . . وهذا صحيح
كالذي سيثبته لنا التائيل فيما يأتي من بقية الحديث .

«وقيل انما سميت بكة لان الاقدام تُبْك بعضها
بعضاً ... وقيل لازدحام الناس فيها» .

«وقال الشرقي القطامي : انما سميت بكة لان العرب
في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان
الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء (زنة الرمان)
حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا
طافوا بها . والمكّاء بتشديد الكاف (وضم الميم) : طائر
بأوي الرياض» .

«وقال ابو بكر الانباري : سميت مكة لانها تمك
الجبارين أي تذهب بنحوهم» !

«وقال آخرون (لا ندري من هم) : سميت مكة
لانها لا تفجر بها أحد إلا بكت عتقه فكان يصيح وقد
التوت عتقه» !

«وقال قوم : سميت مكة لانها بين جبلين مرتفعين
عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك» !

«ويقال : انها سميت مكة لازدحام الناس بها من
قولهم قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصاً شديداً» !

ويلاحظ احدهم (لا يذكر الحموي من هو) انه لا
مشابهة بين مص الفصيل ضرع امه وازدحام الناس ،
فيحاول ابضاح الامر فييدي أنهما قولان : احدهما
انها «سميت مكة لازدحام الناس فيها» أي من معنى
البك ، بالباء .. والثاني «لان مكة عبّدت الناس فيها فيأتون
من جميع الاطراف من قولهم امتك الفصيل أخلاق الناقة
اذا جذب ما فيها جذباً شديداً فلم يُبق فيها شيئاً . وهذا
قول اهل اللغة» ! فهذا يترجم المص السى الجذب والجذب
الى قدوم الناس (أي انجذابهم) الى مكة من جميع الاطراف .

وتاريخية جعلتني أعتقد أن تسمية (مكة) قد جاءت عن طريق يختلف عن كل هذا كل الاختلاف .. مما يمكنني الآن أن اقلمه نموذجاً آخر - بالاضافة الى ما سبق أن قلمت من نماذج في مختلف المناسبات اللغوية - من نشوء اللغة وتكونها من الرسم البدائي ونقله في مراحل التطور المتدرج في تحريف الالفاظ وتحوير المعاني الى ان صار يطلق على أقدم موضع عند مئات الملايين من بني الانسان .

هل لدى الاعزاء القراء مانع من ان نتحدث قليلا في تسمية بغداد؟ نؤكد لهم ، وسيرون مصداق تأكيدنا، أن هذا الانتقال لن يكون خروجاً عن صدد عنسوان موضوعنا الذي نعرف أنه «مكة وحمورابي» .

كان المعتقد - سطحياً - عند بعضهم ان التسمية فارسية من (باغ) : حديقة و (داد) : عطاء أو تأسيس ، فيكون معنى (بغداد) شيئاً من معنى الحديقة او الجنة .

ثم التفت من هم اعلم بالفارسية من اولئك الى أن (بغ) بالفارسية : اسم إله قديم ، فصار معنى اسم بغداد عندهم : «مؤسساها الله» ، وفسره آخرون بأنه يعني «الله حسي» .

أياً كان الصواب فقد جاء الاكتشاف الثالث ليظهر أن أصل الاله (بغ) الفارسي هو الاله بكة (BAGA) البابلي . واكثر من هنا أنهم عثروا على اسم بغداد في أكتيب مسمارية معاصرة لحمورابي ، أي في القرن الثامن عشر (ق م) .

ثم تطور اسم بغداد في العربية فصار ينطق كذلك : بغذاذ ، وبغدان ، ومغدان ...

ها قد وصلنا الى قمة المشكلة .

فما أثل اسم الاله (بكة) ؟ بل ما رسته .. يا ترى ؟

بيج بيج بيج بيج بيج ...

هذا الصوت لا بد انكم تعرفونه . اين سمعتموه ؟ نعم ، خرزتم ! إنه مطلع اغنية محمد فوزي :

مامه .. زمانها كايه كايه لعب وحاكات !

صوت رجل يحاول إسكات طفل يبكي . وهو ليس محاكاة لبعض الاصوات الطبيعية او الصناعية التي تألف منها معظم ألفاظ المعجم من قبيل : صبح .. هو .. قط .. مص .. شم ...

وانما هو واحد من الاصوات التي تقترح تسميتها «مرجلة» أي يتفوه بها المرء في بعض حالات له شعورية أو انفعالية كيفما اتفق ، اي بحسب ما يتبادر إلى جهاز أعضائه النطقية مثل قوله : بس بس لدعاء الحيوان أو زجره (1) . وقد اتفق لاحدهم أو إحداهن ، في غابة معربية ، أن قال أو قالت لطفل يبكي : بيج بيج بيج ، لإسكاته ، فذهبت مثلا ، وتناقلتها غابات وأجيال .

لعلكم تحسبون أنني أشتط في التخريج إذ أعزو هذه اللفظة العامة الى ذلك الاصل الهمجي البدائي العريق . فمعتذرة . إنني لم أخبركم بعد أنها كلمة فصيحة . تقول المعاجم - بعضها - ببجبت الصبي : لابعه وسكته بالمغاغة والغناء ! وهذا معنى متطور طبعاً ، فأصل البجيجة من غير ريب هو أن يقال للصبي بيج بيج بيج .. على طريقة محمد فوزي ، ثم ظهرت المغاغة والغناء فيما بعد . لكن بعض المعجميين القدامى الذين لم تكن الدراسات اللغوية قد اكتملت في زمانهم لم يكونوا يعرفون هذا المعنى (ولا ننس ان الكثيرين منهم لم يكونوا من العرب الاقحاح او كانوا من العرب المحليين الذين يجهلون الكثير مما ليس من لغة قبيلتهم أو بلدهم) . فابن منظور - صاحب «لسان العرب» - يقول : «البجيجة

1 - تطرقنا الى صوت «بس بس» وما تفرع منه من بعض المعاني في مناسبة لغوية اخرى .

شيء يفعله الانسان عند مناغاة الصبي بالقلم! وعنه قل صاحب القاموس - الفيروزآبادي - لكنه لم يفهم معنى «بالقلم» - مثلي - فحذفها ، ثم اختصر تعبير «يفعله الانسان» .. فقال : «شيء يفعل عند مناغاة الصبي» ! ولكان أمثل بواضعي معجمين خطيرين ان يُغفلا ذكر البجيجة من أن يشرحاها على هذا النحو الزري الذي هو أحوج منها الى الشرح . ولئن كان محمد فوزي أعلم من هذين الجهلذين بذلك الشيء الذي «يفعله» عند إسكات (أصبح من مناغاة) الصبي .. فهو لم يكن يقدر أن للأمر كل هذه الخطورة العلمية - الي سئى .

من البجيجة نشأ قولهم (بخ بخ) .. «تقال عند تعظيم الانسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح، والرضا عن الشيء» - (اللسان) .

من حاكم الآن ، بل من الحق عليكم أن تسألونا كيف ندعي أن (البخخة) قد نشأت من (البجيجة) وبينهما هذا البون في اللفظ والمعنى ؟

اما من ناحية اللفظ فان هذه العربية حافلة بكلمات تنطق على وجهين او اكثر ، فيا طالما ابدلوا الحروف بعضها ببعض ، حتى الحروف المتباعدة في السامع ومخارج النطق . ومن امثلة إبدالهم الخاء من الجيم بالذات أن الجاية تنطق الخائية أيضاً .. وأزلخت الباب : أزليته .. والزمجرة هي الزمجرة .. بل ان المجنون المسكين سموه كذلك المخنون ! .. ويجدر بالذكر في هذا المقام أن إبدال الجيم خاءاً قاعدة شبه عامة في الاسبانية مثل خوزيه (= جوزيف) .. وخوان (= جوان) ...

ليس مستغرباً إذن أن نطقوا البجيجة : بخبجة .

واما من ناحية المعنى فقد كان أصل معنى البخ هو : سكون الغضب . يقول المعجم : بخ فلان : سكن من غضبه ، او اعجب بنفسه . فواضح أن هذا أصله سكون الصبي من بكائه . ذلك بان الطفل حين يسكت من العويل

سرعان ما يرضى فيضحك ويلعب والدموع ما تزال تملأ عينيه وقبلي وجهه ، وقد رضي عن العالم، كأن لم يكن شيء . فمن هنا صارت (بخ بخ) تعني «سكون المرء من غضبه» و «الرضا عن الشيء» كما تقدم بنا من النص المعجمي . ومن نتائج رضاك عن الشيء أن تملحه ، فصارت البخخة تعني المدح أيضاً ، ثم التعجب ، ثم الاعجاب بالنفس ، ثم تعظيم الانسان .. وكل ذلك اورده (اللسان) ، آتفاً ، سوى رتبناه هنا منطقياً حسب تسلسله في النشوء .

جاء في المعجم كذلك ان بخ : كلمة فخر ، وبخ بخ : تعظيم الامر وتقديمه . نطقوها : بخ بخ (بفتح فسكون) . وبخ بخ (بالتخفيف والكسر مع التنوين) ، وبخ بخ (مثلها مع التشديد) .

ثم نطقوها بالهاء كذلك : به به ، بنفس حالات التخفيف والتشديد ، وبنفس المعنى . ومن هذه المادة الهائية نشأ (الهاء) في الفصحى و (الباهي) بمعنى الجيد والفاخر في بعض الدارجات (من : بها يهيو ، وبهيهي يهيو ، بهاءاً : حسن وظرف) . ومن هنا نشأ في الفصحى البهر والباهر ، ومنه زهر (البهار) الذي دخل الفارسية بدون اداة تعريف (بهار) : ربيع .. وعلى العكس من ذلك في العربية صارت لفظه (الربيع) تعني : الكلاء والخضصر .

ومنها به فلان بهأ (زنة شد شداً) : نبأ وزاد في جاهه ومترته عند السلطان .

ثم صار (البخ) يعني : «الرجل السري» اي الشريف الرفيع القدر في المجتمع ، وليس بخاف ان السراوة كانت تعني عند العرب ما يشبه معنى الارستقراطية بالتعبير الحديث .

في لغة القرعيز وما شاكلها من بعض لغات تلك المناطق نثر على البخ بصيغة (بك : bag) لقباً يدل

الآخرون بمعونته ملوكاً .

هكذا تنتقل الكلمة من البجيجة الى البخ ، الى اليك ، الى الباشا .. الى الشاهنشاه : ملك الملوك ، ثم رب الارباب .

نتحول الآن الى (البعل) وهو بالعربية معجمياً : رب الشيء ومالكة أو مستحقه أو صاحبه . فاذا كان كل من الرب (اي صاحب الشيء) والبعل والشاهنشاه قد أصبح يعني الإلاه فمن اليسير أن ندرك كيف صار (بگه) المتطور من (البخ) بكل معانيه الفخمة تلك ، يعني الإلاه أيضاً .

أعترف بانني لا اعرف الكثير عن هذا الآلهة السامي الخطير (بگه) ، لكنني اجد اسمه بصيغة (بك bak) في (بعلبك) : البلدة اللبنانية المعروفة . يقول ياقوت «بعلبك : اسم مركب من بعل : اسم صنم ، وبسك : أصله من بك عنقه أي دقها ، وتباك القوم اي ازدحموا . فيما أن يكون نُسب الصنم الى بك وهو اسم رجل أو جموله يبك الاعناق . هذا ان كان عبرياً ، وان كان أعجمياً فلا اشتقاق». العبارة الاخيرة تنبئ انهم يقولون ذلك تخريباً من لفظتي بعل وبك ، لا عن علم سابق بأن الكلمة اسم رجل او غير ذلك .

بعد ان راينا اسم الإلاه بعل قد ظهر في الشق الاول من اسم (بعلبك) واسم الآلهة البابلي (بكه) يؤلف الشق الثاني منه يبدو طبيعياً جداً ان نجد هذا الاخير اسماً للبلدة العربية المقدسة (بگه) .

والغريب ان قدامى اللغويين قد ربطوا عن طريق الخطأ بين التسميتين ، دون أن يدروا . لا لوم عليهم ان يجهلوا أن (بك) إلهة مثل (بعل) لكننا نسجل عليهم استقراراً صغيراً من تعليلهم تسمية كل من بعلبك وبكة بازدحام الناس ودق الاعناق . ثم لا يلحظون - فيما اطلعنا عليه من مصادر - هذا الشبه الصريح بين التسميتين

على النبل والتشريف ، يطلقونه على رئيس القبيلة أو أمير البلد . وقد ظهر اللقب في التركية على العهد العثماني ومنها تسرب الى الاقطار العربية بصيغة (بگ bag) و(بيك beg) و (به beh) . ثم باي تونس أي سلطانها . وقد الغي اللقب رسمياً في تركيا منذ إلغاء الخلافة ، ثم في الاقطار العربية واحداً بعد واحد .

وربما كان من (البخ) أيضاً لقب (باشا pasha) الذي صار اعلى من لقب (اليك) بل أعلى الالقب الرسمية لدى الدولة العثمانية يلقب به الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) وغيره من رجالات الدولة وكبار قادة الجيش . ومن تركية انتقل اللقب الى الاقطار العربية ثم كان من شأنه في الإلغاء ما كان من شأن (اليك)

يظنون أن أثل الباشا هو (بادشاه) في الفارسية ، لكننا نحسب عكس ذلك اي أن (بادشاه) هو المشتق من (باشا).

يقول المعجم الفارسي «بادشاه : من باد : حارس وشاه : أصل ورب ورئيس» (1) . والكلمة ما زالت تعني بالفارسية : الملك عامة ، عدا ملك ايران فهو يسمى (شاه) . ونظن شاه هذه من (باد شاه) نفسها .

ويقول (برهان قاطع) : «شاه : الاصل والرب . ولما كان الملوك بالنسبة الى الناس هم الاصل والرب سموا شاه» ومن معاني الرياسة في (شاه) اطلقوا في اجيال خلت (شاهبندر) التجار على رئيس التجار ، بمثابة ما يسمى الآن رئيس غرفة التجارة في التنظيم المعاصر .

بعد الشاه ظهر في الفارسية تعبير (شاهان شاه) ومعناه اللفظي : ملك الملوك ، استعملوه بمعنى الامبراطور . ثم صار ينطق مخففاً (شاهنشاه) الذي صار يعني «الباري تعالى» كما يقول ابن خلف تبريزي «أو الذي يصبح

1 - ابن خلف تبريزي - «برهان قاطع» - تأليف عام 1062 هـ .

الخاططين . فلا هم اهتموا الى الصواب ولا هم ادركوا الصلة بين الخطأين .

كيف نطقوا اسم (بكة) أول الامر ، لاندرى . لكن الاسم المعروف ينطق بالكاف العربي المشيع كما في اسم (بعلبك) - لا بالكاف المخفف كما في اسم (Baga بكه) البابلي .

بل لعل هذا النطق العربي (بك) هو الاصل المتطور من (البخ) ، فاني لأ حسب انهم أطلقوه أولاً على هذا المعبد في مكة - الكعبة . ولا نعلم هل قبل ذلك أم بعده ظهر الاسم في ديار الشام عند الكنعانية حيث أضافوه الى إله آخر في اسم (بعلبك) تأكيداً لصفة الالهية أو بمعنى مقدس آخر .

والذي نُحْمِتُهُ ان اسم (بَكْ) الذي كان يدل على الكعبة ، قد عم مع الزمن فصار يطلق على (القرية) المحيطة به . ولما كانت اسماء المدن مؤنثة في العربية فقد أُتَتْ بعضهم (بَكْ) فصار (بَكَّة) ، وشاعت هذه الصيغة واستقرت ونُسبت صيغة المذكر الاولى .

وكما ارتحلت صيغة (بك) الى ديار الشام لتظهر في (بعلبك) طعت صيغة (بَكَّة) الى الرافدانية (أرض الرافدين) لتظهر في البابلية بصيغة (بَكَّه Baga) . وهذا هو التعليل الوحيد الذي يخطر على بالنا : لظهور الهاء أو الفتحة على آخر الصيغة البابلية .

لا نرى مناصاً من إعادة هذه الآية مرة اخرى ، وبتمامها : «إن أول بيت وضع للناس كلذي ببكة ، مباركاً ، وهدى للعالمين» . فهل كان عرب الجاهلية يقولون بأنه اول بيت ام ان القرآن هو الذي يقرر ذلك لأول مرة ؟ لئن كان العرب يعرفون ان الذي ببكة هو أول بيت مقدس وضع في ذلك البلد - مما كانوا يتوازنونه في تاريخهم كغيره من بعض منقولات اخرى أيدها القرآن فلعمري لقد صدقت مأثوراتهم . وان كان القرآن

قد قرره لأول مرة فلا جدال ولا تعقيب .

بعد أن اكتشفنا الصلة بين مكة والاله الكنعاني (بك) في بعلبك من جهة ، والاله البابلي (بكه) في بغداد من جهة ثانية ، نرجع الى سؤالنا الذي ألقيناه على أنفسنا في طلائع هذا الحديث : ما منشأ كلمة (مكورابا) الحبشية إذن ؟

بعد حين من الدهر لم يكن في ذاكرة التاريخ شيئاً مذكورا نطقوا بكه بالميم (مكة) . ومثل هذا كثير الحدوث في العربية نكتني من نماذجه بما تقدم بنا من تسمية بغداد : (بغدان ومغدان) .

ولا بد أن الاسم الجديد (مكة) قد انحدر جنوباً الى اليمن . والارجح انهم استعملوه كما هو أول الامر ، ثم حوروا لفظه بنفس معناه ، ثم بمعان أخرى . ومن ذلك تكونت صيغة (مكورابا) . أي أن الكلمة إنما ارتحلت الى الحبشة عن الطريق الجغرافي الطبيعي - اليمن .

لكن كيف أصبحت مكة تنطق (مكورابا) ؟ وهل تم ذلك في الحبشة أم في اليمن قبل ذلك ؟ الافضل أن ندعو أحنانا القاريء الى إعمال فكره معنا في هذه الجولة الاستكشافية .

أن يأذن لنا قبل كل شيء أن نسأله هل لاحظ العلاقة اللفظية بين اسم مكورابا وحمورابي ؟ وهل هذا التماثل الظاهري دلالة معنوية أم هو مجرد تشابه لفظي ، سانح ؟

لا ندعي أن أحد الإسمين مستعار من الآخر ، لكننا نزع مبدئياً أن الشطر الثاني من الإسمين ربما يعني شيئاً واحداً ، إن لم يكن الشطر الاول منهما كذلك .

حمورابي يتألف من (حمو : الحمو ، رب الاسرة رابي : الكبير ، الجليل) . أما مكورابا فيقولون أنه يعني المعبد و حسب . لكننا نتوهم أنه هو أيضاً (= مكو : مكة ، المعبد + رابا : الكبير ، الجليل) .

و هناك من يفسر اسم حمورابي بأنه (حمو : حارس

الى ذلك.. حتى لو كان اسم حمورابي يعني أي شيء آخر.
معلوم أن (أبرهة) شيد معبداً فخماً في اليمن ينافس
به الكعبة ، وحاول جهده ان يصرف العرب اليه عن
مكة ، فلم يفلح ، في حكاية مشهورة .

أكبر الظن عندنا ان هذه لم تكن المرة الاولى ، بل
الاخيرة . لو قد أفلحت المحاولة لكان في ذلك نقماً وأي
نفع تجاري كبير لليمن ، بالاضافة الى الشرف الديني .
لا بد أن تحويل الاسواق الموسمية والاتجاه الروحي الى
اليمن لم يكن من هم أبرهة وحده ، فالمعقول ان يكون
حكام اليمن – من اهل الحبشة او اليمن نفسها – قد
حاولوا منذ عهود بعيدة نفس المحاولة بانشاء كعبة ، أي
مكة ، اكبر من مكة وسموها باسم اكبر من اسمها ايضاً
اي مكة الكبرى مثلاً (مكورابا) ! هذا احتمال على كل
حال ، إن صح كان فيه تفسير التسمية ، وكان دليلاً على
أن (مكة) قد صارت (مكورابا) في اليمن ومنها هاجرت
الى الحبشة ، لا العكس ، وعلى أنها صارت تعني المعبد
وحسب بعد مر الاجيال .

ويقول اللغويون العرب ان (المحراب) بالعربية مقتبس
من الحبشية والاعلم انهم يقصدون من (مكورابا) . لا
اعتراض لدينا على ذلك . لكن لدينا سؤال : هل من
مكورابا الحبشية أم اليمنية ؟

الامر الطبيعي ان يكون (المحراب) استعمل بمعنى
ديني أول الأمر . وقد تخصص في الإسلام بالمكان الذي
يقف الإمام حياله في الصلاة ليسجد فيه ويكون المنبر
في مساجد الجمعة عن يمينه .

اما لغوياً فالمحراب : اكرم موضع في البيت أو المنجد .
فهذا يشير إلى أنهم كغيرهم من الأمم كانوا يتخذون في
دورهم مكاناً للعبادة يقيمون فيه الاصنام او الصوور
يتعبدون لها ، وبكلمة موجزة ان المحراب كان يعني :
معبد البيت ، ثم انتقل الى المسجد .

حام + رابي : آلهة) أي حامى الآلهة . أي أن الامر يتوقف
على معنى (رابي) وأصلها العربي بالدرجة الاولى هل هو
من (الرب) الاله أم من (الرابي) المرتفع السامي .

ونحن و إن كنا نرجح التفسير الاول ، لانرى هذا
التفسير الثاني بمستطوع أن يقسم الصلة بين (حمورابي) و
(مكورابا) ، فهذا الاخير ايضاً يمكن أن يكون (مكو :
مكة ، معبد + رابا : آلهة ، أو إله) ، أي معبد الاله
أو الآلهة .

وإن الأسئلة تنهمر علينا في كل خطوة . و السؤال الذي
يطل برأسه هنا هو : ألا توجد صلة حقاً بين كلمتي (حمو)
و (مكو) ؟

لا نستبعد وجود الصلة . فان أصل معنى (مكو)
هو الاله أي (بك) كما نعلم . ولعله صار يعني الاله
الحامى ولاسيما أن كل انسان كان يتخذ لنفسه حامياً من
أحد الآلهة فان صح هذا قد يصح ايضاً أن (حمو) صارت
تطلق على أبي الاسرة باعتباره حامياً المسؤول عنها ، ثم
على أي الزوج لانهم كانوا يتزوجون في بيت أبيهم الذي
يبقى محتفظاً بالسلطة الابوية . وكما صعد رب البيت
فصار يعني (الرب) الإله ايضاً هبط الاله الحامى
فصار حامى الاسرة ، أي حماها ، أبا الزوج ، ثم شمل
أبا الزوجة ، تعميماً . ومن ثم (الحماية) قد ظهرت
في العربية عن هذا السبيل . وعندئذ يكون من السهل أن
نتصور انتقال (حمو) بمعنى الحامى أو الحمى او الرب
الى لغة العموريين ، قوم حمورابي . فعلى هذا يكون
اسم بكة أقدم كثيراً من حمورابي .

سؤال آخر . لماذا قلنا أننا نرجح التفسير الاول لاسم
حمورابي ، أي (الحمو الكبير) ؟

جواب آخر . لانه يساعدنا على تفسير إضافة (رابا)
بمعنى الكبير الى (مكو) . وبعبارة أصح لان منطق
الاحداث في التاريخ يلمح تلميحاً يكاد يكون تصريحاً ،

التي اجتازتها ، والصيغ التي قمصتها واحدة بعد واحدة ،
فيما يشبه تناسخ الارواح .. على هذه الوثيرة :

بيج بيج بيج : لاسكات الطفل - البَيْخ : سكوت
الغضب - بيخ بيخ : تعبير عن الرضا ، فالاستحسان ،
فالمدح ، فالفخر ، فالتعظيم والتفخيم ، فالجاء والخطوة
عند السلطان - به به : مثل بيخ بيخ - البيخ : الرجل
السرّي - البكّ والباي : من ألقاب السراوة والرفعة -
بكّ : إله كنعاني - بكّة : الكعبة - مكة : البلدة
المحيطة بها - بكّه (бага) : إله بابلي به سميت
بغداد - مكورايا : المعبد بالحشية ، والاغلب أن الصيغة
تكونت بمعنى مكة الكبرى في الحميرية - المحراب :
المعبد ، ثم المعبد الخصوصي في البيت ، ثم اكرم غرفة
أو مكان في الدار ، ثم مجلس الملك الذي يتفرد فيه
عن جلسائه ، والظاهر أنهم يقصدون به سرير الملك .
أقدس موضع عند المسلمين أي (مكة) قد سمي اذن
بأقدس كلمة عندهم أي اسم الله .

ومن معانيه اللغوية كذلك : الغرفة ، والغرفة العالية
يُرتقى إليها ، وصدر المجلس ، واكرم مجالس الملوك
أي مجلس الملك يتفرد به عن جلسائه ، وما الى ذلك .
ومنه «محارِب غمّدان باليمن» ، يقصدون قصر غمّدان .
فمحارِب غمّدان هذي ، وقول أبي العلاء انه دخل
محرابا من محارِب حمير فنفتح في وجهه ريح المسك -
يجعلنا نرى من المحتمل أن تكون كلمة المحراب أيضاً
قد نشأت في اليمن .

ومن تطورات معاني المحراب وتقلباتها صار يعني
مأوى الاسد ! هنا يقدم لنا فن التأويل نموذجاً من
طرائف تخبط اللغويين ، هو قول اللسان : «وقيل سمي
المحراب محرابا لان الإمام اذا قام فيه لم يأمن ان يلحن
ويخطيء فهو خائف مكاناً كأنه مأوى الاسد» ! .. والله
في مفسّره شؤون .. وشجون .

على ما تقدم نستطيع ترسيخ كلمة المحراب ، أي
ارجاعها الى رستها البدئي على تسلسل يستعرض المراحل

خَط جَدِيدٌ لِنَسْهِيلِ الطَّبَاعَةِ

الدكتور عفيف هنسي

(المدير العام للآثار والمتاحف) - دمشق

« تلقينا هذا البحث من كاتبه الفاضل ننشره الحاقاً بما سبق نشره في مضمير الخط العربي ومحاولات تيسيره وتطويره لحاجتنا الحضارية المعاصرة في الطباعة والتعليم ، آملين أن تنتهي هذه الأبحاث والدراسات الى نتيجة ايجابية في التطبيق » .

□ من الصورة الى الإبجدية :

بعد العثور على النقوش الكتابية في سراييط الخادم (سيناء) كشف النقاب عن حلقة هامة من تطور الكتابة العربية ، وهي مرحلة الانتقال من الصورة الى الحرف . فلقد تبين أن الكتابة الاوغاريتية التي استخدمت الخط المسماى او المسند ، كانت اول ولادة للإبجدية التي أخذت شكلاً متصلاً عند الآراميين ثم العرب ، وكان التساؤل يدور حول أصل الكتابة الاوغاريتية التصويرية ، إذ أن أكثر الكتابات العالمية ابتدأت من الصورة كوسيلة للتخاطب ثم انتقلت الى الرمز ككلمة ثابتة حتى تمكن العقل البشرى من ابتكار الحروف الإبجدية التي سهلت مهمة الكتابة والقراءة . وقدمت الحضارة الكنعانية (الاوغاريتية والفينيقية)

□ اول ابجدية انتشرت فيما بعد في أكثر الكتابات .

□ الشام مهد الكتابة العربية :

كان العرب قبل الاسلام كالتدمريين (في الشام) وسكان الحضر (نسي العراق) يتكلمون الآرامية وهي لغة شقيقة للعربية الاسلامية وبينهما من التقارب والوحدة ما يؤكد أصلهما الواحد . أما العرب الانباط (في جنوب الشام) فكانوا يتكلمون بالعربية ويكتبون بالآرامية المعدلة ، وكان يبدو من النقوش التي عثر عليها حتى الآن ، أن الكتابة العربية قد تطورت بشكل ظاهر عن الكتابة النبطية . ثم أخذت تستقل وتتكون منتشرة من الحيرة (نسي العراق) مهد الادب والحضارة الى الانباط (في الجزيرة العربية) كما يقول المؤرخون العرب ، وأن كانت الكشوف الاثرية الحديثة قد

أبانت أن منشأ الكتابة العربية هو بلاد الشام ، تشهد على ذلك كتابة أم الجمال (حوران) وكتابة النملرة (حوران) ونقش زيد (ج . حلب) ثم تأتي اول كتابة عربية جاهلية عثر عليها في حوران - اللجا أيضا وترجع الى عام 463 م وهي كتابة قاعدية أنيقة .

□ ثلاثمائة وخمسون مليوناً يكتبون بالعربية :

لقد انتشرت الكتابة العربية بسرعة مذهلة مع انتشار الحضارة العربية بعد الاسلام ، وعدا الجزيرة والشام فلقد أصبحت سائدة نسي العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر والسند ، وانتشرت في أرمينية والقوقاز وديار بكر وآسية الصغرى ، كما انتشرت في مصر وشمالى افريقية كله وفي بلاد الاندلس ، وبقيت مستمرة في أكثر هذه الامصار حتى

بعد غياب السلطة العربية ، بل حتى بعد نزوح المسلمين . كما تم في بلاد الاندلس حيث استمر اللجنون زمنا يستعملون العربية في الكتابة الاسبانية ، واطلق على هذه الكتابة اسم (الجيمادو) وهي تحريف لكلمة (الاعجى) وما زال الحرف العربى وسيلة الكتابة عند ثلاثمائة وخمسين مليوناً من المسلمين نراه بأشكال مختلفة تستند وتستمد شخصيتها من التراث الكتابى الضخم الذى يتجلى في النقوش المعمارية وفي المخطوطات .

□ أنواع الخطوط في نشأة الاسلام :

من اوائل اشكال الخط العربى التى ظهرت ايام الرسول الخط المكى والمدنى ويصف صاحب الفهرست - ابن النديم - هذا الخط « فنى الفاتح تعويج الى يمنة : اليد واعلى الاصابع ، وفي شكله انضجاع يسير » على ان ثمة خطأ آخر يعيل الى التريب في زواياه ويطلق عليه اسم (المزوى) وكان يستعمل للاخبار العامة ومنشؤه الكوفة . ثم ظهر المصاحف الشريفة السبعة التى كتبها زيد بن ثابت في عهد عثمان وقد كتبت بالخط المدنى ذاته او بقلم الطومار (!) . وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير ، كما يقول القلقشندى . ومهما يكن من امر فان خطوط مصاحف عثمان ، لم تخرج عن الخط المدنى وهو تطوير واضح للخط النبلى . ولا بد من الإشارة الى ان هذا الخط يمتاز بالامور التالية لاحظها الدكتور المنجد :

- 1 - ربطت الحروف في الكلمة الواحدة ، الا الحروف التى لا تربط
- 2 - شكل الحروف النهائية في

الكلمة مختلف عن شكل البدائية فيها .

3 - ان ملاحظة ابن النديم في شكل الالف وميلان الكتابة صحيحة . وفي عهد عمر ظهر خط «المشق» وفي القاموس المشق في الكتابة : مد حروفها . وهو خط سريع ممتد الحروف غامض التركيب ، ومن الخطوط التى كانت تكتب بها المصاحف ويختلف عن الخط المدنى في انتصاب مداته .

وفي عهد عمر ايضا ظهر خط جديد في الكوفة التى انشأها بأمره سعد بن ابى وقاص واطلق عليه اسم الخط الكوفى : وهو خط يابس فيه صنعة وهندسة لعلها استمدت من الكتابة السريانية التى كانت شائعة في اطراف الكوفة وبخاصة في الحيرة . ولكن الخط الكوفى لم يكن يابسا دائما بل ظهر خط مقور مستدير كما يقول ابن مقلة ، وهو يشبه النسخى المعروف اليوم . ولقد انتقل منذ ذلك الوقت الى المدينة ومنها الى مصر .

□ الكتابة في عهد الامويين والعباسيين واشهر الخطاطين

وفى عهد الامويين ظهر الخط الشامى ويعتقد ابن النديم ان الخطاط « قطبة المحرر » وهو اول من ابدع الخط العربى وطوره ، فقد ابتدع اربعة اقلام لعلها الجليل والطومار والثالث والنصف ، الاولان يابسان والاخران لينان . واشتهر من الخطاطين في العهد الاموى مالك ابن دينار - وخالد بن ابى الهياج - وشعيب بن حمزة واسحاق بن حماد ، وابراهيم الشجرى . وقد لا يكون الخط الشامى بعيدا جدا

من الخط الكوفى بنوعيه ، ولكن الفروق بينهما ترجع الى اختلاف طرائق الخطاطين ، بدأ ذلك ايضا ، في الخطوط المعاصرة الاخرى كالخط المصرى والقروانى ، وفي الخطوط التى ظهرت فيما بعد في العصر العباسى وذكرها ابن النديم كالمثلث والمدور والرافى والمصنوع والتجاويد ولعل من اشهر الخطاطين في العصر العباسى ، الاحول المحرر وهو أحد كبار الخطاطين ، وكان وزير المعتمد معجبا بخطه ولا يكتب له أحد غير الاحول . ولقد ابتكر من الاقلام - المسلسل وهو خط متصل لا انقطاع بين حروفه . والحمام ، وكان يستعمل لكتابة الرسائل وسى بالغبارى ، والاجازة ، وهو خط قريب من الثلث والنسخى . اما ابو على محمد بن مقلة المتوفى عام 228 هـ فقد كان وزيرا للمقتدر وللظاهر بالله وللراضى بالله ، ثم وثى به فقطع الراضى يده اليمنى فصار يكتب باليسرى ، وقيل كان يشد القلم على ساعده المقطوع عند الكتابة ، وابتكر ابن مقلة خط النسخ الذى انتشر عنه ثم تطور ، واشتهر عبد الله بن مقلة مع اخيه بكتابة الخط الجميل وان كان قد تتلمذ على الاحول المحرر . وكان ابنا مقلة ، الوزير واخوه قد برعا في خط الثلث وقلم التوقيعات ، وكان أسلوب ابن مقلة الوزير في خط الثلث يتناقله الخطاطون والمحررون . ومن أشهر من أخذ بأسلوب ابن مقلة عبد الله بن اسد القارى المتوفى عام 410 هـ وكان يكتب الشعر بخط قريب من المحقق ، وأخذ عنه ابن اسد ، الخطاط الأشهر ابن البواب صاحب المعجزات فى حسن الخط كما يقول ابن الفوطى . ولعله تجاوز الوزير ابن مقلة في

ما زالت الخطوط التقليدية وهى الثلث والنسخى والرقعى والفارسى هى الخطوط المستعملة فى التعليم وبين هذه الخطوط من الفروق ما يستعصى على المتعلم الناشئ الذى يرى نفسه امام اشكال عديدة من الابدجيات . ابدجىة حروف البداية وابدجىة حروف النهاية وابدجىة حروف الوسط وابدجىة الحروف المستقلة ، واذا تذكرنا ان اشكال حروف هذه الابدجيات مختلفة باختلاف انواع الخطوط لوجدنا اطفالنا المساكين امام مئات الحروف المتنوعة .

والنقطة الثانية : ان الجامع اللغوية او المؤسسات العربية الموحدة لم تتسع بعد الى اعتماد خط موحد يسهل على الطالب والقارىء فهم ما يقرأه ، ذلك ان الخطوط العربية المتنوعة انما هى صيغ فنية ابداعية ولها شأن هام فى نطاق الفن ، الا انها وسيلة لنقل الافكار والمعرفة ايضا فلا بد من أسلوب سهل محدد العلامات والحروف يخفف من صعوبات الطباعة ، وهى مشكلة لم تجد لها حلا حتى الآن .

□ ابتكار الاحرف الحديثة :

لقد انتشرت الكتابة اللاتينية انتشارا واسعا نظرا لعدم تنوع الحرف الواحد بحسب موقعه من الكلمة . وتبقى مشكلة الحروف الكبيرة والحروف الصغيرة تنتظر التوحيد لتخفيف الصعوبة على مبتدئ . اما الكتابة العربية فانها على جمالها وامالتها ما زالت تحتاج الى تبسيط ، ويشترط لاجاد حروف تستجيب لضرورات التعليم السريع وسهولة الطباعة الشروط التالية :

وبخارى فى القرن الخامس عشر واليه يرجع ابتكار خط نستعليق ، ثم ظهر فى هراة الخطاط الشهر سلطان على مشهدى وابنه سلطان محمد نور كما ظهر فى تبريز الخطاطون عبد الرحمن الخوارزمى وولداه ، وقد ادخلوا تحسينات على خط التعليق ، اما خط الرقاع ، او الرقعى فلتقد ابتكره الاتراك العثمانيون . ومن اشهر الخطاطين الاتراك واغزروهم انتاجا الحافظ عثمان بن على وكان معلم السلطان احمد خان الثانى عام 1693 م .

واستمر الخطاطون فى المغرب العربى والاندىلس بالتفنن بالخط الحجازى وربما اخذوا من الجليل والثلث فى خط مبتكر .

□ الكتابة العربية وصعوبة الطباعة :

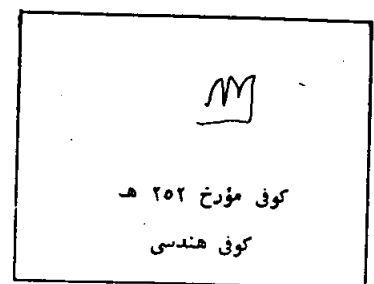
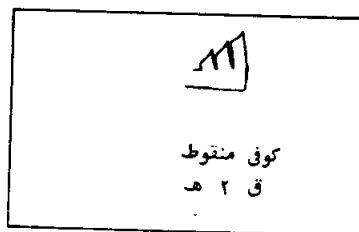
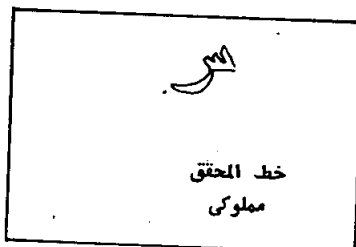
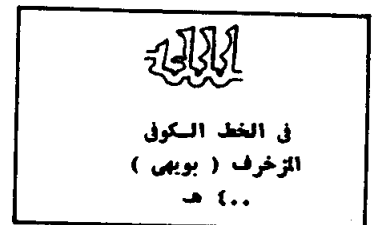
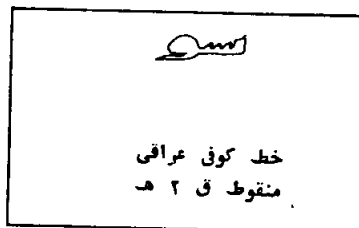
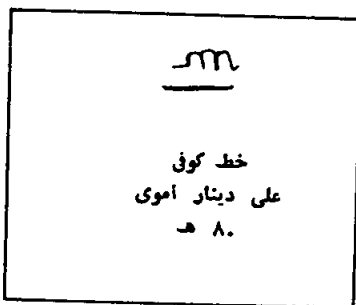
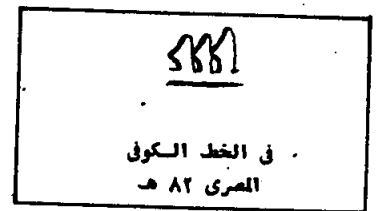
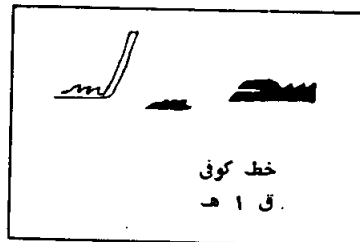
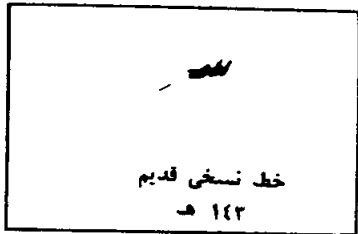
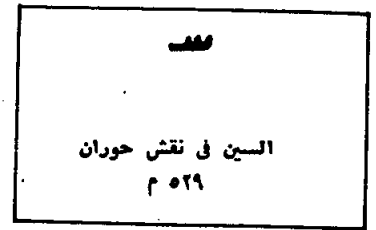
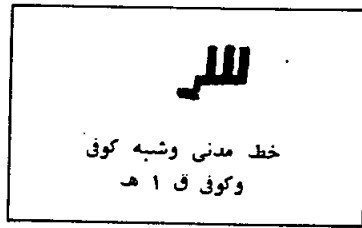
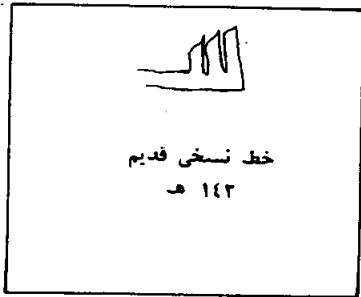
لقد بلغ عدد اشكال الخطوط والاقلام العربية المعروفة الثمانين ، وشرح بعضها منها وكتب عنها القلقشندى فى صبح الاعشى (ج 30) ، وابدان قواعد الخط وطرقه كما تحدث عن نشأته وفنونه . واذا اضفنا الى هذه الخطوط الثمانين ما استحدث خلال هذا القرن من خطوط منسجمة مع مفهوم الفن المعاصر ومع ضرورات الكتابة الاعلامية والطبعية ، لبلغ عددها الضعف . كل هذا يعطينا الدليل على امكانية الكتابة العربية لاستيعاب ابداعات الخطاطين . ولكن لا بد من عرض ملاحظة فى نقطتين :

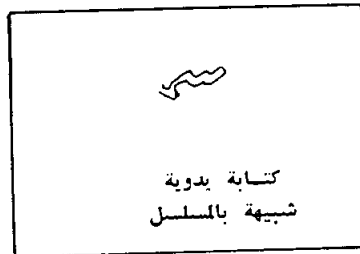
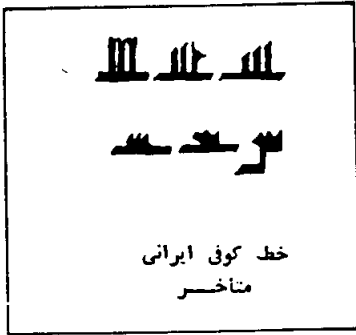
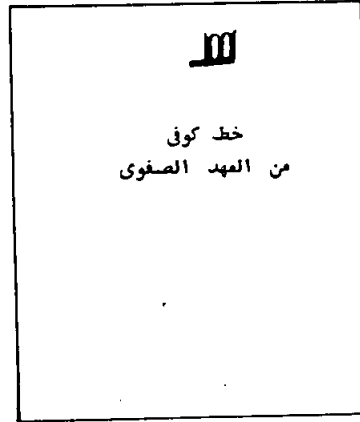
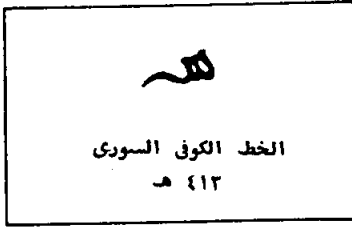
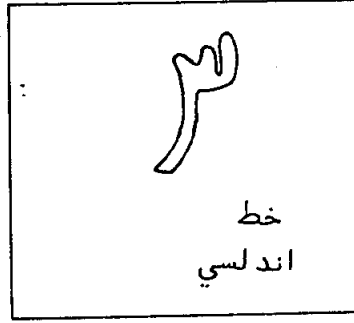
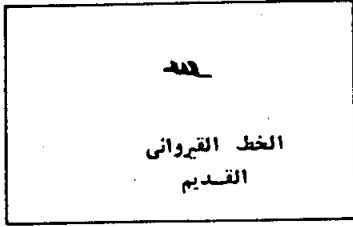
الاولى : ان هذه الانواع المتعددة من خطوط الكتابة العربية لم تخفف من الصعوبات التى تسببها الكتابة العربية فى التعليم او الطباعة ، بل

مقدرته على تجديد خط الثلث وتنويعه . واذا كانت آثار ابن مقلة مفقودة ولا يمكن التعرف على نماذج من خطه الا عن طريق ما شرحه الكتاب والمؤرخون فان بعضا من آثار ابن البواب قد وصلت الينا مثل ديوان سلامة بن جندل والقرآن المحفوظ فى مكتبة شستريتي فى دبلن ، بل ان مخطوطا هاما عثر عليه الدكتور صلاح المنجد ونشره وهو كتاب « جامع محاسن كتابة الكتاب » كان قد جمعه وكتبه بخطه محمد بن حسن الطيبى ، احد كبار الخطاطين فى القرن العاشر الهجرى ، بأسلوب ابن البواب المتعدد الاقلام ، وبهذا يكشف هذا الكتاب عن اشكال انواع الاقلام التى كانت تعرف اسماؤها دون التأكد من اشكالها المطابقة لهذه الاسماء ، ومن الاقلام التى عرض الطيبى نماذجها على انها من طريقة ابن البواب هى قلم الثلث المعتاد (وهو خفيف الثلث) قلم المنشور قلم التواقيع (او التوقيعات) ، قلم جليل الثلث (او الثلث الثقيل) قلم المصاحف ، المسلسل ، الفيهار ، النسخ ، جليل المحقق ، الريحان ، قلم الرياشى (او الرياسى) وقلم الحواش ، والاشعار ، والرقاع ، والمقترن ، وقلم اللؤلؤى .

ثم ازدهرت المدرسة الفارسية فى العهد التيمورى والصفوى وظهر الخط الفارسى وقلم نستعليق والديوانسى والهيامونسى والكوفى الايرانى وفيه جمع بديع من الزخرفة التخيلية والخط الجميل ، ومنه الكوفى المزهر الذى انتقل الى مصر فى عهد الفاطميين .

وكان مير على ، الوزير والشاعر والموسيقى ، من اشهر خطاطى هراة





سلسه
هس هس
هس هس
سه سه

السین فی الخط الرقعی

س هس
سوسو

السین فی الخط
الدیوانی الفارسی

س هس هس هس

السین فی الخط الفارسی

س هس هس
س هس هس هس

السین فی الخط النسخ



اللغة العربية بين الواقع والإدعاء

الأستاذ محمد محمد الزطاني

وما كانت لتعد مشاكل ونواقص تحول دون الخلق والتأليف والإبداع . وانما كان الغرض من خلق هذه المشاكل اثاره البلبلة بين ابناء هذه اللغة وبث الشكوك فيما بينهم ازاء هذه اللغة التي يعرفون هم انفسهم جيدا انها لغة تتوفر على جميع مقومات اللغات الحية المتطورة الصالحة لكل عصر ، ثم هم فعلوا ذلك متوخين القضاء عليها واحلال محلها لغة المستعمر الدخيل ، من هذه المشاكل التي اثرت على سبيل المثال ، مشكلة الحرف العربي ، مشكلة النحوي العربي ، مشكلة الشكل ، العامية والفصحى .. الخ .

ويجدر بنا ان نتوقف قليلا عند كل نقطة من هذه النقاط في محاولة معرفة هل هي حقا مشاكل حقيقية تعاني منها اللغة العربية ام ان لغتنا براء من هذه الادعاءات ؟

اما بالنسبة للحرف العربي فقد تعددت محاولات اصلاحه وتحسينه ولكنها باءت كلها بالفشل الذريع ، وظلت الغلبة للاشكال المتوارثة التي كتبت بها عشرات الآلاف من الكتب في مختلف الميادين العلمية والفلسفية والادبية .. وسواها ، قالوا ان شكل

لقد كثرت الدراسات ، وتعددت المناقشات في ايامنا هذه ، عن اللغة العربية وعن مدى قدرتها على استيعاب علوم العصر ، وتخوف فريق من عدم امكان اللغة العربية مسايرة هذا العصر المتطور المذهل . كما تحمس فريق آخر فابرز امكانات هذه اللغة مستشهدا بتجربة الماضي حيث بلغت اللغة العربية فيه في نقل العلوم وترجمتها شأوا بعيدا ، ولقد كثرت الكلام في هذا المجال حتى كاد يصبح حديث جميع المجالس والمنتديات في مختلف البلاد العربية ، فهل تعاني العربية حقا من هذا النقص ؟ وتعيش نوعا من العزلة لدرجة انها في حاجة الى دفاع ومناقشات من هذا القبيل ؟

واحقا للحق يمكن القول بأن اللغة العربية ليست في حاجة الى ارتداء درع الوقاية يحميها هجمات الكائدين ويرد عنها شماتة المفرضين ، اذ تؤكد كل الدلائل قديما وحديثا - ان هذه اللغة - كانت وما تزال لغة حية مكتملة الجوانب اللهم ما يريد ان يلحق بها بعض المتشككين من نعوت وعيوب كانت قد اثارها زمرة من المستشرقين الحاقدين في منتصف هذا القرن حيث أوجدوا موضوعات لم يكن لها وجود قبلهم ،

اسم الكاتب سلامة موسى في مصر الذي تحمس لهذه الفكرة وقدم تبريرات ومقترحات في شأنها يقول في هذا الخصوص : « هذا السخط الذي يتولانا كلما فكرنا في حالنا الثقافية وتعطيل هذه اللفة لنا عن الرقى الثقافي ، تزيد حدته كلما فكرنا وادى بنا التفكير الى اليقين بأن اصلاحها مستطاع ، والقلق عام ولكن الجبن عن الابتكار اعم . ولذلك كلما نجد الشجاعة للدعوة الى الاصلاح الجريء الا في رجال نابهين لا يباليون بالجهلة والحمقى مثل قاسم امين ، او أحمد امين في الدعوة الى الغاء الاعراب ، ومثل عبد العزيز فهمي حيث يدعو الى الخط اللاتيني هو وثبة المستقبل لو اننا عملنا به لاستطعنا ان ننقل مصر الى مقام تركيا (!) التي اغلق عليها هذا الخط ابواب ماضيها وفتح لها ابواب مستقبلها » .

ولقد قدم سلامة موسى بعض المقترحات نجملها فيما يلي :

هذا الاقتراح يحتاج اولا الى الغاء الاعراب وميزاته :

اولا : الاقتراب من التوحيد البشرى لانه وسيلة القراءة والكتابة عند المتبرنين الذين يملكون الصناعة اى العلم والقوة والمستقبل . وهذا الخط تأخذ به الامم التي ترغب في التجدد كما فعلت تركيا ، ومن المرجح ان يعمم هذا الخط العالم كله تقريبا .

وثانيا : حين نصطنع الخط اللاتيني يزول هذا الانفصال النفسى الذى أحدثته هاتان الكلمتان المشؤومتان : شرق وغرب ، فلا تتغير من ان نميش العيشة العصرية ولان يجبر هذا الخط في اثره كثيرا من ضروب الاصلاح الاخرى مثل المساواة الاقتصادية بين الجنسين ، ومثل التفكير العلمى والعقلية بل النفسية العلمية ايضا ، الخ .

وثالثا ورابعا وخامسا :

وسادسا : اننا عند ما نكتب بالخط اللاتيني نجد

الحرف الراهن وتركيبه لا يتفق والعصر ، وأن رصف صفحة بالخط الفرنجى يعادل في الزمن رصف صفحتين في الخط العربى لتزايد عيون الحرف العربى التى تتعدد وتتغير بتغير مواقعها في الاول أو الوسط أو الآخر وهكذا .. فقدم لنا كثير من الباحثين اشكالا متباينة لخط جديد تشبه الى حد بعيد رسوم الخط الفرنجى ، غير أن القارئ العربى يكتشف منذ الوهلة الاولى انها في غالبيتها اشكال غريبة عليه يجها ذوقه العربى السليم ، بل انها في بعض الاحيان تكلفه عناء شديدا في هجاء حرف واحد منها ! والحقيقة التى تتضح بعد ذلك هى أن جمالية الخط العربى او حرفه لا تبارى « فقد ثبت الآن أن الحرف العربى حرف مثالى في جمال تكوينه وشكله وتنوعه والتوائه واستوائه وتعريجاته واختصاره ، وأن الصفحة الواحدة من الكتاب العربى لو كتبت بالحرف اللاتينى لاحتاجت الى صفحتين على الاقل ، فالكتاب المؤلف من مائة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه بأقل من مائتى صفحة بالحرف اللاتينى ، ثم ان تطور الطباعة اليوم يتجه اتجاها سريعا نحو اللوتيتيب والمونوتيب . ومعنى ذلك هو العدول بالتدرج عن اسلوب الرصف الحرفى واختصار القوالب الى نحو 160 فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربى لا يخرج عن شكله ولا يبعده عن اصله ولا تزيد قوالبه على المائة والامل قريب بتوفيق جامعة الدول العربية الى حل مشكلة الحرف حلا سريعا وموضوعيا تسهل به الكتابة على الراقنة وفى المطابع بحيث تسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية وينعقد خصومنا معركة » (1) .

حقا انه لمن السخف أن نجد بين ظهرانينا من تسمح له نفسه بالدعوة الى استبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى متخذين مما ابتدعه مصطفى أتاتورك للغة التركية مثلا يحتذى وكذلك بدعوى السهولة واليسر وضبط الكتابة وابرار حركات الحروف ، وهذه دعوى باطلة من اساسها تحمس لها بعض ذوى النيات السيئة من اعداد هذه اللغة عربا كانوا ام اجانب ، ومن بين المفكرين الذين تحمسوا لهذه الدعوى ذوى الثقل الخاص في العصر الحديث يذكر

(1) انظر مجلة « اللسان العربى » المجلد التاسع الجزء الاول ص 9 . ضمن مقال ثورية التعريب للاستاد عبد العزيز بنعبد الله :

أن تعلم اللغات الأوروبية قد سهل أيضا ، ففتح لنا
أفاق هي الآن مغلقة (2) .

ويختتم سلامة موسى هذه المقترحات بالتساؤل
التالى : « وبالجملة نستطيع أن نقول أن الخط اللاتيني
هو وثبة في النور نحو المستقبل ، ولكن هل المناصر
التي تنتفع ببقاء الخط العربى والتقاليد ترضى بهذه
الوثبة ؟

ان القارئ الكريم يلاحظ — لا شك — كم في
هذه الدعوة من مغالاة كما انه يتبين له ولا ريب انها
لا تستند الى أساس سليم تبنى عليه وانما هي دعوى
تخريب اكثر مما هي دعوة بناء ، فهي بالتالى دعوة
باطلة كغيرها من الدعوات المشبوهة التي لا ترمى
سوى الى تشتيت التراث العربى وتشويهه ، ولقد
حاق بدعوة سلامة موسى فشل ذريع كما باعت بالفشل
دعوات غيره من أمثال أمين شميل ، وعبد العزيز
فهى وقبلهما الدكتور سبيتا ، وويلمور ، ووليم
ويلكوكس ، وغيرهم من المفرضين . « وظلت السيطرة
للحرف العربى » ثم ماذا كان سيفعل هؤلاء في كثير
من الحروف العربية التي لا تجد لها رسما سوى في
النطق العربى كحروف : الحاء ، والفاء ، والعين ،
والذال ، والضاد ، والطاء ، والقاف ، والثاء ،
والهاء .. الخ . ثم ماذا سيكون موقفهم من التراث
العربى المكتوب بحروف عربية ؟ وهكذا وثدت هذه
الدعوة في مهدها .

نتنقل بعد ذلك الى مسألة النحو العربى ، ان
النشأ من متعلمى اللغة العربية يتكون من صعوبة
نحوها ، والحق أنه ما من « نحو » في أى لغة من لغات
الارض الا ويعانى أصحابها من هذه الشكوى . ولقد
أصبح « نحو » اللغة الالمانية مضرب الأمثال في
الصعوبة والتعقيد على ان قواعد العربية ليست أشد
صعوبة من هذه اللغة أو تلك ، يقول الدكتور : محمد
كامل حسين في دراسة قيمة له عن النحو العربى :
« والواقع أن قواعد اللغة العربية بسيطة جدا يمكن
الإلمام بها بعد درس غير مرهق ، ولا يحتاج المتعلم بعد

ذلك الا الى المران على تطبيق هذه القواعد الشاملة
فيستقيم بذلك لسانه دون عناء كبير (3) . ان الخطأ
الفادح الذى يقع فيه مخطوطو مناهج التعليم عندنا كونهم
يلقنون القواعد في صورتها الجافة قبل النصوص ،
في حين أننا نجد أن القائمين على مناهج التعليم فى
المدارس الأوروبية على اختلافها يعيدون التلميذ على
التعامل مع النص — فى المقام الاول — فهو يقرأ ويميد
ويحفظ من غير أن يكون ذا الملم واسع بعلم النحو ،
ثم يطبق — بعد ذلك ما قرأه على القواعد ، فإذا أردنا
الخروج بنحونا من صلابته وجفوته علينا أن نكثر في
المراحل الاولى من مناهج تعليمنا من النصوص وما
أغنى لفتنا العربية بشتى أنواع هذه النصوص على
اختلافها ، فالتعامل مع النص يكسب الطالب أو
المتعلم سليقة فطرية ويعوده بطريقة تلقائية على
اشكال الحروف وبنائها وتراكيبها وتعدد أساليبها ،
والتاريخ العربى يقول لنا ان النص سابق للنحو ، فقد
وجدت النصوص منذ كانت العربية ، أما النحو « كعلم
قائم بذاته » فلم توضع مبادئه الا فى زمن متأخر
جدا أى فى القرن الاول الهجرى أيام على بن أبى
طالب ، وكلنا يعرف قصة أبى الاسود الدؤلى مع ابنته
وغيرها من القصص التي تروى فى مجال سبب وضع
النحو العربى .

لقد كانت العرب اذن تنطق بالسليقة ، ولا
تخطئ أبدا فى كلامها من غير أن تعلم لماذا كان الفاعل
مرفوعا ولا المفعول منصوبا ، كما أن كثيرا من علماء
العربية وواضعى معاجمها المشهورة كانوا يقصدون
الإعراب فى البوادي حيث العربية سليمة نقية غير
مشوبة فيأخذون عنهم النطق الصحيح ، ومعروف عن
الزمخشري هذا حيث أنه فى « أساس بلاغته » كان
يؤم البوادي العربية ويسجل المعانى المستعملة عندها
وهكذا الشأن مع باقى لغوى العرب .

اذن فالشكوى من النحو هي شكوى من قواعد
الجافة الموضوعية فى قوالب مملة شأنها شأن القوانين
الجامدة ، أما اللغة العربية فالدليل قائم — قدسيا
وحديثا — على أن المران والمتابعة والممارسة كسل
اولئك يكسب الدارس لها مهارة فائقة على التركيب

(2) سلامة موسى ، البلاغة العصرية واللغة العربية ص 109 . نقلنا عن اللغة العربية وعلوم العصر ،
للدكتورة بنت الشاطىء « اللسان العربى » المجلد الرابع عشر ج 1 ص 15 .
(3) مجلة « مجمع اللغة العربية » القاهرة ، فبراير 1971 ص 26 .

السليم والنطق الصحيح ، وكم من متعلم أو كاتب لم يدرس القواعد قط ومع ذلك يستطيع أن يكتب ويؤلف نتيجة الممارسة والقراءة المتواصلة ، ألم يقل الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسائه
ولكن سليقى أقول فأعرب

القول المعرب إذن قوامه القراءة الكثيرة والخوض في النصوص وهذا ما نرجو أن يتم في مناهج دراستنا أي مضاعفة حصص النصوص ، وبالمقابل حسن اختيار القواعد ، وأنطلاقاً من النص ودراسته نستنتج القاعدة التي بنى عليها هذا النص ، وهذا مغناه التطبيق الفعلي للدراسة النظرية .. فأنت قد تتعلم أي علم من العلوم أو أي فن من الفنون ، الطب السياحة ، الخيالة .. الخ في حجرة مغلقة تدرس قواعد هذا الفن أو ذلك العلم ولكنك في الحقيقة لن تفيد شيئاً إلا إذا طبقت ذلك بطريقة عملية فتكسب من ثم مهارة التطبيق مع حسن النظر والدرس .

وكم هي محاولات تبسيط النحو العربي التي تقدم بها كثير من الدارسين في مختلف البلاد العربية غير أنه ظل ما يقدمونه حبراً على ورق ميثوناً في مختلف أدرج المؤسسات اللغوية العربية دون أن يغير شيئاً من المشكلة القائمة ، الحل إذن يكمن في محاولة الاكثار من النصوص بما يتلاءم ومستوى المتعلم ..

أما مسألة الشاذ في اللغة الذي يخرج عن المألوف والاستعمال يظل صورة متخفية لنطق بعض القبائل العربية القديمة لا ينبغي أن نأخذ به ، فالشاذ أو النادر لا حكم له كما يقال . وتنبثق عن مسألة النحو العربي مسألة أخرى يرى فيها البعض مشكلة قائمة بذاتها لا تقل أهمية عن غيرها من المشاكل التي تعاني منها اللغة العربية ، وهي مسألة « الشكل » شكل الحروف العربية تقادياً للغموض واللبس والابهام وتعدد المفاهيم . وهناك اتهام مشهور يوجه لإنشاء اللغة العربية — في هذا الصدد — وهو أنه حتى كبار دارسيها يحارون أو يتعثرون في بعض الأحيان عند قراءة نص من النصوص العربية بخافة الخطأ أو

اللحن ومن أجل شكلها شكلاً صحيحاً . على حين أننا نجد القارئ الفرنسي — مثلاً — حتى وإن كان دون مستوى مرحلة البكالوريا يقرأ النصوص في لغته بطلاقة من غير أن يرتكب خطأ واحداً ، وهذه من أخطر الاتهامات التي توجه للفتنا ويرى فيها الباحثون رأيين الأول يقول : إن اللغة العربية ليست صعبة كما يدعون ، بل إن النقص كامن فيمن لا يجيدها حق الإجابة ، وإذا كان المرء عالماً بأصولها ، مطلقاً على أسرارها ، دارساً لقواعدها ، ملماً بأساليبها ، فانه لن يخطئ أبداً ! في حين يذهب الرأي الآخر إلى عكس هذا على الإطلاق فيقرر أن العربية فعلاً تشكو من هذه النقيصة ، فيما يخص شكل الكلمات على الأقل ، حقا هناك كلمات يحار المرء في قراءتها القراءة الصحيحة وقد يقرأها على غير حقيقتها . وهناك أخرى يمكن نطقها على خمسة أو ستة أوجه ، وهذه مشكلة في حد ذاتها ولكن كما أسلفت مع المران والقراءة المتعددة وتتبع السياق كل ذلك يساعد على تقادي أمثال هذه الأمور التي لم تحل أبداً دون التأليف والخلق والإبداع المستمر على امتداد تاريخ العربية الحافل بجليل الآثار في كل علم . وبخصوص « الشكل » اقترح بعض الدارسين ضرورة الزام الحركات مع الكلمة بتصويرها في آخرها بحيث تشكل حرفاً جديداً قائماً بذاته ، في حين اقترح آخرون كتابتها بإزاء كل حرف على غرار الحرف اللاتيني !

وقد بذل بعض العلماء العرب محاولات موفقة في هذا الصدد ، فقد وضع بعضهم رسومات للخط العربي لا يتطلب الطبع بهذه الحروف الجديدة سوى إلى تسعين حرفاً في حين كان يتطلب الطبع بالحروف العربية العادية بالشكل التام خمسة وسبعين وأربعمئة حرف من الحروف المحززة (التي حازرت لتتراكب وتتداخل) وما يزيد على ثمانمئة حرف من الحروف الغير المحززة « (4) » .

وقد طبقت بعض هذه النماذج في بعض الكتب والصحف المغربية فلاتت اقبالا واستحسانا وهي لعمري حروف مقبولة لا غبار عليها ، من أهم مميزاتها الزامها الشكل في جميع الحالات ، ثم هي لا تغير من صورة الحرف العربي ولا تنقده جماليته .

(4) انظر الرسم النموذجي لمشروع اصلاح الطباعة العربية (اللسان العربي) ، المجلد التاسع الجزء الاول ص 218 بتاريخ 1972 ، للاستاذ أحمد الأخضر غزال .

النظر وتبادل الرأي في أمور كان ينبغي تفاديها منذ نصف قرن كأننا نحى لغة موآنا وكان لم يكننا دليلا شهادة أربعة عشر قرنا من الزمان (على حد قول ماسنيون) برهنت فيها اللغة العربية بأنها كانت دائما لغة علم بل وقدمت للعلم خدمات جليلة باعتراف الجميع كما اضافت اليه اضافات يعترف لها بها العلم الحديث ، فهى اذن لغة غير عاجزة البتة على المتابعة والمسايرة والترجمة والعطاء بنفس الروح والقوة والفعالية التى طبعتها على امتداد قرون خلت ، ويتضح لنا بالتالى ان ما ندعيه مشاكل فى اللغة العربية ليست سوى حواجز يضمها الحاقدون عثرة فى سبيل اللغة ويختلقها الناقمون على تراثها وحضارتها ، ولا أجد ما أختتم به هذا العرض خيرا من كلمة الدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، التى تقول : « واذا كانت العربية قد صمدت لكل هذه الحملات الضارية التى جاعتها من الاجانب الغريباء ومن اينائها المفترسين ، تجارينا باللهاجات العامية حيننا وبالخط اللاتينى حيننا آخر ، وتتهننا بالبدآوة والعقم فتعزلنا عن الميدان العلمى لتظل نائية بها عن روح العصر ، اتقول اذا كانت العربية قد صمدت لهذه الحملات ، فلانها دون ريب تملك القوة والحيوية والصلاحية للبقاء ، ما قاومت به محاولات المسخ ورمضت نبوءة المتبئين لها بالموت » (6) .

وحرار قوم فى هذا العصر فى استعمال الفصحى أم العامية ؟ ولقد تعددت الدراسات فى هذا المجال بين مؤيد للعامية متمصب أهمى لها بدعوى التبسيط والسهولة واليسر ، وبين مستمسك بالفصحى لا يرضى بها بديلا ، والحقيقة التى اثبتتها السنون ان الغلبة دائما كانت للفصحى ، على الرغم من كيد الكائدين فكم من كاتب نادى وتحمس بل وكتب ووضع تعابير خاصة للعامية (5) قصد نشرها وتميمها فى محاولة القضاء على الفصحى ، والغرابة ان هؤلاء الذين كانوا متحمسين للعامية عادوا جميعا يكتبون بلغة عربية فصحى ناصعة صافية نقية سليمة وفى فترة ما من فترات حياة ادينا الكبير المرحوم محمود تيمور كان قد تحول عن الفصحى الى العامية بل انه كتب قصصا بها غير انه سرعان ما عاد ، كاتبا عربيا مبينا بل ومتحمسا كبيرا للفصحى ومدافعا عن لوانها كعضو بارز فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة أحد أعرق معاتل الدفاع عن الفصحى وتراثها .

ان العالم يركض ويجرى من حولنا والحضارة تتذف الينا بعشرات المصطلحات يوميا ، والاختراعات تلو الاختراعات تترى فى حياتنا المعاصرة . . والسنون لا ترحم ، تطوى بعضها طيا ، ونحن ما زلنا نطيل

(5) انظر كتاب : سلامة موسى البلاغة العصرية واللغة العربية ص 75 . عن بحث الدكتور بنت الشاطيء المشار اليه سابقا .

(6) اللغة العربية وعلوم العصر (بنت الشاطيء) من كتاب المؤلفة « لغتنا والحياة » .

مَزَالِيقُ التَّعْرِيبِ

الأستاذ ادريس العلمي - الدار البيضاء

او صحة القصد او العمل الصالح او المستقيم الا في المجاز المنتحل لهذه العبارة وحدها : « لعب دورا » وهى عبارة غير صحيحة من الناحية اللغوية لا شكلا ولا موضوعا ، اى لا من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى ، كما سيتبين ذلك من بقية البحث .

فليست هذه العبارة المقحمة في اللغة العربية تعسفا سوى ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية « Jouer un rôle » التى لها معنى حقيقى ومعنى مجازى اعطيا معا للعبارة الملققة . ويقصد بالعبارة الفرنسية حسب موسوعة لاروس في شرح حقيقتها : « مثل دورا في المسرح او السينما » اما في شرح مجازها الذى هو موضوع بحثنا فقد ورد ما يلى : « قام بعمل ، او بوظيفة ، سلك سلوكا ما ، كان ماثلا على نحو ما في ظرف من الظروف ، كان له اثر او تأثير ما » .

فترجمتها بعبارة «لعب دورا» ترجمة بعيدة عن الصواب كل البعد لانها انتحلت لفعل «لعب» العربى خصائص لغوية ، نحوية ودلالية ، اختص بها فعل « Jouer » الفرنسى ما كانت للفعل العربى ولا يسوغ له لشدة اختلاف وتباين البيئة اللغوية التى

لشد ما يحز في نفسى ان اسمع او اقرا مثل هاته العبارة التى تتردد على كثير من الاقلام والالسنه سواء في مجال التعريب والترجمة وفي مجال الانشاء والتحرير: « لعب القرآن دورا كبيرا في حفظ اللغة العربية وانتشارها » او « لعب الاسلام دورا عظيما في توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » الى آخر ذلك من العبارات التى يستعمل فيها فعل « لعب » ضده معناه اللغوى في الحقيقة وفي المجاز وعكس مفهومه في القديم والحديث عند ما يعنى به تام بعمل جدى ، او فعل شيئا مجديا ، او قصد مقصدا صحيحا ، او عمل عملا صالحا او مستقيما وذلك لان لفظ « اللعب » ما عنى قط في كلام العرب ولا في انهامهم منذ ان كانت لغة الضاد الى يومنا هذا معنى من هذه المعانى التى لم يرد له فيها استعمال . وقد اتفقت المعاجم العربية قديمها وحديثها على ان لفظ « اللعب » يطلق حقيقة على اللهو ويطلق مجازا على كل عمل لا يجدى نفعا او لا يقصد به مقصد صحيح او على كل عمل لا يستقيم .

ولم يستعمل قط ، قبل هذا ، بل ولا يستعمل حتى الآن فعل « لعب » للدلالة على الجد او الجداية

نشأ وترعرع فيها الفعلا لعربى عن الببئة التى بوجد
فبها الفعل الفرنسى .

(1) استعمل ، استخدم :

مثلا استعمال القضب ، أو المبة
Jouer du bâton, du couteau, du revolver, de
l'éventail (etc ...) (الخ ..)

(2) اشتغل ، شغل :

مثلا زنبرك أو مزلاج لم بعد يشتغل
Ressort, verrou qui ne joue plus
شغل أو أدار المفتاح فى القفل
Faire jouer la clef dans la serrure
شغل ديك بندقية
Faire jouer le chien d'un fusil

(3) قام بعمله ، ادى واجبه

Jouer son rôle عمل ما عليه

(4) ضارب

Jouer à la Bourse مثلا : ضارب بالبورصة

(5) اعتمد على

مثلا : اعتمد على ضعف الغير أو على بؤسه
Jouer sur la faiblesse, la misère d'autrui

(6) انتصر ، تغلب

مثلا : تغلب على الصعاب
Se jouer des difficultés

(7) استغل ، انتفع

مثلا : استغل نسبه ، أو عاهته
Jouer de son ascendant, de son infirmité

(8) تدخل

مثلا : لا دخل للاغراض الشخصية فيما بينهم
La question d'intérêt ne joue pas entre eux

من المعلوم عند من يحسن اللغتين أن فعل
« Jouer » يستعمل فى لغته لازما ومتعديا بنفسه ومتعديا
بغيره بينما فعل « لعب » لا يستعمل فى اللغة العربية
الا لازما ولم يستعمل متعديا بنفسه قط على نحو ما
هو فى عبارة « لعب دورا » . فان المررب تقول :
« لعبنا بالشطرنج ، ولعبنا بالنرد أو بالكرة » ولا تقول
« لعبنا الشطرنج الخ .. » فالترجمة أذن قد انتحلت
التعدية لفعل « لعب » العربى اللازم لا لشيء الا
لتجعله على غرار الفعل الفرنسى « Jouer » سواء
بسواء « هذا من حيث اللفظ .

أما من حيث المعنى فان من يتتبع الوجوه والمواطن
التى يستعمل فيها فعل « Jouer » الفرنسى ومصدره
« Jeu » يجدهما على خلاف فعل « لعب » ومصدره
« اللعب » يتقلبان فى بيئة لغوية يمتزج فيها الجد واللهو
والصلاح والفساد ، والجداية والعبث والاستقامة
والانحراف والنفع والضرر ، حيث لهما دلالات اصطلاحية
علمية وتقنية فى شتى الميادين نذكر بعض ما ورد منها
فى موسوعة لاروس مثل السكك الحديدية والبناء
والاقتصاد السياسى والكهرباء والبحرية والمكنية والصيد
والتقولوجية ؛ هذا الى جانب استعمالهما فى الفنون
الجيلة والالعب الرياضية وغيرها .

وبصدد الاستشهاد سينحصر سردنا للامثلة نسى
جانب الجد والاستقامة الذى اختص به فع « Jouer »
ومصدره « Jeu » دون الفعل العربى «لعب» ومصدره
ونترك جانب اللهو والفساد الذى يشترك فيه الفعلان
الفرنسى والعربى . وبما أننا نتعدى حدود هذا البحث
اذا نحن استقصينا المعانى والامثلة والعبارات الواردة
فى موسوعة لاروس ومعجم بول روبر فاننا سنجتزىء
عنها بالعبارات والامثلة والدلالات التالية التى تفيد
العمل الجدى والاستقامة أو الصلاح وصحة القصد أو
النفع أو الجداية .

فنبيا يخص فعل « Jouer » نقتصر على المعانى
التالية :

Un jeu de brosses

مجموعة فرشاة

(9) فر

(6) كان معنيا بشيء

مثلا : اطلق ساقيه الى الريح

Jouer des jambes

Etre en jeu

كان موضوع مداولة

(تقرير أو مشروع أو قانون الخ ..)

(10) حاكى

مثلا : هذا الثوب يحاكى الحرير

Cette étoffe joue la soie

أما فيما يخص المصدر « Jeu » فإننا نكتفى بما يلي :

(7) الشؤون ، القضايا

Bien jouer son jeu مثلا : أحسن تدبير شؤونه

(8) استخدام ، استعمال ، ادخال

(1) حركة سهلة ، اشتغال شيء بانتظام

مثلا : استخدم كل موارده

مثلا : اشتغال أسطوانة ، اشتغال مضخة

Mettre en jeu toutes ses ressources

Le jeu d'un cylindre

Mettre quelqu'un en jeu أدخله في قضية

Le jeu d'une pompe

وعلى سبيل المجاز : Au fig :

(9) تعريض لخطر

اشتغال المؤسسات أو الانظمة

مثلا : عرض حياة انسان للخطر

Le jeu des institutions

Mettre en jeu la vie d'un homme

(2) فعل ، عمل

Etre du jeu, être dans le jeu (10) تورط

بفعل أحلاف سرية ،

Par le jeu d'alliances secrètes,

فهذه امثلة قليلة من عشرات العبارات والدلالات على العمل الجدى والصلاح والاستقامة وصحة القصد التى يستعمل فيها الفرنسيون فعل « Jouer » ومصدره « Jeu » ومنها يتكون جانب الجد فى البيئة اللغوية التى تنتمى اليها عبارة « Jouer un rôle » المجازية التى نحن بصدد التعقيب عليها ، وهى بيئة لا يسع أحدا أن يزعم أنها غريبة عن العبارة المذكورة أو أنها لا تنسجم معها كل الانسجام ، فهل يمكننا أن نزعم مثل ذلك لعبارة « لعب دورا » المجازية التى يقصد بها قام بعمل مجد أو كان له تأثير ما أو فعل ما فى ظرف من الظروف ؟ نرجو القارئ الكريم أن يتفضل فيقوم معنا بجولة فى بيئة فعل « لعب » ومصدره « اللعب » لتلمس فيها جانب الجد والجدية حتى نتبين مدى انسجام هذه العبارة مع البيئة اللغوية المراد الحاقها بها .

بتضامر أسباب شتى ،

Par le jeu de causes diverses,

فعل قوات خارجية ،

Le jeu des forces extérieures,

القوات العاملة Les forces en jeu

(3) مجال للتحرك

أعطى للقفل مجالا للتحرك

Donner du jeu à une serrure

(4) تخلخل

مثلا : محور يتخلخل Axe qui a du jeu

(5) مجموعة

مثلا : مجموعة مفاتيح Un jeu de clefs.

نفى (لسان العرب) لابن منظور المتوفى سنة 711 هجرية : « اللعب واللعب » : ضد الجد ، لعب

يلعب لعبا ولعبا ، ولعب ، وتلاعب ، وتلعب مرة بعد أخرى ، قال امرؤ القيس :

« تلعب باعث بذمة خالد
وأودى عصام في الخطوب الاوائل »

« وفي حديث تميم والجباسة : « صادفنا البحر حين اغتلم ، فلعب بنا الموج » شهرا ، سمي اضطراب الموج لعبا ، لما لم يسر بهم الى الوجه الذى ارادوه » . ويقال لكل من عمل عملا لا يجدى عليه نفعا : انما انت لاعب وفي حديث الاستنجاء : ان الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، اى انه يحضر امكنة الاستنجاء ويرصدها بالاذى والفساد ، لانها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، وتكشف فيها العورات فامر بسترها والامتناع من التعرض لبصر الناظرين ومهاب الرياح ورشاس البول وكل ذلك من لعب الشيطان ،

وفي الحديث لا يأخذن احدكم متاع اخيه لاعبا جادا : اى يأخذه ولا يريد سرقة ، ولكن يريد ادخال الهم والغيظ عليه فهو لاعب في السرقة ، جاد في الاذية وفي حديث على رضى الله عنه : زعم ابن النابغة انى تلعب اى كثير المزح والمداعبة ، ولعبت الريح بالمنزل : درسته ، وملاعب الريح : مدارجها ، وتركته في ملاعب الجن اى حيث لا يدري اين هو (هـ) (اللسان)

وجاء في شرح «معجم مقاييس اللغة» لابى الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة 395 هجرية بخصوص مادة « لعب » : « .. وقيل ان اصل الباب هو الذهاب على غير استقامة » .

وفي القاموس المحيط « للفيروزيادى المتوفى سنة 820 هجرية نجد الشرح التالى : لعب كسمع لعبا ولعبا ولعبا وتلعبا ولعب وتلعب وتلاعب ضد جد ، وهو لعب ولعب والعبان ولعبة كهزمة ، وتلعبية وتلعب وتلعبية ويفتحان وتلعب وتلعبية كثير اللعب ، وبينهم العوبة اى لعب ، والملاعب موضعه ، ولاعبها لعب معها ، والعبها جعلها تلعب او جاء بما تلعب به ، واللعب الحسن الدل ، وبلا لام من اسمائهن ، والملاعب كمحسنة ثوب بلا كم يلعب به الصبى واللعبة بالضم التمثال وما يلعب به كالشطرنج ونحوه ، والاحق يسخر به ، ونوبة اللعب ، وملاعب الريح مدارجها .. » (اهـ . القاموس)

في الصحاح للجوهري المتوفى سنة 393 هجرية : « اللعب معروف واللعب مثله ، وقد لعب يلعب . وتلعب لعب مرة بعد اخرى » ورجل تلعبية : كثير اللعب ، والتلاعب بالفتح : المصدر والالعبية اللعب ، والملاعب : موضع اللعب ، واللعبية بالضم : لعبة الشطرنج والنرد وكل ملعوب به فهو لعبة .. » (اهـ ، الصحاح)

ومثل ذلك في معجم « المصباح المنير في غريب الشرح الكبير » تأليف احمد بن محمد المقرئ الفيومي المتوفى سنة 770 هجرية .

وفي اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، المطبوع سنة 1889 ميلادية تأليف سميد الخورى الشرتوتى : لعب الرجل لعبا ولعبا ولعبا وتلعبا : ضد جد - ومزح او فعل فعلا بقصد اللذة او التنزه او غير قاصد به مقصدا صحيحا ، او فعل فعلا لا يجدى عليه نفعا .. الى غير ذلك وقيل : اللعب هو فعل الصبيان يعقب التعب من غير فائدة . لعب بكذا : اتخذه لعبة (اهـ ، اقرب الموارد) .

ونجد نفس الشرح في معاجم القرن العشرين ، ففى « معجم متن اللغة » للمرحوم الشيخ احمد رضا العضو السابق فى المجمع العلمى العربى بدمشق : لعب لعبا ولعبا ولعبا وتلعبا ولعبا : فعل فعلا على غير صحيح ضد جد ، والعبها جاءها بما تلعب به ، ولعبت الريح بالمنزل : درسته . (اهـ المتن)

وفي « المعجم الوسيط » الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة : لعب يلعب لعبا ولعبا : لها . وفي التنزيل العزيز : (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب) ولعب بالشئ اتخذه لعبة . ولعب فى الدين اتخذه سخريسة . وفي التنزيل العزيز : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) ولعب : عمل عملا لا يجدى عليه نفعا (ضد جد) . وفي التنزيل العزيز : (فزهرهم يخوضوا ويلعبوا) فهو لاعب ولعب ، ويقال : لعبت بهم الهوم : عبثت بهم ، ولعبت الريح بالمنزل : درسته .

عند ما وصلنا فى تحرير هذا البحث الى هنا لم نكن رجعنا الى « المنجد فى اللغة » تأليف لويس معلوف فبدأ لنا ان استشهدنا بمعاجم القرن العشرين سيظل

ناقصا ما لم يتضمن شرح هذا المعجم الكثير الانتشار والاشتهار وقد فوجئنا مفاجأة سارة اذ وجدنا ضمن شرحه التنبيه على خطأ هذه العبارة بالذات وذلك نسي قوله : « يقال خطأ (لعب دورا) والصواب مثل دورا » اما بقية الشرح فمثل ما ورد « في أقرب الموارد » .

وهذا التنبيه الذى لم نكن ننتظره من معجم وان كان تأييدا قويا لراينا لم يصحح خطأ العبارة المذكورة الا من حيث استعمالها فى الحقيقة لا فى المجاز الذى نحن بصدد الحديث عن استعمالها فيه بالذات .

فنستخلص اذن مما تقدم ان لفظ « اللعب » لم يرد له استعمال فى كلام العرب لا فى شعرهم ولا فى نثرهم ولا فى القرآن الكريم ولا فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بغير معنى « اللهو » او « العبث » او « الفساد » او « عدم الاستقامة » ، ولم يعن قط على اى حال فى يوم من الايام الجد او العمل الجدى او الصالح او المستقيم بل وحتى نسي وقتنا الحاضر لا يراد له ان يعنى الجد الا فى المجاز المنتحل لهذه العبارة الخاطئة من اصلها « لعب دورا » وهى كما يلاحظ القارئ الكريم - عبارة غريبة كل الغرابة عن بيئتها اللغوية تنفر منها نفسورا شديدا ، فيها تلاعب خطير بحرمة اللغة العربية من شأنه ان يحدث فيها ثغرة كبيرة يتدفق منها سيل العجمة والرطانة ليجرف الفصيح ويذهب بالصحيح ، ثم ان فيها لتلاعبا بحرمة المقدسات الدينية عند ما تستعمل فى مثل العبارتين اللتين صدرنا بهما هذا البحث . فهل ضاقت اللغة العربية على هؤلاء المترجمين والمنشئين بما رحبت حتى يلجأوا الى مثل هذه العبارة النابية الواهية ؟ ! ألم يجدوا فى مآثور لغة الضاد ما كان جديرا ان يغنيهم عن التكلف والتحمل ؟ ! فيا ليت شعرى ما كان يضرهم لو قالوا مثلا : « كان للقرآن فضل كبير فى حفظ اللغة العربية . . . » ؟ ! او « كان للاسلام فضل عظيم نسي توحيد كلمة سكان جزيرة العرب » ؟ ! او « كان لهما شأن عظيم فى » ، او اثر كبير فى » ، الخ ، ، ، واذا كان لا مندوحة عن جدة التعبير وطرافته الملحوظتين فى كلمة « دور » فبإمكانهم ان يقولوا مثلا : « قام

الاسلام او القرآن بدور كبير فى » ، ، ، فهذه كلها عبارات تؤدى تماما المعنى المجازى للعبارة الفرنسية « Jouer un grand rôle » ام لا تصح فى نظرهم الترجمة ولا يستقيم لهم الكلام حتى يقيسوا ويفصلوا ويخططوا ثم يصفوا دلالات الالفاظ العربية على ابعاد واشكال والوان دلالات الفاظ اللغة الاجنبية التى ينقلون عنها ؟ فاذا ساغ لهم ان يترجموا مجاز عبارة « Jouer un rôle » بد « لعب دورا » فانه يسوغ لهم كذلك ان يترجموا سائر العبارات الفرنسية المستعمل فيها فعل « Jouer » بد « لعب » فيقولوا مثلا « زنبك او مزلاج لم يعد يلعب » بدلا من « لم يعد يشتغل » او « لعب المفتاح فى القفل » بدلا من « ادار او شغل المفتاح فى القفل » او « لعب بالبورصة » بدلا من « ضارب » او « لعبة مفاتيح » بدلا من « مجموعة مفاتيح » الخ ، ، ،

ان آفة التعريب هذه الترجمة الحرفية العمياء التى تطلع علينا تارة بما يبعث على البكاء وتفاجئنا تارة بما يثير فينا الضحك مثلما حدث فى قصة صاحب دكان لبيع الدراجات فى احدى المدن المغربية غداة اعلان الاستقلال . ففى غمرة الحماس ونشوة التحرر كان المواطنون يكثرون من استعمال عبارة « العهد الجديد » فكتب صاحبنا على دكانه باللغة العربية « دراجات العهد الجديد » ثم بدأ له ان يكتب العنوان بالفرنسية ايضا فالتجأ الى أحد التراجمة الذين لا يعملون فى عملهم الا على معاجم الترجمة ، ولم يكن حينذاك يوجد فى المغرب منها سوى معجمى بولو اليسوعى فبحث الترجمان فى المعجم العربى الفرنسى « الفرائد الدرية » عن المقابل الفرنسى لعبارة « العهد الجديد » العربية فوجد العبارة الفرنسية « Nouveau testament » هى كما هو معلوم اصطلاح مسيحي يطلق على الكتب الدينية المكتوبة بعد مجيء سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام فكتب صاحبنا على دكانه بالفرنسية العنوان التالى :

« Cycles du Nouveau testament »

فندرج ان يتدارك الغيورون على اللغة الامر حتى لا يتسع الخرق وحتى لا يبلغ السيل الزبى .

التخطيط اللغوي - ترجم عن الإنجليزية -

الدكتور جونانان بول

الوطنية الامريكية واكاديمية العلوم السوفيتية. وقد قضى الكاتب اسبوعاً واحداً في باكو وأذربايجان واسبوعاً واحداً في عشقباد وتركمنستان .

ان العمل (الاجتماعي اللغوي) يتم في موسكو و في مدن الجمهوريات الاخرى، إلا أنه في الغالب نظري في موسكو . أما في اماكن مثل باكو وعشقباد فيأخذ التخطيط اللغوي الاسبقية على (الثقافة اللغوية) . واما الثقافة اللغوية فان اتجاهها غالباً نحو الصياغة والتزويد باللوازم .

وتتضمن اهداف المخططين اللغويين ألفية اللغات القومية (والمقصود هنا الاذربايجانية والتركمينية)، وتعبيرها وتطوير تقنية وضع مصطلحاتها ، مع تأليف الكتب المدرسية ونشرها في هذه اللغات ، وتدريب معلمي هذه اللغات ، وتدريب فئة العلميين على الاكثار من ممارسة العمل بهذه اللغات ، وتسجيل لهجاتهم المضمحلة .

ان المخططين اللغويين في باكو أذربايجانيون بوجه عام وفي عشقباد تركمنيون ، وهم من الاهلين الناطقين

(عن نشرة "الرسالة الاخبارية للتخطيط اللغوي" التي يُصدرها المركز «الشرقي/الغربي» لمعهد التعلم الثقافي - في هونولولو ، هواي)

كانت للتخطيط اللغوي أهمية واضحة في الاتحاد السوفيتي منذ البداية ، وكان في بعض الاحيان موضوع قرارات تتخذ على أعلى المستويات السياسية . وترتبط السياسة اللغوية في الاتحاد السوفيتي ارتباطاً وثيقاً بالسياسة القومية ، وهذه بدورها احد مظاهر اختلاف الاديان ، ولا سيما أن درجة عالية من الصمود والتطور في اللغات المتميزة عن الروسية يمكن مشاهدتها في منطقة آسيا المركزية والقفقاسية التي تقطنها جماعات غفيرة من الشعب تتكلم بلغات تركية بعيدة عن الروسية ، ولها ثقافات تراثية يحكمها الاسلام وهذه كذلك جد مابينة للثقافة الروسية .

وعلى هذا الصدد سوف تقتصر ملاحظات شخصية لي تكونت خلال زيارة اسبوعين لهذه المنطقة في نيسان (أبريل) 1975 ، ضمن المنهاج المتبادل بين أكاديمية العلوم

باللغات التي يخططون لها ، ويعملون في مختلف الجامعات والاكاديميات العلمية في الجمهورية ولا سيما ما يختص منها باللغة والادب . وبينما يؤلف بعض المخططين اللغويين معاجم لا تنفك تتوسع للغات القومية يؤلف آخرون ارشادات لتوضيح كيفية الاستعمال بين جمهور المعنيين وتساعد على اتساقها مع الفصحى .

ان المخططين اللغويين في اذربايجان وتركمنستان جادون في عملهم بإغناء لغتهم وتوسيع مهماتهم الاجتماعية وان احدى المسائل القليلة التي تستثير الاهتمام العاطفي في باكو هي : هل تستعمل الازربايجانية في المستقبل كلفة علم كما هي الآن ، أو على نطاق أوسع أو أضيق؟ لقد وجدت الاساتذة الازربايجانيين يتحمسون في ادعائهم ان لغتهم سيكون دورها «أمجد» في المستقبل مما هو الآن ، وعرضوا فخورين الكتب المدرسية الجامعية التي دونوها بالازربايجانية ، برهاناً على دعواهم . وقد دعمت رأيهم معروضات متحف التاريخ الازربايجاني التي توضح كيف استقر الشعب الازربايجاني منذ قرون عديدة على ارضي الجمهورية الحالية ، وقاسوا الكثير من الغزوات ، وسلبهم الفاتحون الكثير من الاشياء ولكنهم لم يفقدوا لغتهم التي -على العكس- فرضت نفسها على الفاتحين .

في بعض الاحيان تعارض السياسة السوفيتية نزعات (الترويس) (1) لدى السكان ، من ذلك ان المنشورات الازربايجانية والتركمينية تحذر من التماذي في اقتباس الالفاظ الروسية حين يكون في مقلود مصادر اللغة المحلية الإتيان بالكلمة المطلوبة . ان اللغة الادبية الفصحى الازربايجانية والتركمينية لا تستعمل الضمائر الروسية ، ولو ان الازربايجانيين والتركمينيين من المزدوجي اللغة ،

يستعملون بعض الالفاظ الروسية في أحاديثهم الدارجة . ومن ناحية اخرى ، ما من احد يحاول ان يتظاهر بأن العلاقات متكافئة بين الروسية واللغات السوفيتية الاخرى . لا لأن الاهتمام بتعلم الروسية من قبل غير الروسيين أكبر من الاهتمام بتعلم الازربية والتركمينية وغيرهما من قبل الروسيين فقط ، ولكن لان الروسية تعد كذلك مصدراً لإغناء اللغات الاخرى اكثر كثيراً من العكس . ومن المقبول بوجه عام ان التعابير الحديثة في اللغات التركية (2) التي لا تقوم على اسس اللغة الاهلية سوف تستعار من الروسية . وتستثنى من ذلك الجذور التي لها استعمال عالمي ولا تستعمل في الروسية . مع هذا اذا كانت الروسية تستعمل الجذر العالمي في صيغة محرقة فالصورة الروسية لا العالمية هي المأخوذ بها . (وشبيه بهذا موقف التركية من الفرنسية مثلاً) .

إن باكو أشد تمسكاً بمبدأ الاخذ باللغة الازربايجانية من عشقباد في استعمال التركمنية ، فاللغات العامة أكثر إصراراً على الازدواجية في باكو ، وخصص الاذاعات باللغة القومية أكثر ، إلى حد ملحوظ . وهذا طبيعي لان باكو تتألف من 46٪ من الازربايجانيين و 28٪ فقط من الروسيين ، بينما يوجد في عشقباد 43٪ من الروسيين و 38٪ فقط من التركمانيين (1970) . كذلك بدأ الاهتمام اللغوي مبكراً في أذربايجان ، حتى ليقول المخططون اللغويون التركمانيون أنهم استدعوا خبراء أذربايجانيين لمساعدتهم في البداية . يضاف إلى هذا أن المخططين اللغويين يتدربون في كل جمهورية دون أن يغادروا جمهورياتهم للدراسة عن طريق وسيط آخر غير لغتهم . والآن حيث يوجد العدد الكافي من المتخصصين القوميين في اللغات الاجنبية كذلك ، أكد لي اللغويون

(1) أي تغليب الروسية على اللغات الاخرى .

(2) اي التركمنية والازربية .

ثم تليها المساعي للاقتناع أو إعادة النظر . وهذا المسار قد يكون مشابهاً لما يقع للواوين التخطيط اللغوي في الاقطار الاخرى .

ويهتمون كثيراً في المدارس بنجاح تعلم اللغة ، والذين لاقيتهم من المعلمين اللغويين المحترفين ، سواء للروسية أو غيرها من اللغات ، وسواء في مدارس باكو وعشقاباد أو قسم الانكليزية في جامعة الدولة بموسكو، متحمسون لمهنتهم ويدوأنهم يحسنون أداءها كل الاحسان. ولا جدال في أن الروسيين خارج المناطق الروسية عليهم أن يتعلموا اللغة القومية المحلية ، وكذلك العكس ، ولو خارج الجامعة. فمثلا في تركمنستان يتعلمون الروسية في المدارس التركمينة في الفصل الثاني، بينما يبدأ تعلم التركمينة في المدارس الروسية في الفصل الخامس . وقد فسروا لي هذه التفرقة بأنها نتيجة كون الروسية أشد صعوبة من التركمينة .

ومما استطعت أن أراه وجدت أن تعلم الروسية في المدارس غير الروسية ، واللغات الاجنبية على العموم ، يتم بالتخاطب المباشر ، عن طريق الاتصال باللغة الحية والمتكلمين بها .

والمخططون اللغويون السوفييت يعتبرون تجربتهم في هذا المضمار خلال العقود الستة الاخيرة من السنين ، منبعاً فريداً من المعلومات والخبرة لزملائهم في الخارج. وسواء أكانت السياسة اللغوية السوفييتية تصلح نموذجاً للسياسة اللغوية في أقطار اخرى أم لا تصلح ، فان المخزن المتنوع من المعطيات التي استنبطتها الجهود السوفييتية في التخطيط اللغوي يمكن الانتفاع بها في اماكن اخرى كمعلومات عن السياسة اللغوية. وستكون مفيدة في مجال تنمية تبادل المعلومات بين الخبراء السوفييت وغيرهم في هذا المضمار.

الاذريون أن كل أحد يوافق على مبدأ ترجمة الادب الاجنبي إلى اللغات القومية مباشرة ، لا كما اعتاد البعض أن يقترح ، عن طريق الترجمات الروسية لذلك الادب .

و لم يخش الزملاء أن يختلفوا بعضهم مع بعض بحضوري في عشقاباد . مثلاً سألت اثنين من اللغويين : لو انتهى بعد عشرين سنة من اليوم روسي وتركمني فسي أحد شوارع عشقاباد فهل الارجح أن يتكلما بالروسية أم بالتركمنية ؟ قال احدهما : بالروسية . لكن الآخر ، الذي أشار إلى أن أفراد القوميات الاخرى في عشقاباد يرسلون الآن أولادهم الى المدارس التركمينة (لا الروسية)، يشعر أن المد قد أخذ بالانحسار ويرى أن المواطنين المفترضين سوف يتكلمان حين يلتقيان في شارع عشقاباد باللغة التركمينة على الاغلب .

وقد نشبت خلافات أخرى ولو أنها أهون شأنها ، حول مدى الاصلاح اللازم في ضبط إملاء اللغات التركمينة . ويعتقد اللغويون في كل من الجمهوريات أن من شأنهم أن يقرروا أي تغيير وكيف ومتى يكون في لغاتهم ، فاذا قررت جمهوريتان حل مشكلة املائية بطريقتين مختلفتين فان ذلك يعد ثمناً زهيداً في سبيل الحفاظ على اللغة القومية .

من الطبيعي أن المناقشة لاتقع بين المخططين اللغويين وحدهم ولكن بينهم وبين مستعملي اللغة أيضا ، إن قرارات دواوين المصطلحات والثقافة اللغوية تكون لها أحياناً قوة القانون (أي لجنة المصطلحات في أكاديمية العلوم في الجمهورية الأذربايجانية) وأحياناً لاتكون . لكنها في كلتا الحالتين تكون متبناة على المناقشات والمذاكرات التي تسبق سن التشريع وهي مسهبة جداً في بعض الاحيان. وعندما تتخذ بشأنها المقررات قد تعقبها المقاومة او الاعتراضات من قبل الادباء والمذيعين وغيرهم

علم اللغات البنائية - ملخص -

الدكتور المنجي الصيادي . تونس

البنائية في القرن العشرين وهي التي تدرس اللغة كلاً مجموعاً ولا تتبع تطور حرف صوتي أو تحوله وحده ، أي أنها تتبع التطور في داخل الصوت تابعاً للصرف والنحو والتركيب .

5 - وعلى هذا فأساس النظرية البنائية هو دراسة التزامن اللغوي ضمن الزمان وضمن المكان . ويمكن التفريق بهذا بين اللغة والكلام فاللغة تجريند والكلام شخصي .

6 - ولا بد من معرفة علم وظائف الاصوات ووظيفتها في اللغة لتميز مختلف المعاني .

7 - ومعرفة مبادئ علم اللغات البنائية ضروري لمساعدة علماء الاجتماع والاقوام : والمؤرخين . لتطوير علومهم .

(اللسان العربي)

تلقينا من السيد المنجي الصيادي بتونس مقالاً بهذا العنوان آثرنا تلخيصه فيما يلي :

1 - يدعى بأن تاريخ علم اللغات ينسب الى قدماء المصريين والى كثير من الامم القديمة ثم ركز البحث على انه هندي وان اول من عرف به هو بانيني (القرن الخامس قبل الميلاد) .

2 - وجاء العرب بعد اليونان والرومان فبرعوا في وصف الجهاز الصوتي وبحث الادغام والابدال والقلب والحذف . .

3 - وكان الهدف دائماً دينياً واخلاقياً ، أي قراءة النصوص الدينية على الوجه الصحيح .

4 - وظهر في اواخر القرون الوسطى علم اللغات المقارن واكتمل في القرن التاسع عشر : وبرزت النظرية

ثالثاً : في ملئتي لاني منظور



المعاجم الجديدة العامة والمختصة

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

شاسعة لا يتوقف حسن استغلالها الا على مدى ضلاعتنا في فقه اللغة .

وقد اوضح (جوستاف لوبون) في كتابه « حضارة العرب » (2) ان العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الاقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماجا اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والتبطينية والبربرية ..

ووقع نفس الحادث كذلك في مارس مدة طويلة ورغم اتبعات الفارسية بقيت العربية لغة جميع المثقفين وقد اكد جوستاف أيضا (ص 174) بأن الفرس يدرسون اليوم (أى أواخر القرن التاسع عشر) العلوم والدينيات والتاريخ في مصنفات عربية .

هذا وقد عريت أهم المصنفات اليونانية في عهد الخلفاء-العباسيين حيث انكب العرب على دراسة الآداب الاجنبية بحراس « فاق الحماس الذى اظهرته أوروبا في عهد الاتبعات » وقد خضعت اللغة العربية

لسنا في حاجة الى بيان الدور الذى لعبته اللغة العربية في العصر الجاهلى كأداة للتخاطب وكمصهر لصقل التعابير عن أدق الاحساسات وأرق العواطف اذ يكفى ان نراجع موسوعات اللغة لنلمس ذلك الثراء الذى عز نظيره في معظم لغات العالم ولعل من مظاهر هذا الثراء تدرج الاسماء لنفس المسيمات في مئات التعابير من القوة الى الضعف من خلال شتى الاعتبارات تبعا لادق مجالى الميز ولا تزال هذه الموسوعات اللغوية لم تدرس حق الدراسة الى الآن وتنطوى على كنوز تكشف المجامع مع الايام عن مدى ارتباطها بالمعانى الجديد واتساقها مع مولدات الفكر الحديث .

على ان في مصنفات الفنون والعلوم الرياضية والادبية والقانونية ذخيرة لغوية كانت هى القوام الإيساسى للتفاهم بين العلماء والتعبير عن أعمق النظريات التقنية يوم كانت الحضارة العربية في عنقوان ازدهارها ويكفى ان نتصفح كتابا علميا او فلسفيا لتدرك مدى هذه القوة وتلك السعة الخارقة ففى العربية اذن «مقدرات»

(1) نص محاضرة القاها السيد مدير مكتب التمرير في لقاء تفصية حول ابن منظور .
(2) الطبعة الفرنسية ص 473 .

وقد كشفت في صقلية لوحة مسيحية محررة بالعربية ومؤرخة بالتاريخ الهجرى بعد انتهاء الاحتلال العربى بستين سنة .

واللغة الاغريقية نفسها اقتبست الشيء الكثير من العربية غير ان المقتبسات اتخذت قالباً يعسر معه ارجاعها الى الاصل العربى .

ومعلوم ان الجامعة الاوربية كانت عاملاً مهماً ذبوع اللغة العربية التى اصبحت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون بل اصبحت لغة دولية للحضارة وقد اتجه اقتباس اوريا من العربية نحو الميدان العلمى فدخلت الى اللغات الاوربية كثير من المصطلحات العربية مثل الكحول والاكسير والجبر واللوغريتم وقد استمد الاسبان - حسب ما قرر ليفى بروفنصال - معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ومن (جبال البرانس) انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين والقطن والزعفران ومجموع مصطلحات الزى هى كذلك من اصل عربى كما تحمل الطلى في اسبانيا اسماء عربية ويتجلى نفس التأثير في الهندسة المعمارية وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً .

وقد لاحظ عالم ايطالى كبير ان معظم التعبيرات العربية التى تغلغلت بكيفية مدهشة في لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعمارى ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافى .

بل ان الاصلاح الخاص بالكنيسة تأثر الى حد بعيد بالطابع العربى فقد اعترف «مالبارون كارادوفو» Carra De Vaux مؤلف « مفكر الاسلام » - وهو مسيحي متحمس - بأن الاسلام علم المسيحية منهاجاً في التفكير الفلسفى هو ثمرة عبقرية ابنائه الطبيعىة وان مفكرى الاسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التى استعملتها المسيحية فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهرًا وتعبيرًا وهذه ظاهرة لا سيما اذا اعتبرنا مدى

لمقتضيات الاصلاح الجديد فانشرت في مجموع اثناء آسيا واستأصلت نهائياً اللهجات القديمة وقد قضت حتى على اللاتينية لا سيما في شبه الجزيرة الايبيرية .

ان اللغة العربية التى بلغت مبلغاً كبيراً من المرونة والثروة في العهد الجاهلى أدركت في القرن الرابع الهجرى اى في عنفوان العصر العباسى اوج كمالها وقد وصف زكي مبارك روعة النثر الفنى العربى فى هذا القرن ووصف « فيكتور بيرار » اللغة العربية في ذلك العصر بأنها اغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الانسانية مرونة وروعة فهى كنز يزخر بالمفاتيح ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير « واعجب ما في الامر - وهو شىء لا نظير له عند الشعوب الاخرى - ان البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر » وجهابذة النثر العربى جبلة وطبعاً « ومنهم استمد كل الشعراء تراثهم اللغوى وعبقريتهم في القريض .

ان نفوذ اللغة العربية اصبغ بعيد المدى حتى ان جانباً من اوريا الجنوبية ايقن بأن العربية هى « الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب » وان رجال الكنيسة اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الاسبانية وان « جان سيفيل » وجد نفسه مضطراً الى ان يحرق بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس (1) .

أما في فرنسا فقد أكد (جوستاف لوبون) فى حضارة العرب (ص 174) ان للعربية آثاراً مهمة في فرنسا نفسها وقد لاحظ المؤرخ (سديو) عن حق ان لهجة ناحيتى «أوفيرنى» و«ليموزان» زاخرة بالالفاظ العربية وان الاعلام تنسم في كل مكان بالطابع العربى .

وكان من الطبيعى أن يزود العرب الذين كانوا قادة المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى كلا من فرنسا وايطاليا بمعظم مصطلحاتها البحرية على أنها تركت أثرها في مصطلحات الجيش والادارة والصيد والعلوم وغيرها .

(1) منذ القرن العاشر الميلادى تبنى اليهود لغة الفاتحين العرب كلفة علمية في افريقيا وغيرها ويجدر ان نذكر الحبر يهودا بن قريش لما يمتاز به كتابه في فقه اللغة المقارن والذى وجهه في ذلك العهد الى بيعة فاس (كودار ص 454) .

مساهمة الفلسفة الإسلامية في تكوين « علم الكلام Thologie » خلال القرون الوسطى والدور الذى تام به في ذلك كل من ابن سينا وابن رشد وما كان لهما من تأثير على اشهر مفكرى المسيحية .

وقد عبر الاستاذ « ماسينيون » عن نفس الفكرة قائلا : « ان المنهاج العلمى قد انطلق اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية في الحضارة الاوربية » .

ثم قال : « ان العربية استطاعت بقيمتها الجدلية والنفسية والصوفية أن تضى سربال الفتوة على التفكير الغربى كما انعمشت « الف ليلة وليلة » في القرن السابع عشر الميلادى ذهنية اوربا التى اتخمتها اساطير الاغريق والرومان » .

وقد ختم (ماسينيون) وصفه الرائع قائلا : « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم في المستقبل » .

وهكذا يمكن القول بأن اللغة الغربية انتشرت في العالم من قبل ، وذيووعها في بلاد المشرق وفي افريقيا قد تم تحت كنف الحضارة الاسلامية .

اما اليوم وقد تغيرت عجلة الزمن فان التقدم العلمى والتكنولوجى جعل اللغة العربية تتعثر نظرا لعدم وجود مراجع علمية عربية كافية في مختلف العلوم للتدريس الجامعى وحركة الترجمة والتعريب في العالم العربى تسير سيرا بطيئا لا يوازى التطور السريع للعلوم والفنون ، الشئ الذى جعل اللغة العربية تفتقر دائما الى كثير من المصطلحات العلمية والتقنية بالاضافة الى اختلاف المصطلحات بين البلاد العربية ، وانعدام المناهج المنطقية الموحدة والوسائل الصالحة ، وصعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة ، وعدم اهتمام ابناء العروبة بنشر لغتهم في الخارج وخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .

ولذلك وجب تشجيع تعريب وترجمة الكتب والمراجع العلمية الجامعية والبحث والتاليف في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية واصدار معاجم علمية وتقنية تهتم بالمصطلحات في مختلف العلوم وتوحيدها بين البلاد العربية ومتابعة ما استجد من مفاهيم ومدركات

علمية تحت اشراف هيئة مختصة كمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربى بالرباط حتى لا تتفرع اللغة العربية — لا قدر الله — الى لهجات اقليمية مختلفة كما حدث للغة اللاتينية بأن يقتصر التعريب الحرفى على المصطلحات الدولية للمفاهيم العلمية ويكتفى بالوضع والاشتقاق والتوليد والنحت في بقية المجالات .

وهكذا يتطلب بناء الوحدة الثقافية الغروبية توحيد المناهج والكتب الدراسية وتوحيد المصطلحات العلمية في مؤتمرات تعقد لهذا الغرض تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمشاركة الهيئات المختصة ووضع كتاب مبسط في قواعد اللغة والنحو وتبسيط الطباعة العربية والعناية بالكتاب المدرسى وبالمناهج المقررة وباسلوب التعليم بصفة عامة ، وذلك بتوسيع المجال الفكرى والعاطفى للطفل العربى وتعليم اللغة العربية للاجانب ونشرها في العالم .

واللغة العربية صالحة للتدريس الجامعى للعلوم الانسانية وهى صالحة ايضا لتدريس العلوم الحديثة بالاستعانة بلغة اجنبية في الوقت الراهن ولزمن محدود والاستناد دوما الى المراجع العلمية المتعددة اللغات لان مشكل الارتكاز على اللغة الوطنية كأداة للتعليم الجامعى ضرورة تومية ولكن الحفاظ على المستوى العلمى الانسانى يستلزم عدم الارتجال ودعم هذا النوع من التعريب المرحلى بلغات ومراجع اجنبية وليس المشكل خاصا باللغة العربية فالمفاهيم العلمية المستجدة تكاد تبلغ الخمسين في كل يوم وتصطدم دول عظمى كفرنسا بصعوبات جلى في كل يوم بحيث لا تستطيع — رغم ما تبذله من جهد عن طريق عشرات الهيئات المختصة — فرنسة اكثر من نصف المدركات الجديدة وهى تعاني باستمرار من النقص المتزايد بالتدريس الجامعى التقنى الدقيق دون اللجوء الى مصطلحات اجنبية .

ومن الثابت الذى لا شك فيه ان وحدة اللغة من اهم العوامل في تمكين وحدة الشعب وتقوية اوامره وشد عزمه على التأخى والتعاون ودفعه للسير قدما في مضمار التطور ومعارج التقدم ، وكثيرا ما وقع — بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعانى تشنجات اجتماعية وسياسية ادى بعضها الى قيام حروب وثورات سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة .

في جميع مراحلها من دور الحضارة حتى نهاية الجامعة وخيرجو جميع الفروع من علمية ورياضية وطبية وصيدلية وهندسية وزراعية لا يقلون دراية وعمقا عن زملائهم في أية دولة راقية .

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية في الرباط عام 1961 وأتروه ومنحوه ثقتهم ثم تبنته الجامعة وضمته اليها فأصبح جزءا منها اعتبارا من عام 1968 .

كيف يعمل مكتب التعريب ؟

ان ايجاد هذا المكتب عمل ثوري في حد ذاته . انه ثورة هائلة عميقة معقولة ، انه ثورة مدروسة مخطط لها انطلقت من مبدأ ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ورمت الي هدف واضح معروف . . . ولاحظ المكتب هذه الفوضى في التعريب ورأى كيف يوضع للمصطلح الواحد أكثر من مرادف معرب أحيانا وعرف أن من أهم الاسباب في ذلك اختلاف اثر الثقافات الغربية في العلماء العرب فبعضهم تأثر بالثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربي وبعضهم تأثر بالثقافة السكسونية كالعراق والاردن ومصر وان بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن الثقافة الاسلامية كخريجي الأزهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجي المعاهد الاجنبية .

ولاحظ المكتب كذلك ان مستوى المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون مثيلاتها في البلاد الراقية ، وقام باحصاء دقيق للمصطلحات والمركبات الواردة في جميع الكتب المدرسية وجردها فاكشف أمرا عجيبا وهو أن مجموع مركباتنا لا يتجاوز ثمان مائة مدرك ، بينما يتجمع في ذهن التلميذ الاجنبي الف وخمس مائة مصطلح (1) . ومعنى ذلك ان مستوى ادراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الاجنبي بمقدار النصف ولذلك يعاني تلميذانا في ملاحقة المركبات العلمية في المدارس الثانوية والجامعية معاناة مؤلمة جدا هي التي جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة والانتقالية في مستوى منخفض .

كل شعوبنا تنزو الى الوحدة العربية الكبرى بعيون ضماء وقلوب متلهفة ، وكل شعرائنا وكتابنا وأرباب الفنون منا يتحدثون عنها ، وكل زعمائنا ، يتخذونها كتلة سياسية . . . وكلما حز بنا أمر أو دهمتنا مصيبة أو اعتدى علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضى الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة أو الاتحاد أو ما شئتم له من تسمية ، اذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد ؟ ونتحدث بلهجات متباينة نكاد ندعى بانها لغات لعظم التفاوت فيما بينها ، فنحن لا نختلف على المسميات والتراكيب فحسب ، بل ان نطقنا فيما اتفقنا عليه يختلف أحيانا اختلافا يظن معه انه لغة أخرى .

قالوا بأن اللغة العربية لغة قديمة أصبحت عاجزة عن مجاراة التطور العصري تاصرة عن مباراة اللغات الحية في العلوم . وقالوا : ان في حروفها نقصا فنحن لا نستطيع النطق ببعض الحروف الضرورية في المسميات العلمية أمثال 6 ، 4 . . . وما شاكلها . وقالوا ان الفكر العلمي المعاصر يخلق في كل يوم نحو مائة مصطلح جديد فكيف تلحقه اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب عن هذا :

1 - ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف لا يعيبها ، ولها اسوة بأقدر اللغات الحية المعاصرة فهل في لغة من لغات العالم الحى حرف (ح) أو (ع) مثلا . وهل في الفرنسية حرف (ق) ، ماذا فعل العربيون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء والصاد وما شابهها ؟ اصطالحوا على رسوم معينة واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما تلفظها نحن في العربية . وكتب المستشرقين والمستعمرين وشراح مخطوطاتنا ومترجميها مليئة بأمثال ذلك . فهل نكون أقل منهم دراية ؟ ومتى تمت الموافقة على الحرف العربي الجديد والمصطلحات الجديدة في ندوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فلن يبقى هناك عذر لمعتذر ؟

2 - ان التجربة العلمية الناجحة التي قامت بها سوريا عام 1919 واستمرت سارية على نهجها الى اليوم تنفى دعواهم نفيًا باتا ، فقد عربت سوريا التعليم

(1) سبق للإستاذ أحمد الأخضر غزال ان قام باحصاءات موفقة في هذا المجال .

العلمي ، فكيف نلاحق هذا التراكم ؟ ان المكتب يتراكم معها ويلحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجمية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للمداولة .

وتنبه المكتب الى ان جميع معاجم اللغة لم تجمع مفرداتها كلها ، فهناك مفردات متناثرة في كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم . وجمعها يحتاج الى وقت طويل جدا فماذا فعل ؟ انه جرد اكبر المعاجم العربية المعروفة (لسان العرب) وقد قمت شخصيا بذلك ونسقت في جزايات وجعلته منطلقا اضيف اليه كل يوم ما يجتمع لدى من جزايات مصنفة تصنيفا ابجديا حتى بلغت مئات الالوف هي التي ستكون اساسا لمعجم المعاني الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات في بعض الفنون كمعجم الفقه المالكي ومعجم الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الرياضة واللعب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمن ومعجم البناء والمعجم المنزلي ومعجم الاطعمة وعشرات اخرى اعددت بعضها والاخر في طور الاعداد .

ونحن نضع امام العرب مجلتنا (لسان العربي) في ثلاثة مجلدات ، كل مجلد منها اكثر من اربعمائة صفحة ، وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها-بالمجان-تقدمها ولا تتطلب اكثر من تقويمنا وتصحيحنا ومؤازرتنا في البحث . وسنصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة مفهومة على الابجديتين العربية والانجليزية ونحن ساعون الى اصدارها باكثر من هذه اللغات .

وبذلك نساهم مجتمعين في الثورة الثقافية المنشودة نعم ان ثورتنا معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصالة والعمل المجدي .

نحن في معركة لا هوادة فيها تتعرض فيها لغتنا لمحن عنيفة جدا ، نتناشها من كل جانب ، والشعب العربي في حال توتر ينتظر منا ان نعمل جادين لحفظ كيانه واللغة عامل مهم جدا في تثبيت هذا الكيان وابرز شخصيته وفي دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام ، ولا

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى اعادة النظر في الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضى شامل وسيلحقه بمعجم لدروس الاشياء استكمالا للمفاهيم الانسانية في الاطفال اى دعا الى ثورة عميقة في اول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هي الا صدى للمناهج وكان ذلك اول اعماله ثم التفت الى المصطلح العربى فوجد ان حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتنا بعيدا كذلك . فبيننا تغفل الاستعمار في بعض البلاد الى اعماق مجتمعها وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من اصولها ونشر لغته بكل وسيلة حتى اصبحت لغة المدرسة والعمل والشارع والبيت ، توقف في مواطن سواها على السطح فحفظت لغتها وثقافتها نوعا ما .

ان النخبة المثقفة في البلاد العربية متأثرة بمقدرة المصطلحات الأجنبية العلمية على الدقة في التعبير والتصوير للمدرك العلمى والتعنى فلا يرضيها التعريب الارتجالي ولا الفوضى المتناثر ولا المتعدد المتكرر او الناقص في دقته واحكامه ، وهي على حق في هذا لانها ترى الفكر العربى على مفترق الطرق وتريد له ان يسلك السبيل السوى ، وترى لغتها وقد قبلت في المجمع الدولية لغة خاصة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح . ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الامر فأتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحمل مسؤوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين اجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع امامه جميع المصطلحات التي عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجمعا عاميا او معروفا . لغويا مشهودا له بالتفوق ، او معجيبا معروفا . وينشر ذلك على شكل معجم الفبائى الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة اشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين ليمتد في ظل الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) بالعواصم العربية على التوالي فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذى يريدون فيصبح شبه الزامى . واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبيل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب .

ان الحضارة العلمية تقذف في كل يوم بما يتراوح بين خمسين ومائة مصطلح جديد الى ساحة التداول

بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الخاصة في تبسيط قواعد اللغة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحات واعادة النظر أولا وقبل كل شيء في مناهج التعليم والكتب والمؤلفات التي توضع بين ايدى التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهداية كالدعوة الى العامية او الى الحروف اللاتينية .

ان اللغة كائن حي تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدى الدائب ونحن في مكتب تنسيق التعريب الدائم نضع انفسنا وخبرتنا كلها تحت تصرف العاملين لخدمة لغة القرآن الكريم في اية دولة عربية ، نخدم لغتنا متحدنين متأزرين لتخدمنا في ثورتنا الثقافية وتحرننا المعلى وتثبيت كياننا الفكرى .

ان تدارك النقص الذى تعانیه اللغة العربية في اداة كثير من المفاهيم الانسانية بصفة عامة ، وفي التعبير عن المدركات العلمية والتقنية بصفة خاصة قد أصبح بلا نزاع ضرورة حتمية يؤمن بها الجميع ولا يزال العاملون في مختلف البلاد العربية منذ القرن الماضى يسعون في سبيل القيام بها ما وسعهم السعى ، لكن دون خطة مرسومة ولا طريقة محددة ولا منهاج معلوم بل كل يعمل على شاكلته وفي عزلة ليسد بعض ما يواجهه من فراغ .

ولا يسع احدا ان ينكر ان هذه الجهود رغما عن تشنتها وتنوعها وعدم منهاجيتها قد أتت بنتائج حسنة قيمة في حد ذاتها لكن قيمة هذه الثورة النفسية التى اكتسبتها لغتنا تتضاعل امام ضخامة الزمان الذى استغرقته تلك الجهود في جمعها وان جدوى هذه الحصيلة الضخمة من المصطلحات الجديدة والكلمات المستحدثة لتكاد تتلاشى ازاء السرعة التى تتقدم بها العلوم والفنون وتسير بها الحضارة الانسانية في هذا العصر .

اجل ، ان لغة الضاد صارت في مطلع هذا القرن بفضل اولئك العاملين اقدر منها في القرن الماضى على ابانة مقاصد الناطقين بها ثم أصبحت في منتصف القرن العشرين اكثر اقتدارا منها في الربع الاول من هذا القرن ، فحينما يستعرض مثلا المصطلحات العلمية والفنية التى اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الثلاثين عاما التى مرت على تأسيسه وحينما نمعن

النظر في القواعد اللغوية التى اعدھا هذا المجمع لعمل المعربين وسائر اللغويين فاننا لا نملك الا ان ننحنى اعجابا واكبارا لهمة رجاله وكثافتهم وغيرتهم على لغتنا القومية ، فانهم رغما عن محاربتهم النقص في واجهتين معا : وضع المصطلحات الجديدة من ناحية وسن القواعد لوضعها من ناحية اخرى ، ورغما عن قلة الوسائل المتيسرة لديهم وعدم تفرغهم للعمل فقد تمكنوا من توفير الاداة اللازمة لعمل التعريب من قواعد للوضع والاشتقاق والنحت والتركيب والجمع الخ .. مثلا وفقوا الى وضع المقابل العربى لكثير من المصطلحات العلمية والفنية والاعجية .

وقد تعززت اعمال هذا المجتمع بأعمال مؤتمرات وهيئات علمية ومهنية مختلفة بأعمال افراد من الشخصيات العلمية ذوى الثقافة المزوجة من امثال انستاس الكرملى والدكتور امين معلوف ومصطفى الشهابى وعبد الرحمن الكواكبي وخليل شيبوب نازدادت بذلك ضخامة حصيلة المصطلحات الموضوعية .

لكن هذه الحصيلة كلها ليست سوى غرفة من بحر بالنسبة الى مجموع مصطلحات العلوم الحديثة التى تزداد بنحو 50 مصطلحا جديدا في كل يوم حسبما ورد في أحد تقارير منظمة اليونسكو الاممية .

ولا مندوحة عن الاعتراف بان تلك الطريقة العفوية غير المحدد موضوعها ولا شكلها ولا زمانها والتى سار عليها حتى الآن عمل التعريب في العالم العربى لا يمكنها ان تكفل حاجة العرب اللغوية ولن يتسنى لها ان تسد خصاصة لغة الضاد في يوم من الايام مهما تضاعفت الجهود واشتد نشاط المترجمين والمعربين والواضعين ، فان تخلف اللغة العربية لن يتدارك بغير خطة علمية وتقنية مرسومة بأحكام اهدافها محددة بدقة وتفصيل ووسائلها العملية معينة بوضوح ، خطة صالحة لتكون اطارا لجميع ما يجرى من اعمال في ميدان التعريب وما يبذل من جهود في اصلاح اللغة .

ان التخطيط لازم لعمل التعريب وهو بالتالى ضرورى للقيام بمهمة التنسيق المنوطة « بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم » ما دام التنسيق يعنى جعل العمل يسير على نسق محدد نحو غاية معينة وهذا بالذات هو موضوع التخطيط .

معارف لاروس الكبرى ومعجم اللغة الفرنسية لبول روبر ودائرة المعارف البريطانية .

وقد ركزت شخصيا نشاطي في جرد كتب اللغة على (لسان العرب) لابن منظور طوال خمس سنوات بلغ خلالها عدد الجزاءات اى البطاقات المملوءة الجرودة منه نحو ربع مليون رتبها حسب الحروف الهجائية ثم صنفتها حسب المواضيع فأدرجت كل كلمة في المادة التي تخصها وبذلك عزز مكتب تنسيق التعريب عمله الهادف الى جرد التراث اللغوي بكنز ثمين قوى به المصطلحات المنتقاة او المولدة في الجامع او الهيئات اللغوية او من طرف علماء اللسانيات وقد اعطينا الاولوية في الجرد لسان العرب لانه في نظرنا الكتاب الذى يحاول ان يقتبس مصطلحاته من كل المصادر سواء منها القرآن او الحديث او كلام العرب من قدامى ومولدين فهو المصدر الوحيد الذى يمكن ان نستخلص من اجزائه مجموعة متناسقة من الفاظ النبات مثلا كما وضعنا ابو حنيفة الدينورى الذى فقد اصل مخطوطه كما انه المصدر الوحيد الذى امكنا ان نستمد منه كلمات قديمة تعبر عن مفاهيم جديدة بدقة ووضوح والعرب لذلك مثلين هما كلمتا (الصن) او (العرق) الواردتان في الحديث الشريف « كان صلى الله عليه وسلم » يوتى بالصن او العرق وقد فسرها ابن منظور بالمسلة المطبقة (اى ذات الاطباق) وهى التى اقتبس لها مجمع اللغة العربية بالقاهرة كلمة عامية مصرية هى العامود وعبرت عنها فرنسابكلمة Porte-manger اى حليلة الطعام كما ان الدقة والوضوح ليسا حركة للغة ديكاارت التى كئنا نجد صعوبة في تعريب كلمتين منها فى القاموس الفرنسى - العربى هما Crépuscule du matin et crépuscule du soir استجابة لطلب (مجلس الطيران المدنى العربى) لولا رجوعنا الى حديثين شريفين هما حديث عائشة « ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات فى مرضهن لا يعرفن من الغلس » فالغلس اذن خاص بالفجر وتخصيص الشفق بحمرة الليل تابع من حديث آخر هو « وقت المغرب الى الشفق » والشفق الحمره .

2 - معجم فرنسى - انجلىزى للمعاني :

وجرد المفاهيم الانسانية من خلال الالفاظ التى تشتمل عليها المعاجم الفرنسية والانجلىزية الحديثة

لذلك راي هذا المكتب لزاما عليه ان يرسم لعمله منهاجا يحيط بجميع ما يبذله من جهود ويصدر عنه من منجزات وفي نطاقه يجرى التعاون مع جميع الهيئات والمؤسسات اللغوية والامراد المعنيين بشؤون التعريب فى كل البلاد العربية .

وهذا المنهاج الذى استقر عليه راي اسرة المكتب الدائم بعد طول البحث ينقسم الى قسمين :

1 - الاعمال العلمية : وضع المعاجم المتخصصة .

2 - الوسائل التقنية والعملية :

1 - العمل التقنى .

1 - معجم عربى للمعاني :

يشتمل هذا المعجم على جميع الفاظ اللغة العربية التى ستجرد من مختلف كتب اللغة سواء منها القديمة او الحديثة وسواء منها معاجم الالفاظ او معاجم المعاني ، وسترتب فيه باعتبار مواضيع معانيها حسب تبويب تويم صالح للتطبيق على كل لغة حية راقية فى هذا العصر .

لكل لفظ او فى الشروح وانصحها ويجعل لعله بقدر الامكان ما يقابله من الفاظ فى اللغتين الفرنسية والانجلىزية .

وهذا المعجم الذى سيكون مرآة ناصعة تتجلى فيها بغاية الوضوح مواطن الضعف ومواطن القوة فى لغة الضاد سيساعد لا على تدارك النقص الموجود فى اللغة العربية فحسب بل وعلى امداد اللغتين الفرنسية والانجلىزية بها ينقصهما من المفاهيم الانسانية التى تنفرد بها لغة القرآن وفى ذلك استجابة لرغبة المكتب الدائم الحرير على ان يسهم فى العمل على توحيد المفاهيم الانسانية على الصعيد العالمى فى اطار التبادل الفكرى بين الشرق والغرب .

ومن المراجع الرئيسية التى ستمتد فى تحضير هذا المعجم نذكر « لسان العرب » و « تاج العروس » و « اساس البلاغة » و « الصحاح » و « مقاييس اللغة » و « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » و « اقرب الوارد » و « المخصص » و « فقه اللغة » و « الفاظ ابن السكيت » و « الالفاظ الكتابية » للهمذانى ودائرة

وعند انجاز كل معجم من هذه المعاجم يعرض على خبراء العالم العربي قصد اقرار مصطلحات بكيفية نهائية .

وتجرد المصطلحات الفرنسية والانجليزية التى بقيت بدون مقابل عربى فى معاجم فرنسية انجليزية مختصة نعى ان كل معجم منها يختص بعلم او فن او موضوع معين يستقل به وينبغى لهذه المعاجم ان تتضمن ازاء كل مصطلح شرحه العلمى بلغته وان تضيف الى الشرحين الاعجميين شرحا عربيا بقدر الامكان .

وبعد تمام العمل فى هذه المعاجم تعرض فى لجان عربية مختصة لتضع لمصطلحاتها الاعجمية مقابلات عربية ، ولتقر شروحها العلمية .

واثر توحيد جميع المصطلحات العربية واقرارها بصفة نهائية تضاف الفاظها وشروحها العربية الى مادة المعاجم اللغوية بعد تهذيب هذه المادة وتنقيحها ليتكون منها المعجم العربى الجديد الذى سيمتاز بشموله وبوضوح الشرح ودقته وكتايته وملائمته لذوق العصر وعقليته بقدر الامكان .

(ب) وسائل الانجاز :

1 - الخبراء :

ولا يمكن القيام بالاعمال العلمية المبينة فى القسم الاول من هذا المنهاج الا بمساعدة خبراء عرب ، واقل ما يلزم لاعداد مصطلحات كل علم ثلاثة اخصائيين يتقنون اللغة العربية مع احدى اللغتين الفرنسية او الانجليزية .

وسيكون عملهم علميا محضا يتلخص فى مقابلة المصطلحات الاعجمية بنظيراتها العربية والعكس فى مقابلة المصطلحات الفرنسية بالمصطلحات الانجليزية والعكس واعداد شروحها العلمية باللغات الثلاث ، اما التصنيف والترتيب فينجز بواسطة آلات المكترفرافية .

2 - المكترفرافية او الكمبيوتر (الحاسب الالكترونى) .

ان المشاريع العلمية التى يشتمل عليها هذا المنهاج عمل عظيم وانجازها كلها بالجهود الانسانية

عمل لازم لتكبله العمل الذى قلنا اننا نهدف به الى معرفة ما عند اللغة العربية وما ينتقصها ، فان المعجم العربى للمعانى الذى تحدثنا عنه لن يكون بوسعه ان يطلعنا الا على ما عند اللغة العربية اما ما ينتقصها فلن يتبين الا بمقارنة ما عندها فى كل موضوع بما عند غيرها فى نفس الموضوع ، ولذلك يتعين جرد دائرة المعارف الفرنسية ودائرة المعارف الانجليزية وتصنيف مادتيهما حسب التوبيب المتبع فى اعداد المعجم العربى للمعانى لتسهل المقارنة .

ويتلخص هذا العمل فى تجميع كل ما عرب حتى الان فى مختلف البلاد العربية من مصطلحات علمية وتقنية والفاظ حضارية وغيرها مع الالفاظ الفرنسية والانجليزية المتابلة لها وترتيبها حسب الحروف الهجائية فى معاجم ثلاثية اللغة ستكون مادتها عامة تشمل مصطلحات مختلف العلوم والفنون وغيرها مع الاشارة بجانب كل مصطلح الى العلم او الفن الذى ينتمى اليه وسيوضح امام كل مصطلح اعجمى جميع ما يقابله من الالفاظ العربية المستعملة فى مختلف البلاد العربية .

وقد انجز المكتب الدائم تسما هاما من هذا العمل حيث انشا جزازية تشتمل على نحو ثلاثمائة الف جزازة تضم مصطلحات علمية وتقنية وحضارية مختلفة بالفرنسية والعربية والانجليزية ثم جردها من مختلف الكتب والمعاجم والمجلات المعجمية ونشرات الهيئات الثقافية فى مختلف البلاد العربية وتشكل هذه المجموعة معجما فرنسيا عربيا ضخما يمتاز بكونه يضع امام المصطلح الاعجمى جميع مقابلاته العربية المستعملة فى مختلف البلاد العربية .

ومن هذه الجزازة التى تتضخم يوما عن يوم بما يدها به عمل الجرد المتصل امكن استخراج مادة المعاجم التى يصدرها المكتب .

نعم تستخرج منها مصطلحات كل علم وفن لترقب على حدة فى معاجم علمية ثلاثية اللغة كذلك مرفقة بشروحها فى اللغات الثلاث فيتألف منها مثلا « معجم الرياضيات » و « معجم الفيزياء » و « معجم الكيمياء » و « معجم المصطلحات المكتبية والصناعية » و « معجم المصطلحات الاقتصادية والمالية » و « معجم الفقه والقانون » و « المعجم الطبى » و « المعجم الحضارى » الخ ..

يقتضى استخدام جيش من العلماء والمساعدين مدة تد طول عشرات السنين ولذلك فكر أعضاء أسرة المكتب في استعمال الآلات الكنترفرافية فاتصلوا برجال ادارة مؤسسة I, B, M, (ومؤسسة BUL) وعرضوا عليهم هذه المشاريع وبحثوا معهم الطريقة التقنية التي ينبغي ان تتبع لتحقيقها واستخلصوا من بحثهم انه يمكن اعداد الاعمال العلمية المشتغل عليها هذا المنهاج في آن واحد يعنى أن الجهد الواحد المصروف في اعداد عمل واحد من هذه الاعمال يمكن استغلاله لاعداد سائر الاعمال الاخرى ، بفضل جزازات الكنترفرافية التي هيات لها اسرة المكتب نظاما يكمل تحقيق جميع اغراض هذا المنهاج .

وتتلخص طريقة العمل في أن تقوم احدى هاتين المؤسستين بجرد جميع المفردات المشتغل عليها معجم « لاروس الكبير » في جزازات الكنترفرافية وباصدار الامر الى الدماغ الالكترونى أو الفاكورة لترتيبها ترتيبا هجائيا وترتيبها موضوعيا اى حسب العلم الذى تنتمى اليه ثم لتقابلها بالمصطلحات الانجليزية والعربية التى يمدها بها المكتب الدائم ثم لترتب هذه المصطلحات المضافة ترتيبا هجائيا حسب الالفاظ الانجليزية وحسب الالفاظ العربية ثم لتعزل المصطلحات العربية عن المصطلحات غير العربية ثم لتفصل العربات فتميز الموحد من الراجع مع المختلف فيه ثم لتمييزها حسب مصادر وضعها وحسب مراجعها .

ويقوم المكتب الدائم بجرد جميع مفردات المعاجم وكتب اللغة العربية وامداد آلات الكنترفرافية بها لترتيبها حسب مواضعها على نظام المعجم العربى المعانى المذكورة في فصل « الاعمال العلمية » ولترتيبها ايضا ترتيبا هجائيا لتأليف المعجم العربى الجديد .

وبعد تمام جمع مادة الاعمال العلمية المذكورة في الفصل السابق كلها وادخالها في الكنترفرافية تستخرج منها بطريقة آلية المعاجم كلها تماما الواحد تلو الآخر مطبوعة على نحو يمكن من تقديمها الى المطبعة بدون تغير كبير

دور المغرب العربى في تنسيق التعريب

ولن نأتى بجديد اذا قلنا ان المغرب العربى الاسلامى استمد ولا يزال يستمد كثيرا من مقوماته الحضارية من شقه الشرقى وخاصة في الحقل الثقافى فالفكر العلمى الاسلامى عندنا ليس سوى امتداد اصيل

مبدع للتراث الذى انبثق من قلوب العروبة النابضة في الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للعصور الحديثة فان أسبقتية الشرق الى تطعيم الفكر العربى بمعطيات الفكر الغربى المعاصر جعلت من اللغة العربية — وعن المفهوم الجوهرى للوحدة — اداة تتصارع في تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمى والتقنى الجديد على الصعيد الانسانى ولعل من ابرز ما استرردناه من المغرب المستعمر ما كان للفتنا من دقة في التعبير وجراء في التصوير وضبط في التنظيم وقد استطاع الفكر اللاتينى خلال فترة الاستعمار أن يقم لفته وثقافته في البرامج الدراسية بحصة الاسد حتى اصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر في المغرب العربى الجهاز الاساسى للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار اخواننا في الشرق يرحون في حرية نسبية داخل قفص مقفل معرب البرامج والمناهج فحركتنا الهادفة للتعريب نى المغرب العربى لا تنطلق من نفس الاساس الذى انطلق منه التعريب في الشرق اذا كان هناك انطلاق للتعريب في الشرق — حيث احتفظت العربية في الواقع بمكانتها العريقة مع جهود نسبية ناتج عن عوامل الاستعمار — فنحن بالرغم من جهدنا الجيد في هذه المرحلة الاولى من استقلالنا الفتى لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة بأجهزة فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضارية لذلك يفكر بعضنا في كثير من الاحايين تفكيرا يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لفة تعبيرة هي العربية فرسالة التعريب في المغرب العربى هي غيرها في الشرق العربى لان الشرق ينطلق من لفة الضاد فيطعمها بلوازم العصر ونحن ننطلق حتما من المزيج الحضارى الغربى العربى الذى عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا المجيد في كامل مقوماته بحاضر انصهرت في بوتقته عناصر علمية وتقنية وحضارية وانسانية فالشيء الذى يهمنى الآن هو تحقيق هذا الهدف القريب الذى يستلزم عجن الطينة العربية عجنا جديدا في غير هوادة حتى تصبح لغتنا — كما كانت في العصور الوسطى بل اكثر مما كانت اداة دولية للتواصل بين الاجناس في دقة علمية ورسانة تقنية وتجاوب عميق مع ما استجد في العصر من خلجات وولجات فنحن في المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعريب مستمدين من الشرق ما سبقنا الشرق الى تعريبه ومستمدين من الغرب ما يجب أن يدرج بوضوح لتطعيم هذا المسد

العربي مضيئة أحيانا ما يوحي به اللفظ الاجنبي بكامل الدقة وتاركة لمؤثرات التعريب المقبلة اصدار الكلمة الفاصلة في ذلك فهذه مرحلة أولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمعطياته يسهلان مهمة الانتقاء .

فمجامع اللغة والمجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق في المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب ان يجمع وان ينسق في استقراء واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظيم بين محتويات القواميس والمعاجم قديمها وحديثها صحيحها وسقيمها على اختلاف لغاتها وخبرات اصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لغوية صالحة تسائر العصر وتجعل لغة الضاد جديرة - كما كانت - بأن تفرض وجودها في المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضغوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقية علمية وتقنية للغتنا كأداة أممية للتقارب والتواصل .

ان سلفنا قد كد واجتهد لاحلال اللغة مكانتها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتصعيدها اذ اقتضى الحال .

وإذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربي من بادرآت لكفالة هذا الاستمرار والاستقرار في مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يدرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربي في هذا الجهاد فلذلك دعونا هذه الديباجة بفذلكة موجزة هي نموذج مبسط يلتقي ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال في هذا الحقل الحيوي من جهادنا الحضاري المشترك . وقد نشرنا في مجلة اللسان العربي (المجلد العاشر الجزء الاول) معجما للغويين يبرز جزءا من التراث اللغوي المغربي الذي هو امتداد اصيل لتراثنا العربي العام .

اهداف المكتب من خلال نوعية منجزاته

انبثق المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي الاول باعتباره مكتبا دائما ، الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب تحت اشراف جامعة الدول العربية ثم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

فلا نقبل من هنا او هناك الا ما يكفل استقصاء عراقة الضاد واستقراء مفاهيم العصر دون لبس ولا غموض فمثلا مثل الطفل الغرير الذي يساله والده عن اسم هذه الآلة او تلك فاذا اعطاه اسما ما لمسمى ما قبله ولكن اذا اعطاه نفس الاسم لمسمى مغاير سأل والده في غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى علمي قديم او حديث كلمة موحدة تعبر عنه في جراءة وجلاء ونحن اذا نقدنا ما بين ايدينا من غث وسمين وما يرد علينا من الشرق فلسنا بزاعمين اننا نلقتن الشرق الا بقدر ما يلقتن الطفل والده او التلميذ استاذة في نطاق الاستمداد البناء واذا كان هناك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه في هذا المجال فهو احسراج هذا وذاك لتعبئة ما لديه من خبرة اوسع وحكمة ادق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعميق الاصاله وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة .

وقد زاد في الطين بلة بين شقى العروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتينى والانجلوسكسونى من بون يتسع احيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين او بين ينبوعى الاستمداد النسبى في حضارتنا الموحدة فالمقابل العربي المقترح للتعبير عن مدلول علمي او تقنى حديث مستمد من خلال هذه اللغة او تلك لا يختلف في بعض الاحايين الى حد التناقض لما يكون احيانا بين اللغتين من نشاز لا يتلافاه الا من تضلع فيهما ونظر وقارن بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمى المشترك او المشاع بينهما ويكفى لتدرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة التنسيق ولا نقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد الجامعات الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد اكبر الامل لتقريب الهوة وتنوير الصورة لان رسالة التوحيد يجب ان تنبثق في الحقيقة من هذه الجامعات اذ لا نتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تتحفنا به هي نفسها غير ان خيراغنا في الوطن العربي يدفعون دفعا الى ان يتساعلوا ويلحوا في التساؤل ، انتجاعا للدقة ، عما تنطوى عليه بعض المقابلات العربية الشائعة والمقترحة من لبس وسطحية او عما يتم عنه احيانا معجمنا الجديد من تنكر للاصاله والدقة والوضوح .

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التي ترصص في صف واحد ما يستعمل هنا وهناك في اجزاء الوطن

لجامعة الدول العربية - فيما كان - والمنظمة العربية
للتربية والثقافة حاليا .

ثانيا : تليها في مرتبة الاهمية تلك المشروعات
التي ترد مباشرة من الاجهزة التابعة للجامعة العربية
كالمنظمة العربية للبتترول والاتحاد البريدي العربي
والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والمنظمة العربية
للطيران المدني واتحاد اذاعات الدول العربية وغيرها .

ثالثا : ما يرد من حكومات الدول العربية وهيئاتها
العلمية .

رابعا : ما يرد للمكتب من المنظمات الدولية
كالمنظمة الدولية للتغذية والزراعة والمنظمة الدولية
الخرائطية .

خامسا : ثم يأتي العمل التنسيقي في المكتب في
خصوص ما يقترحه خبراءه ومراسلوه العلميون من
ذوى المكانة العلمية المرموقة في الوطن العربي الكبير
من مواضيع معجبة لتكون لها السبق على غيرها .

وبتلخص المنهج الذى وضعه المكتب لتنسيق
المعاجم فيما يلى :

(ا) استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف
المصطلحات المقترحة للمدلول الواحد .

(ب) وضع المقابلات الاجنبية بلغة ثالثة وهى
الفرنسية او الانجليزية بالاضافة الى العربية في خصوص
المعاجم الكلاسيكية التعليمية مراعاة للاختلاف في المناهج
بين الدول العربية التى كانت تستعمل الفرنسية .

واذا كان المعجم صبغة تكنولوجية دولية فان
المكتب يحاول اضافة لغات اخرى كالالمانية والروسية .

(ج) استقراء المفاهيم على الصعيد العلمى الدولى
في الاطار المحدد للمعاجم .

(د) مبدا الاحتفاظ بالمشروع الاصلى لكل معجم
واضافة مقابل اجنبى ثان (انجليزى او فرنسى) مع
اثبات ملحق من المصطلحات الاضائية المستعملة في هذا
النسق او ذاك من الوطن العربى .

(هـ) اصدار مشاريع المعاجم المنسقة في جزء خاص
في كل طبعة من مجلة « اللسان العربى » مع فصلة

وقد شعرت الدول العربية وجامعتها ومنظمتها
بأهمية رسالة المكتب فوافقت على توصيات المؤتمر
المذكور وتركيزه بالمغرب - حيث ان التعريب كان
يستهدف على وجه الخصوص اقطار المغرب العربى ،
وحتى تستفيد هذه من تجربة المشرق العربى في هذا
الحقل - والتزمت الدول العربية بتمويل مشاريعه ،
وتطبيقا لهذه التوصيات نظم المكتب دورة اولى لمجلس
تنفيذى بالرباط تمثلت فيه الدول العربية وجامعتها
وذلك بتاريخ 29 فبراير 1962 .

وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية ،
بناء على قراره رقم 2541 / د ج 4 - 16 / 3 / 69
في دور انعقاد المؤتمر العادى الحادى والخمسين على
النظام الاساسى للمكتب وقرار ميزانيته اصبح مؤسسة
ملحقة بجامعة الدول العربية ، ثم الحق بالمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم بقرار من الامانة العامة لجامعة
الدول العربية تحت رقم (70) بتاريخ 8 / 5 / 1972
ومهمته الاساسية :

1 - تلقى وتتبع ما تنتهى اليه بحوث العلماء
والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين
وتقايه بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج
منه ما يتصل باغراض مؤتمر التعريب لعرضه على
دورات المؤتمرات .

2 - التعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية
لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقى
النتائج العلمية التى تنتهى اليها الجهود في تلك البلاد .

3 - العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل
اللغة العربية مكانتها الطبيعية في جميع البلاد العربية
بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية
والمجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص في
البلاد العربية .

4 - متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن
العربى ، بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها وتشجيع
الصواب وتقديم المشورة .

مسطرة العمل في خصوص تنسيق المصطلحات

اولا : ان اولى الاسبقيات في عمل المكتب انما
تعطى للمشاريع التى ترد اليه عن طريق الامانة العامة

9 — كراسات أخرى تتضمن من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون .

هذا وقد وزعت في وقتها في العالم العربي وتوصلنا بملاحظات في شأنها .

ومن المعلوم انه خلال هذه السنوات انكب المكتب على تحضير ندوة في خصوص تأليف معجم مدرسي موحد انطلاقا من اقتراح ممثل جمهورية مصر العربية في المجلس التنفيذي للمكتب الدائم بالرباط (الدورة الاولى لعام 1962) ، غير ان الندوة المقررة في شأنه لم تنعقد لعدم توفر الخبراء الذين كان من المقرر أن يباشر بهم مراقبة الاعمال الاولية لاعداد هذا المشروع .

2 — منجزات السنوات (من 1966 الى 1974) :

استهل المكتب عمله بادية ذى بدء بوضع تصميم عشاري للتعريب (لمدة عشر سنوات) من اجل اعداد معجم علمي وتقني عام وزع في ابانه على الدول العربية من اجل ابداء الراى والمشاركة في تنفيذه .

وقد شرع المكتب حينما في تنفيذ هذا المشروع مستهلا عمله بوضع جزازات (بطاقتة) باللفات المختلفة للمصطلحات التي توصل بها من المعاجم والجامعات والمجالس العليا ، والهيئات الثقافية والشخصيات العلمية بالوطن العربي ، وكذلك من الخبراء العرب ، ومن مراسلى المكتب الذين عينتهم مختلف الحكومات العربية في مختلف الشعب العلمية والتقنية ، وقد تجاوزت هذه الجزازات لحد الآن ، ثلاثمائة الف جزازة وما زال عددها في حالة نمو مستمر . وفي نطاق هذا التصميم أصدر مكتب التعريب ما يأتي :

1 — « مجلة اللسان العربى » : (صدر منها ستة اعداد) كالآتى :

الاعداد : الرابع والخامس والسادس في جزء واحد .

العدد السابع في جزاين (الاول للدراسات والابحاث اللغوية والثاني للمعاجم) .

العدد الثامن في ثلاثة اجزاء (الاول للدراسات وجزءان للمعاجم العلمية) .

لكل مشروع معجم مع ملحقة مرتبين ترتيبا موحدًا ، وذلك من اجل عرضها على الاخصائيين والخبراء في البلاد العربية للدول العربية المهتمة بالاستشراف والاستعراب تمهيدا لعرضها على ندوة الخبراء العرب ومؤتمرات التعريب تنعقد في احدى العواصم العربية باتفاق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وذلك لاترارها نهائيا والعمل على تطبيقها بكيفية موحدة في الجهاز التعليمى بالدول العربية .

منجزات المكتب

1 — منجزات السنوات من (1962 الى 1965) :

رغم ضعف وسائل المكتب المادية والبشرية (قبل اندماجه في جامعة الدول العربية) فقد قام طبقا لتصميم ثلاثى لتعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة باعداد ما يلي :

— مجلة « اللسان العربى » ، وهى مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والادبية وكذلك مختلف نشاطات المكتب والجامع والجامعات والشخصيات العلمية في الوطن العربى وفي بقية العالم في ميدان التعريب وقد صدر منها خلال هذه الفترة ثلاثة اعداد (الاول والثانى والثالث) .

— سلسلة معاجم علمية تعاون على تأليفها مع بعض المؤسسات العربية والجامع اللغوية والعلمية والانفراد العلميين وهى :

1 — معجم الرياضيات .

2 — معجم الفيزياء .

3 — معجم الكيمياء .

4 — معجم الفقه والقانون .

5 — معجم الاثغال العمومية .

6 — معجم السياحة .

7 — معجم الطحانة والخبازة والفرانة .

8 — معجم مصطلحات السيارة .

المصطلحات الرتابة والنظامية التي أصبح العالم العربي
متجها الى الاخذ بها كدماغ مفكر منسق .

— اعداد مشروع معجم الاقتصاد والقانون
(الجزء الثاني) .

— اعداد معجم لالى العرب ، وهو معلمة واسعة
على نسق المخصص لابن سيده يهتم كذلك بالمصطلحات
العلمية والحضارية الحديثة للمرحوم خليل رزق عضو
المجمع العلمى العربى بدمشق .

— تحقيق كتاب المقولات العشر .

هذا ويجدر أن نشير الى أن كل هذه المعاجم عبارة
عن مشروعات قام بها المكتب باعدادها طبقا للمسطرة
التي تحدثنا عنها وذلك من أجل عرضها على انظار
الخبراء في العالم العربى لدراستها وموافاتها باقتراحاتكم
بشأنها لتنسيقها قبل عرضها على مؤتمرات التعريب
المقبلة ، وتنفيذا لهذا المنهج قام المكتب باعداد ستة
مشروعات معاجم علمية تفضلت الادارة الثقافية لجامعة
الدول العربية باحالتها عليه سنة 1970 من أجل
التنسيق ويدخل في ذلك وضع المقابلات الفرنسية غير
الموجودة في المشروع الاصلى مع رد المصطلحات المقترحة
الى مراجعتها ليسهل انتقاء اصلحها خلال الندوات
وهذه المشروعات هي :

— معجم الرياضيات

— معجم الكيمياء

— معجم الفيزياء (الطبيعية)

— معجم الحيوان

— معجم النبات

— معجم الجيولوجيا

وقد اضاف المكتب لهذه المعاجم كل المصطلحات
التي لم ترد في المشروعات الاصلية علما بأن المصطلحات
التي تشملها هذه المشروعات تخص اصل المصطلحات
التي تستعمل حتى مرحلة الدراسة الثانوية .

العدد التاسع في جزاين (خصص الاول للابحاث
اللغوية والثانى للمعاجم) .

2 — سلسلة معاجم صغرة تعنى بالمصطلحات
الحضارية كجزء من معجم المعانى وهى :

— معجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم

— معجم الاجهزة والالات

— معجم الالعب والالعب العربية القديمة

— معجم السماكة والاسماك

— معجم الالوان

— معجم الحرف والمهن ومعجم الاحجار والمعادن
والفلزات .

— معجم الطعمة

— معجم المنزلى

— معجم الحشرات

— معجم العظام

— معجم الدمويات

3 — سلسلة معاجم من الحجم المتوسط والكبير
تعنى بالمصطلحات العلمية وهى :

— معجم الحساب الابتدائى وهو معجم فرنسى
عربى للمصطلحات المستعملة في المدارس الابتدائية
وضع طبقا لحاجيات المدارس بالمغرب العربى .

— من رسالة الطرق الى التاموس التقنى للطرق
وهو تاموس فرنسى — انجليزى عربى من اعداد
المهندس اتيس شباط الرئيس السابق للجنة الدائمة
للمواصلات في جامعة الدول العربية أصدره المكتب
بموافقة الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الطرق .

— معجم تفصيح العامية ومقارنات بين العامية
في العالم العربى .

— معجم المصطلحات الاعلامية وهو يشمل

المؤتمر الثاني للتعريب :

انعقد فعلا لهذه الغاية المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر فيما بين 12 — 20 ديسمبر 1973 ، طبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد بالرباط (3 — 7 أبريل 1961) وتميزا لتوصيات المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب (الكويت 17 — 22 فبراير 1968) . ووافق المؤتمر على المعاجم الستة المذكورة بعد اخال بعض التعديلات من طرف اللجان المختصة في المؤتمر الذي شاركت فيه وفود عن جميع البلاد العربية ، ويواصل المكتب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الآن تنفيذ مقررات المؤتمر باخراج هذه المعاجم في شكلها الجديد الى حيز الوجود .

ويجري الآن الاعداد لمؤتمر التعريب الثالث الذي سينعقد في طرابلس (ليبيا) في العام المقبل بحول الله لاستكمال بقية مواد التعليم العام والشروع في تعريب وتوحيد مصطلحات التعليم العالى .

كما تم تنفيذ البرامج التالية :

1 - اخراج العدد العاشر من مجلة «اللسان العربي» في جزأين يضم كل جزء بين دفتيه قرابة 400 صفحة وهو عدد ممتاز حيث ان تاريخ صدوره يصادف احتفاء المكتب بحدثين بارزين في مسيرته لخدمة العربية باحلالها المكانة اللائقة بها باعتبارها الرباط المقدس بين العرب اجمعين ، الا وهما :

(ا) اشراقة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي انتظم المكتب كواحدة من اجهزتها .

(ب) مناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس المكتب الدائم للتعريب الذي اقيمت دعائمه انطلاقا من مؤتمر التعريب الاول الذي عقد في الرباط عام 1961 .

2 - اعداد معجم السكر والشمنير (البنجر) .

3 - اعداد معجم مصطلحات الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والرقص والرسامة والنقاشية والحفر بطلب من اتحاد اذاعات الدول العربية .

وفي سلسلة مشروع معجم المعانى تم تنفيذ ما يلي :

4 - مشروع معجم الملابس .

5 - مشروع معجم الالقاعى والاحناش .

6 - مشروع معجم المرأة (كل ما يتعلق بها من حمل ونفاس ورضاعة وتربية الطفل وأنواع التجميل وادوات التربية) .

7 - مشروع معجم القطارة (السكك الحديدية) .

8 - شوارد طبية ومعجم الزهور ومعجم الادارة العامة والمرافق المختصة الخ .

وقد صدر العدد الحادى عشر في ثلاثة مجلدات ايضا ضمت مشاريع المعاجم الآتية :

1 - معجم الادارة العظمة والمرافق المختصة (في نحو 8000 كلمة) .

2 - معجم الاقتصاد (في نحو 8000 كلمة) .

3 - معجم السيارة .

4 - معجم الاصول العربية في اللغات .

5 - معجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم .

6 - معجم السكر والبنجر .

وكلها من وضع مدير مكتب التعريب عدا معجم الاقتصاد .

توزيع المطبوعات :

تجدر الاشارة هنا الى ان عدد المشتركين الذين يتوصلون بمطبوعات المكتب يبلغ حاليا نحو 6000 مشترك من افراد علميين واساتذة مختصين في الميادين العلمية والفنية والتكنولوجية وهيئات ثقافية وجامعية، كالمجامع والجامعات والمجالس العليا في الوطن العربي ومن المستشرقين والمستعربين وجامعات ومعاهد وهيئات في بقية انحاء العالم . وان المكتب مستمر في تطور وسائل التوزيع لضمان انتشار اللغة العربية في مختلف القارات وابراراز صلاحيتها لسايرة الركب الحضارى العلمى في انحاء المعمور وذلك بالتعاون مع

الحكومات والمنظمات والهيئات والشعب الوطنية
للتعريب والمراسلين .

(أ) المنظمات والهيئات :

ان المكتب الدائم الذى يعتمد فى تعريب وترجمة وتنسيق المصطلحات على ما وضعته الجامعات والجامعات والمجالس العليا والمنظمات والافراد العلميون فى الوطن العربى ليعتبر تعاونه مع هذه الهيئات بمثابة عمل اساسى لانجاح كل مشاريعه المعجمية وعلى هذا الاساس يقوم المكتب بموافاتها بمشاريعه المعجمية من اجل ابداء الملاحظات والتوجيهات التى نعتبرها اساسا لتعديلها ، كما يقوم والتوجيهات التى نعتبرها اساسا لتعديلها ، كما يقوم من جهته بتلقى مشاريع بعض هذه الهيئات من اجل الملاحظة أو الانجاز المشترك ونخص بالذكر منها مشروع معجم البترول للمنظمة العربية للبترول ، ومعجم مصطلحات الطيران للمنظمة العربية للطيران، ومشروع معجم الاتحاد البريدى العربى الذى وضع بشأنه المكتب تقريرا يتضمن ملاحظاته واقتراحاته

التي كان لها الاثر الفعال فى وضع هذا المعجم بصفة نهائية . وقد تفضلت ادارة الاتحاد البريدى العربى بإبلاغ شكرها الى المكتب مقررته جهوده التى أسهم بها فى هذا العمل العربى الاصيل ، راجية له دوام التقدم والتوفيق والمدد فى خدمة وطننا العربى الكبير .

كما تلقى المكتب من منظمات وجامعات عربية وغير عربية دعوات لحضور مؤتمراتها الثقافية ، وقد استجاب بالرغم من ضعف امكانياته المادية والبشرية لبعضها كدعوة للمدير العام من جامعة «هالى» بألمانيا الشرقية ، وحضور مهرجان تأبين الدكتور على جواد بالجمهورية العراقية ، وحضور مؤتمر المصطلحات الفلسفية الذى انعقد بالقاهرة ما بين 3 و8 مايو 1971 وقد ساهم ممثل المكتب فى هذا المؤتمر بكل ما يراه مناسبا لانجاحه وبالإضافة الى مشاركته فى كل جلساته التى كلمة الختام فى هذا المؤتمر ، كما شارك المكتب ايضا فى الدورة الثالثة لمؤتمر العمل العربى الذى انعقد بالرباط فى شهر مارس آذار 1974 ، ومؤتمر العلوم الادارية ومؤتمر الطيران المدنى الخ .

مفهوم « حياة اللغة » وأسس تطوير اللغة

الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي

روح التجرد ، ذلك أننا نعيش اليوم والعربية تضخم فيها المشاكل وتحفزت لها الهم فلم تخل من سائس متند ولا من مدبر مجتهد ولا من نفذ مستعد ، غير أنها خلت من النتيجة المثمرة . فلإلام يرجع هذا العقم ؟

لا نروم البحث عن جواب لهذا السؤال بقدر ما نروم العودة الى بعض العبارات راجت بين الناس أدلة غامضة المدلولات ، من خلالها نسعى الى تدقيق المقصود « بحياة اللغة » ، وضبط الاسس التي نعتقد انها كفيلة بتطور العربية ، وذلك بخوضنا اولاً في قضية المقومات في حياة لغة من اللغات ، وتحليلنا ثانياً ما يخص العربية من ذلك ويحتاج الى اولوية النظر ، علنا نوفق الى وضع اطار انجع للعمل .

ما من شك ان الثورة الفكرية كانت عظيمة في مجال الدراسات اللغوية عند ما شاع الاعتقاد بين الدارسين — بداية من اوائل القرن التاسع عشر — بأن اللغة كائن حي ، تنشأ وتتطور ثم تموت ، وان مناهج درس اللغات في اقوم المسالك لا تعدو ان تكون قياساً على مناهج دراسة العلوم الطبيعية ففى هذا

تضت الطبيعة الا يعالج الانسان المشكل الا عند انتصابه ، والا يتدبر له حلا الا عند قيامه حاجزا في طريقه . وليست الصورة التي يوضع بها المشكل في الضيق واضحة كالتى يوضع بها في السعة ، وليس للحل الذى يقدم له مع العجلة والارهاق ناجماً كالذى يقدم له مع راحة البال ، وهدوء الاعصاب . ولا يسمح اليوم — وقد علمتنا الحياة ان نهذب السنن — ان تنتظر المشاكل لنطلب لها الحلول فالمنهج القويم يقتضى توقع المشاكل قبل وقوعها ، ودرسها قبل استعصائها او اعادتها وضعها بالصور التي تقربها من الحل اذا كانت قد حدثت بعد ، ولم يتسع الخرق لتهيبء الجو المناسب لحلها .

فلا نرى لنا اليوم من خطوة نخطوها في لقاء محوره تطوير اللغة العربية الا ان نعود الى اهم المشاكل القائمة حول حياة اللغة بصفة عامة من ناحية ، وحول اللغة العربية بصفة خاصة من ناحية اخرى ، فنضعها في توالب جديدة تقتضيها طبيعة ازمة التطور العام الذى نشهده في بيئتنا ، ويقتضيها المنهج العلمى القويم الذى لا سبيل الى التقدم فى الدرس الا بما فيه من

تضية الثنائية متمثلة في الصراع الذي بين الفصحى والعامية ، والذي كبر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع حركة النهضة . وقد كاد ينقسم الآخزون بأطرافه شقين متعادلين وليس هذا مجال التوسع ، إنما هو مجال الإشارة الى أن المشكل انطلق في رأينا — عند الطرفين معا — من الاختلاف في مفهوم حياة اللغة والعمل على تجريبها مما يهدد كيانها .

أما قضية الأزواجية ، فتجسبت في التضايق من تعابش لغتين على الأقل ، أصيلة وطارئة . وقد احتدمت في أوائل هذا القرن مع حروب التحرر ومقاومة الاستعمار ، واشتدت في النصف الثاني منه مع جهود التطور ودعم الاستقلال . فاعتبرت الأزواجية الثنائية من المظاهر التي تهدد كيان العربية واعتبر العمل على القضاء على الظاهرتين عملا على احياء العربية .

ولئن لم يركز الصراع في القضيتين على حوار بناء كالذي يقوم على ضبط مفهوم الثنائية ومفهوم الأزواجية وتعيين الاهداف المقصودة ، ودرس الظروف الحافطة . واعتبار الامكانيات المتوفرة ، فانه — من طبيعة الاشياء ، لا من اختلاف المواقف — تبين بلا منازع ، ان الثنائية والأزواجية معا ، يهددان كيان العربية في بعض مظاهرها ، وصور تطبيقهما . فأضحى القضاء على حدة هاتين القضيتين من قوامات حياة اللغة .

فنستطيع أن نقول بناء على هذا ، ان مفهوم حياة اللغة ينحصر في الإذهان عادة ، في استخدامها ، والتعامل بها ، وفي تجردها من كل ما يهدد كيانها من العوامل الخارجية .

على أن هذه النظرة بقيت في رأينا محدودة . إذ هي تلمس حياة اللغة من خلال مظاهرها وتكاد تحصر مفهوم حياة اللغة في مظاهر الحياة الخارجية ، ولا تتركز على درس اللغة بالاعتماد على مقوماتها الداخلية وأسسها الخفية التي تضمن لها وحدها الحياة .

فلا يمكن بحال أن يعتبر استخدام اللغة والتعامل بها — وهو ما استفيد من النظرية القائلة بأن اللغة كائن حي — عنصرا كائنا لضبط مفهوم حياة اللغة ، أو تجسيم مظاهر حياتها . والملاحظ أن هذا الموقف هو وليد نظر خاطيء انطلق من فهم أن اللغة كائن حي لا محالة . بيد أن المفهوم من النظرية المذكورة هو أن

الاعتبار فتح جديد لآفاق الدراية اللغوية ، لم تخف على احد ثماره الطيبة . وأهم ما نتج عنه من انكار أن حياة اللغة هي استخدامها والتعامل بها . على هذا الأساس أصبحت معرفة اللغة معرفة مجردة ، والالمام بدقائقها ، أمرا ، أصبح عيش اللغة في مختلف وجوه الحياة وممارستها ، أمرا ثانيا ، الفرق بين الوجيهين هو الفرق الذي بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، أو بين امكانية الحياة وذات الحياة .

وقد كانت هذه النظرة الجديدة مصدرا للكشف عن كثير من الحقائق ، بها أمكن تفسير ظاهرة الوضع اللغوي ، وقضية تولد اللغات ، ومشكل اندثار اللغات ، كما أمكن تفسير العلاقات التي تربط اللغات بعضها ببعض ، والتي تربط بين المستويات المختلفة في اللغة الواحدة . ولم يتم — حتى اليوم — من النظريات ما يستطيع أن يدحض هذا الرأي ، فممارسة اللغة ، باستخدامها والتعامل بها ، أبرز مظاهر الحياة فيها .

ومن جوانب توسيع الآفاق في الدراسة اللغوية، خرج الدارسون من بوتقة اللغة الواحدة التي يدرسون تبعث أن كان النظر الى اللغة ينطلق مما توفر فيها ، والحلول التي تقدم تطلب لها من داخلها أصبح النظر اليها ينطلق منها ، ومن غيرها من اللغات التي تحيط بها وتتمايش معها ، والحلول التي تقدم تطلب من داخلها وخارجها معا . وهكذا تبلور — من جملة ما تبلور — موقف يلتزم به الكثيرون اليوم يعتبر أن من مظاهر اللغة أيضا تجردها من كل ما يهدد كيانها . وفي هذا الاطار وضعت قضيتنا الثنائية والأزواجية .

على أن بواير الانتسفال بهاتين القضيتين وجدت مع وجود المشاغل الأولى التي شغلت بال اللغويين ، لغويي العرب ، على الأقل . يكفى دليلا على تجسيم مشكل الثنائية ، أن ينظر في عملهم الكبير على ضبط « الفصح » من اللغة ، وسعيهم الحثيث الى اقامة الحد بين « الفصح » و « الهجين » طبق مقاييس عديدة معروفة . ويكفى دليلا على شعورهم بخطر الأزواجية ، أن ينظر في ضبطهم « العربي الخالص » ، وسعيهم الى اقامة الحد بينه وبين « الدخيل العربي » .

الا أن المشكلتين وضعتا اليوم في ديباجة جديدة ، صاغت الظروف الخاصة في المجتمع العربي . فكانت

اللغة كائن قابل للحياة ، اذ في اعتبار اللغة كائنا حيا لا محالة تسليم ضمنى بحياة كل اللغات او قابليتها للحياة . وانطلاقا من هذا الخطا كان تركيز الدراسات في حياة اللغة عادة على مظاهر الحياة دون قابلية الحياة وفي هذا تحويل لمشكل خطر .

كما لا يمكن اعتبار تجريد اللغة مما يحدد كيانها عملا كافيا لضمان حياة اللغة او حيويتها ، اذ عند الكثيرين اليوم لا يمكن النظر الى اللغة العربية ، ومعالجة مشكلة احيائها الا من خلال قضايا يرجع اليها ، اهمها : الثنائية ، في الصراع بين الفصحى والعامية ، والازدواجية ، في مسألة التعريب ، اعتبارا منهم ان هذه القضايا هي ابرز ما يحدد كيان اللغة . لا نوافق على هذا الرأي لسبب بسيط هو ان هذه القضايا واتعة في كل لغة وفي كل بلد وفي كل عصر ، ولا تختلف الا في درجة الحدة التي توضع بها في ظرف دون آخر .

الى جانب ذلك نجد اعتقادا آخر سائدا ، بنى عليه التفكير في اللغة والعمل على احيائها عامة وكان عليه المعول ، وهو اعتبار ان اللغة اداة دلالة ليس الا . على اساس هذا الاعتقاد توجهت عناية الدرس الى اللغة من حيث هي دال بقطع النظر عن المدلول . والمدلول جملة المعارف ، فكان ان ركز الاهتمام فيها على امكانياتها المختلفة في الدلالة ، وكيفية النهوض بوظيفتها الدلالية ، اعتمادا على اثرها معجها ، او تبسيط نحوها . . وفي هذا عزل للغة عن حركة المعارف الانسانية العالمة غريب منكر . وفي رأينا لا يكون النظر الى القضية سديدا الا اذا درست اللغة من حيث هي دال ومدلول معا ، واذا درست قضية تطورها في اطار قضايا التطور الانساني العام . ذلك اننا نعتقد ان النهضة باللغة لا يمكن ان تكون في معزل عن النهضة بمختلف المعارف والمؤسسات والقطاعات التي يضمها مجتمع واحد ولان اللغة مؤسسة من مؤسسات المجتمع ، اخذا بالتعديل الذي ادخله رائد اللسانية الحديثة في اوائل هذا القرن ، وايماننا منا يكون حياتها هي حياة مؤسسة ، لا حياة فرد ، وشتان بين نظام كل من الكائنين . وحاصل ما وقع من التباس ، متولد عن سوء تقدير لحقيقة مفهوم حياة اللغة .

وفي رأينا ينبغي ان نفهم حياة اللغة بمعنى قابليتها للحياة ، والاستمرار فيها . ونفضل ان نستعمل

لذلك عبارة حيوية اللغة . وهذه الحيوية مرتبطة بمرونة نظام اللغة الداخلى ، اي بمرونة القوانين التي تربط العلاقات بين عناصرها المكونة اكثر من ارتباطها بمظهرها الخارجى ، اي بانواع عناصرها المكونة واشكالها . فلئن اعتبر استخدام اللغة في اكثر المجالات والتعامل بها في اكثر المستويات ولئن اعتبر تجريدها مما يحدد كيانها من العوامل الخارجية ، من مظاهر حياة اللغة ، فان هذا لا يكفى وحده لضبط صورة حيوية اللغة . فحيوية اللغة تقتضى بعد ذلك امرين على الاقل : حيوية نظامها ، وتمثل في قابلية اللغة للاستمرار في الحياة ، وحيوية مستعملها ، وتمثل في العزم على احيائها ، والعمل عليه دائما وابدأ ، لا في ظرف دون آخر ، لان عملية الاحياء هذه لا تقف عند حد . يضاف الى ذلك عنصر ثالث ، لا يخلو من اهمية وهو : حيوية جوارها . ونعنى بالجوار الاطار الحضارى الذى تعيش فيه اللغة باعتبارها مؤسسة من مؤسسات المجتمع . فحيوية اللغة عندنا هي حيوية نظامها ، وتجرده مما ينل به فيشوش حركته ، وهي حيوية مقيدة بحيوية الاطار الحضارى الذى تعيش فيه اللغة . والعامل على احياء لغة من اللغات اولى به ان يفكر في ضمانات الحيوية قبل ان يفكر في مقومات الحياة او مظاهر الحياة ، واولى ان يسعى الى حل مشاكلها العرضية النابعة منها ، قبل ان يسعى الى حل مشاكلها القارة المحيطة بها ، وليكن نصب عينيه دائما ان مستوى الحياة فيها رهين مدى حياة جملة المعارف الانسانية في البيئة المشتركة .

هذا المفهوم ينطبق على كل اللغات ، واطار الدراسة الذى قدمنا مشترك بينها . لكن العمل البناء لا يمكن ان يثمر الا اذا روعيت فيه الظروف الخاصة باللغة المدروسة ، لان الظروف ليس من الحتمى ان تتشابه . فالظروف هي التي توضح نوعية المشاكل التي يتحتم البداية بفضله وهي التي تفرض تبويبا لها حسب عاجل واطول . وفيما يلى نقدم تصنيفا للمشاكل التي نعتقد انه يحسن البداية بها لتطوير العربية في الظروف الراهنة .

فأسس تطوير العربية فيما نرى نوعان : أسس فنية نظرية ، تنبع من ذات اللغة ، وينبغى ان تؤول الكلمة فيها أولا الى علماء اللغة ، اصحاب الاختيارات العلمية والمنهجية القوية ، واخرى عملية تطبيقية تولدها محركات اللغة ، وينبغى ان تؤول الكلمة أولا

البحوث العلمية بتونس . وهذا الاجراء الذى نقترح لا يتناقى مع حرية الفكر ما لم يداخل الاختيارات العلمية البحث من الاعتبارات الشخصية ما يقلب القيم .

ويتحتم الى جانب ذلك ادخال العمل باللغة العربية في الادارة في معناها الشامل . فما زالت الادارة في المجتمع العربى ، من حيث هى مؤسسة حضارية جسما غربيا مزروعا في هيكل غريب ، ليس فيه عربيا الا اغلب الاعوان . وما صعوبة احداث ثورة من هذا النوع بخافية . لكن من التريص البيض والانتظار المقنوت .

ولعل أبرز مظاهر ممارسة اللغة البحث العلمى . وبعضهم يذهب الى حصر كل هذا العمل التطويرى في مجال البحث العلمى وحده ، لكننا لا نذهب الى هذا الحد ، لان الدراسات العديدة حول اللاتينية مثلا لم تنته الى تطوير اللاتينية في حد ذاتها بقدر ما انتهت الى وصف نظامها ، وكشف خفاياها انما نعتبر أن البحث العلمى هو الاطار الفنى الوحيد الكفيل بتهديب مناهج التدريس وتقويم دعائم الانتاج ، وتوجيه سبل النقد البناء . وكل هذه العناصر تتفاعل لتطور اللغة . لذلك نرى أن البحث العلمى نشاط لا يتصل بمظهر واحد من مظاهر حيوية اللغة انما هو يتصل بجملتها . والرأى الذى يذهب اليه البعض اليوم والمتمثل في اسناد مهمة البحث العلمى الى المعاهد البيداغوجية ، وكليات التعليم العالى خاصة ، لا يمكن الا أن يمثل البحث العلمى ، خاصة اذا علمنا ان البحث العلمى انواع عديدة لا يمكن أن يستقطبها التعليم وحده ، هذه الانواع يمكن حصرها في أربعة ، هى حسب درجات ما تستحق من اولوية في رأينا : البحث المدرج في مخطط معهد البحوث وسياسته العامة المتطورة في البحث العلمى . وهذا يقتضى من المشرفين على المعهد توخى سياسة في ذلك واضحة مضبوطة والبحث المدرج في نطاق الوصايا . ونعنى بالوصايا ما تتقدم به المؤسسات الحضارية العامة في البلاد من قضايا تطلب لها حلولا ، على ضوء بحوث توكل الى المختصين . وهذا الاجراء يقتضى من المؤسسات العاملة في البلاد تشغيل معهد البحوث ، لا مجرد تشغيله ، ولكن لغاية الانتفاع بثمره العلم فى بحوث اهل الاختصاص ، والبحث الجماعى الحر ، وهو ما تقوم به الجمعيات المختصة من عمل ، وان لم يدخل فى مخطط المعهد ولا كان استجابة لوصية ،

الى اهل التفكير فى التطور العام وعلى رأسهم اصحاب الاختيارات السياسية العامة .

اما الاسس الفنية فيمكن حصرها في قضية عامة هى : ممارسة اللغة . وهنا نمنح مفهوم الممارسة توسيعا كبيرا يخرج بها من مستوى مظاهر حياة اللغة الى مستوى ضمان حيوية اللغة . فالممارسة عندنا تمر بأربع مراحل رئيسية ، هى تدريس اللغة ، والانتاج القيم فى اللغة المعنية ، والعمل بها فى الادارة ، واجراء البحوث العلمية فى صلبها .

وقد يبدو التذكير بضرورة تدريس اللغة العربية من باب اعادة المعروف عاما لانه بديهى او لانه واقع فى كل بلد عربى منذ القرون الخالية . غير أن المقصود هو توسيع هذا التدريس الى كل المستويات ، وتضخيم ساعات الدرس بكميات لا تستطيع ضبطها الا لجان تعمل على ذلك . وعلى كل حال بكيفيات غير المعمول بها الآن لان هذه برهنت على قصورها عن الايفاء بالحاجة . والمطلوب كذلك أن يسير هذا الدرس على مناهج منقحة وطبق سياسة تربوية محكمة ، وأن يتخير للاضطلاع به اصحاب الكفاءات ، كما يطلب أن يكون درس العربية مشروطا قارا فى تكوين كل طالب عربى مهما كان نوع الاختصاص الذى يتبها له .

ومن وجوه ممارسة اللغة ممارسة نانعة ، الانتاج القيم باللغة العربية مشفوعا بالنقد السديد والحق أنه لم ينتفع حبل الانتاج فى المجتمعات العربية باللغة العربية ابدا . لكن الانتاج اختلف مدى وعمقا من زمن الى آخر ، واختلفت قيمته . والمشرط هنا هو ضمان مستوى من الانتاج مرموق ، والحرص على قرار المستوى . ولا يتم ذلك الا بالتشجيع على الانتاج القيم ، والقضاء على الضعيف بدون تردد . ويرى البعض أن الامر ينمى أن يوكل للزمن الذى يستطيع وحده أن يصفى الحساب فى كل انواع الانتاج فلا يستبقى منه الا ما تحدها . لكننا نرى ضرورة أخذ الموقف فى الابان ، والصرامة فى الحكم . ونرى أن ينظم لذلك مجمع ، يمكن أن يكون معهد البحوث العلمية ، توجه اليه كل انواع الانتاج مهما بلغت درجة صاحبها العلمية وتسنده اليه مهمة تقرير الانتاج بضبط تقارير بيانية فى ذلك ، شأن ما يجرى اليوم فى خصوص البحوث العلمية وطرق تقرير مصادرها ، فى نطاق معهد

والبحث الفردي الحر ، وهو ما يقوم به الافراد بمقتضى اختصاصاتهم واجتهاداتهم المعزولة ، وهذا النوع الاخير هو الغالب اليوم على بقية الانواع في اعمال معهد البحوث العلمية بتونس .

هذه في رأينا اهم مظاهر ممارسة اللغة ، والتي لا يمكن ان يكون المستشار فيها الا علماء اللغة في البلاد لانها تعالج القضية من الناحية الفنية البحث .

اما الاسس العملية المتولدة عن محركات اللغة ، والكميلة بتطوير العربية ، والتي نرى انها تؤول السى اهل التفكير في التطور العام ، وخاصة اصحاب الاختيارات السياسية ، فمرجعها الى ثلاثة :

اساس خاص بالعربية دون سائر اللغات ، وهو تقوية الوازع الدينى ، ذلك ان اللغة العربية تتميز من كل لغات العالم ، ميتيا وحيها ، بكونها اللغة الاصلية لآخر كتاب مقدس نزل ، فالقرآن ، كلام الله ، بلغ الناس في لغة العرب ، وفي هذه اللغة تكمن معجزة محمد ، رسول الله ، لا تريد من وراء هذا ، الدعوة الى الاعتزاز بالعربية من حيث هى لغة مقدسة ، ولكن الاقرار بحقيقة تاريخية لا جدال فيها ، هى ان حياة العربية او حيويتها كانت منذ ظهور الاسلام الى اليوم رهينة حياة الاسلام ، مما دعا كثيرا من الدارسين الى اعتبار العربية الفصحى — مهما كان مستوى حياتها او موتها ، عبر العصور — لن تموت ابدا يوما ، لان لها حافظا يحفظها هو القرآن .

في مدارسنا عوضت الكتابيب والمدارس القرآنية بالروضات والمدارس الابتدائية ، وعوضت حصص تلقين القرآن بخصص تحليل الآيات ودرك المفاهيم ، ولم يبق معتبرا في شئ تحفيظ نصوص القرآن ، ولا يريد المفاضلة بين هذا المنهج التربوى وذلك ، وانما يريد الإشارة الى ضرورة اعادة التفكير في مناهج تعليم القرآن واعطاء حظ تحفيظ سورته النصيب الذى يستحق .

ومن اسس تطوير اللغة ، التى يقتضيها وضع العربية بالخصوص في الظروف الراهنة : نزع المركبات ، مركبات النقص العالقة بانفس العرب نحو العربية ، والمبنية خطأ على ان اللغة العربية قاصرة عن مواكبة العصر ، وعاجزة عن اداء دقيق المفاهيم ، وما من

شك ان اهم مظهر لنزع المركبات — مهما كان نوعها — هو النهضة الاقتصادية التى هى كهيئة بارجاع الثقة الى النفوس الضعيفة ، ولكن هل ينبغى ان نكتف الايدي وان نحجم عن اخذ المواقف ما لم تتم لنا النهضة الاقتصادية الشاملة ؟ كلا ، فنحن نرى ضرورة العمل لكن مع ملازمة الحذر ، والتطرف فى مثل هذه الاعمال ممقوت ، فما الانتظار بكاف ولا الاسراع فى الإنجاز بشاف ، النفع ، كل النفع فى السير البطيء ، المتزن حتى يضمن للتقدم الثبات ، ونزع المركبات يتم فى رأينا عن طريقين من طرق ممارسة اللغة ، هما : التدريس على الوجه الذى بينا والعمل باللغة فى الإدارة على ما اشترطنا .

واهم اسس تطوير العربية على الاطلاق : اتخاذ سياسة تربوية عامة محكمة ، العمل على تطوير العربية وابرار اهدافها ، بمقتضى هذه السياسة يكون ادخال مراحل ممارسة اللغة حيز التطبيق ، وبمقتضاها كذلك يمكن تسخير الجهود الى تقوية الوازع الدينى ونزع كل اللوان مركبات النقص ، وفي هذه الصورة لعمري ، اهم المظاهر لسياسة نستطيع ان نسميها سياسة التعريب ، فالتعريب لا يمكن النظر اليه الا فى هذا الاطار ، وبهذا المفهوم ، اما ان نرى التعريب قضية حتمها شطط الثنائية ، او خطر الازدواجية فذلك عين التعوق والتعويق ، فتطوير العربية مرتبط الى حد كبير بالسياسة التربوية الخاصة والاختيارات السياسية العامة ، ان لم نقل انه بهذه وحدها مرتبط وليس ادل على ذلك اكثر من ان نرى حدة مشكلاتها تقوى او تضعف على قدر ما فى امواج السياسة من مد وجزر ، ففى اسرائيل مثلا ، عند ما عقد العزم على احياء اللغة العبرية ، كان ما كان العزم عليه ، وبعثت العبرية الى الحياة فى شكل مصطنع — ولكنها بعثت على كل حال ، وفى المنتظم الاممى ، عند ما اجتهد العرب لادخال العمل فيه باللغة العربية ، مغتنيين فى ذلك الظروف المناسبة ، نجحوا ، والى السياسيين يعود الفضل فى ذلك لا الى اللغويين .

اما البحث فى مصير اللغة ينبغى ان يزد فى سياق البحث فى مصير كل مظاهر المؤسسات الناشطة فى المجتمع ، وينبغى ان يكون اصحاب الراى فيه : اهل النظر ، واهل التطبيق واهل التوجيه ، جميعا ، فى اطار موسع عام هذه صورته ، يمكن ان تخلق

فاملنا ان تضم الملتقيات المقبلة المفكرين ، متباعدي
النشاط ، متعددي الاختصاصات ، مختلفي النزعات ،
لهم من صلاحيات التفكير واختيار صور الاجاز ومواعيده
ما يجعل للكلام صدى وللقوة فعلا .

محمد الهادي الطرابلسي

استاذ بكلية الاداب والعلوم الانسانية — تونس —

المعجزات لا في اطار واحد مختص معزول ، كالذي
جرى العمل في نطاقه عادة .

فعملية التطوير — مهما كان محورها ، اللغة أم
غيرها من المؤسسات — مسؤولية مشتركة في الجراة
على معالجتها بالتفكير ، والشجاعة على اجرائها
بالتطبيق ، مصرامة كاملة ، الا انها رهيبية التنشيط ،
وهذا دور اهل التوجيه ، فليات هؤلاء بالاختيارات
السياسية واضحة اولا ، ثم يكون الحوار في ملتقى
يتلوه ملتقى آخر ، وتنضج الثمرة .



خِصَاظِرِ حَوَّلَ وَضَعِ اللِّغَةِ العَرَبِيَّةِ

الدكتور محمد سويسى

وتعرضت الى الموضوع مرارا عدة منذ عشرات السنين ، منذ سنة 1945 فى مجلة المباحث وسنة 1960 فى محاضرة لقدماء الصادقية عن اللغة العربية والمصطلحات العلمية وسنة 1971 فى مجلة الفكر ، وسنة 1973 بـبؤتمر التعريب بالجزائر ، وسنة 1975 بطرابلس فى ندوة التعريب .

ونحن نعود دوما الى البداية ، ونرجع الى مفهوم التعريب ، وهذا اللفظ يفيد فى اللغة الايضاح والتبيين ، وفى الاصطلاح يطلق على مدلولين مختلفين:

الاول ادخال اللفظ الاعجمى ضمن المعجم العربى فيصقل ويصاغ فى قوالب الاوزان العربية ويمكن من القبول لابنتها والخضوع لمقاييسها وقواعدها ، فيشتق منه على الطريقة التى بها يشتق من العربى الصميم .

والمعنى الثانى — وقد شاع بيننا فى السنوات الاخيرة — وهو ايجاد مقابلات عربية للالفاظ الاعجمية حتى تصير العربية الفصحى وحدها هى لغة الكتابة والتدريس والاعلام تستخدم فى المدرسة والجامعة ، وتستعمل فى الدار والسوق وفى الصحافة والاذاعة .

بين الفينة والاخرى يقوم فينا داع الى ندوة تجمعا او ملتقى نلتئم فيه كى نتحدث عن مفهوم التعريب وكى نخوض فى مشاكل التعريب .

وكائى بهذا الداعى هو فى الواقع وخز فى الضمير وقد اخذ بواجب مقدس نحو لغة حلت منا فى الانثددة وسرت محاسنها فى الشرايين والاوردة .

فنحن نجتمع ونساعل عن جوانب القضية ونتعمل بالخطب وبمحسنات الكلام ، وتختتم الجلسات وتفترق الجموع ، وكل يظن انه قد قام بالواجب .

وتنطفى انوار الندوات والمؤتمرات وقد تحمست فيها الاجواء احيانا ، فارعدت السماء وابرقت ولكنها سحابة صيف سرعان ما تنقشع بل هى من السحب الخلب لا يرتجى من ورائها حى ولا ربيع .

او قل : نادى منادى الصلاة فام المؤمنون بيوت الله وقضيت الصلاة فاننتشر الكسل فى الارض للسمى والجري وراء الفائدة غير متعظ بجليل المعانى التى من أجلها تصد المصلى .

ففى المعنى الاول ينحصر القصد فى اللفظ المفرد ، ويتعلق المعنى الثانى بصفة شاملة بحياة الامة ، یرى الى ان تكون الصلة وشيجة بين الحاضر والماضى كى لا تنقسم العرى بين الشخص وبين آباءه ، بين تفكيره وشعوره ووسيلة تعبيره وتفكيرهم وشعورهم ولسانهم .

اى ان النظرة الثانية ترمى الى المحافظة على عريية الازهان قبل السعى الى الانساح فى معجم اللغة ، فلا يفيد تعريب الالفاظ اذا ما بقيت العجمة هى المسيطرة على العقلية ، واذا ما انسلخ الفرد تدريجيا عن المجموعة التى اليها ينتمى دون أن يتمكن من الحصول على التبنى من قبل أمم لا عمومة له من بينهم ولا خؤولة .

وما اللغة فى كائنة المستويات سوى اداة للاتصال والابلاغ يكون لها من الفاعلية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعملها من كفاءة وبراعة ، وفى الواقع ان اللغة براء مما قد يلصق بها من تهمة الفقر والعقم ، وانما يتعلق اصل الداء بالاشخاص وبمفاهيمهم .

وانما تحيى اللغات بالاستعمال وبمسايرة التطور الثقافى والحضارى والاجتماعى .

ثم اتنا سننظر الى مشكل التعريب بالمعنى الاول نظرة تقع فى اطار انفسح واهم طالما وجدت البشرية جمعاء نفسها مواجهة اياه ولا سيما فى فترات التطور والتحول ، وهذا الاطار العام هو الذى يتمثل فيها يسمى اليوم بنقل التقنيات من بلد الى آخر . والح تساؤلات فى هذا الشأن يتمثل فى : هل على الدول النامية ان تتلقى من الامم المتصنعة خبراتها واساليبها وطرقها العملية بحذافيرها وان تطبق نماذجها الاتمائية كما هى ، مقتصرة على التقليد البسيط ؟ أم هل يجب على كل بلد ان يقتبس من الغير مجرد الاقتباس محافظا على ملامحة ما يقتبسه لوضعه الخاص وبيئته الذاتية ودرجته فى النمو ؟

والشأن فى اللغة كالشأن فى الاقتصاد . وليس الامر خاصا بالعربية بل ان سائر اللغات قد تعرضت

اثناء تاريخها لعين المشكل . ونحن سنقتصر على ذكر الموقف الذى وقفه فى الموضوع . بعض الباحثين بفرنسا غب الوثبة التى وثبتها اوربا نحو الحضارة العلمية وعند اتبعات المجتمع الغربى المتصنع فى نهاية القرن السابع عشر للميلاد وفى بداية القرن الثامن عشر .

فهذا فيفلون يقول فى رسالته الخاصة بمشاغل المجمع اللغوى الفرنسى : « ان اللاتينيين قد اثروا لفهمهم بما كانت فى حاجة اليه من المصطلحات الاعجمية فكانت تعوزهم مثلا مفردات مخصصة فى الفلسفة ، اذ لم تظهر بروما الا فى فترة متأخرة من الزمن ، فاستعاروا من اليونانية مصطلحاتها ليتمكنوا من ترويض افكارهم على مادة العلوم .

وهذا شيشرون - وهو من حيث التزمته ومن حيث الحرص على سلامة اللغة - قد سمح لنفسه باستخدام المفردات اليونانية التى كان فى حاجة اليها ، وكان فى البداية يستعمل اللفظ اليونانى على أنه اعجمى يستسمح استعماله بتحشم ، ثم انقلب عنده الاسترخاى حقا وتهلكا للمصطلح وحوزا له ، واعتبر ما جالته يده بالحوز والتصرف حقا من حقوقه الخاصة .

هذا وقد بلغنى أن امة الانجليز لا تتعفف من استخدام كل ما من شأنه أن يساعدها على التعبير مهما كان منشأه ومهما كانت مصطلحاته ، فتتنقض على هذه المصطلحات انى وجدتها تستحوذ عليها ، وهم يعتبرون ان ليس لهذه الأصوات فى حد ذاتها من قيمة بل هى تنسب على السواء للامة المستعمرة لها وللأمة المعبرة اياها ، فهل هناك من اهمية لكون اللفظ قد ولد ببلد من البلدان أو ببلد آخر منه نقل الى الاول ؟ وانه لمن قبيل الغيرة الصبانية ان يشعر الانسان بفرق بين الامرين اذ ليس الشأن سوى اعتبار لكيفية تحريك الشفاه وقرع الهواء . . . (*)

واذا ما اعتمد عيشنا بأكمله على استعارات صارت من رصيدنا الخاص ، فبم نبرز ما نبدى من استحياء من نقل مسمياتها بكل حرية ؟

(*) هذا الراى يفقد شخصية الامة وكل الملابس المعنوية التى تتصل بالموضوع - «اللسان العربى» .

ومقدمة كتاب «الجامع لمفردات الادوية والاذقية» للنباتى ضياء الدين بن البيطار الملقى جليلا القيمة غزيرة المعانى فى الموضوع الذى يهنا ، فيجعل هذا العالم غرضه السادس من كتابه حسب قوله بنصه :

«فى اسماء الادوية بسائر اللغات المتباينة فى السمات مع انى لم اذكر فيه دواء الا وفيه منفعة مذكورة او تجربة مشهورة (وذكرت) كثيرا منها بما يعرف به فى الاماكن التى تنبت فيها الادوية المسطورة كالالفاظ البربرية واللاتينية وهى اعجمية الاندلس ، اذ كانت مشهورة عندنا ، وجارية فى معظم كتبنا وقيدت ما يجب تقييده منها بالضبط وبالشكل والنقط تقييدا يؤمن معه من التصحيف ويسلم قارئه من التبديل والتحريف ، واذا كان اكثر الوهم والغلط الداخلى على الناظرين فى الصحف انما هو تصحيفهم لما يقرؤونه او سهو الوراقين فيما يكتبونه» .

ويلخص البيرونى رايه فى تعريف المصطلحات فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مردولة » فيقول : « وانا اذكر من الاسماء والمواضع فى لغتهم (يعنى لغة الهند) ما لا بد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف ، ثم ان كان مشتقا يمكن تحويله فى العربية الى معناه لم اهل عنه الى غيره الا ان يكون بالهندية اخف فى الاستعمال فنستعمله بعد غاية التوثق منه من الكتبة او كان مقتضيا شديد الاشتهار فبعد الاشارة الى معناه وان كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الامر فيه » .

فالى لسان العرب اذن نقلت العلوم من اقطار العالم ، ويعود البيرونى الى الموضوع فى كتاب الصيدلة ويصرح بحبه للعربية فيقول : «وكانت كل امة تستحلى لغتها التى الفتها واعادتها واستعملتها فى ما ربهها مع انها واشكلها ، واتيس هذا بنفسى وهى مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استفراب البعير على الميزاب والزرانفة فى الكراب ثم منتقلة الى العربية والفارسية فانا فى كل واحدة دخيل ولها متكلف والهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولى من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسى كيف ذهب رونقه وكسف

بale واسود وجهه وزال الانتفاع به اذ لا تصلح هذه اللغة الا للاخبار الكروية والاسمار الليلية » .

هذه آراء بعض العلماء الاعلام فى العصور الخالية فكأنى بالمعارض يتوجه الى زاعمى انى انما ادعو الى التعلق بالماضى وبأساليبه او انى ربما احث على التقليد واقتناء الآثار ولكنى اذ اذكر ما اذكر من هذه الآراء فما ذلك الا للقول بانها قد ساعدت تقيدها على ايجاد عقول نبهة وادمغة ثرية منتجة فلا اعنى بقولى هذا انه ينبغي تصنيعها بل الشأن ان نتخذ عملها وثائق تاريخية نرجع اليها كادامصالحة فحسب وللغة وجودية تستلزم تجسيدها فى وجود انسانى ووجود اجتماعى والمجتمع قد تحول والعلم قد تطور وليس من المعقول ان نسير الى الوراء وان نسلك مسالك القدامى نفسها .

وقد يرى بعضهم ان فى عملنا هذا ضياعا للوقت وشغلا للنفس بما يجعل الانسان يعرض عن وجهة التقدم وعن تيار الرقى المتدفق مما الفائدة فى السعى الى التعريب مهما كان المقصود منه فالعصر فى زعمهم هو عصر توحيد ، يروع البشرية فيه ازالة الفوارق والغاء القوميات والعصبيات ، وفى العزم بعث نموذج من البشرية تماثل العناصر والصفات متوحد النزعات متشابه الآراء والمذاهب الفكرية والثقافية والاقتصادية يستعمل عين الطرق التربوية والاجهزة الاعلامية ويستخدم نفس الوسائل للتنقل ، له عين الذوق فى الطعام والمشرب والملبس والسكن ..

ونحن نرى ايضا ان هذا التقارب والتشابه من شأنه مبدئيا ان يحسم الخلافات وان يفض الخصومات ولكننا نلاحظ — عند التطبيق وفى الواقع — ان هذا الفكر انما يتم لصالح القوى المهيمن على من حوله من الناس وليت البشرية سارت سريرة عدل ، على سراط سوى لا تزيغ ذات اليمين ولا ذات الشمال ، لا شرقية ولا غربية راسخة الاقدام اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ..

الا تكون الوحدة المزعومة على حسابنا وعلى حساب حضارة يعتر بها الانسان الحق ، انقذته من ظلمات الجهالة الحالكة ، وحفظت كرامة بنى البشر واورثتهم تراثا من اروع التراثات جمالا واخصبها مضمونا وادتها علما .

والعلوم الى العربية هو مثل كتاب ديوسقوريدس يدرس في الادوية المفردة ترجم هذا الكتاب بمدينة السلام في الدولة العباسية في ايام جعفر المتوكل وكان المترجم له اصطفين بن بسيل وتصفح ذلك حنين بن اسحاق فصصح ترجمة واجازها فما علم اصطفين من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسما في اللسان العربي فسرته بالعربية وما لم يعلم له في اللسان العربي اسما تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي اذ التسمية لا تكون الا بالتواطؤ بين اهل كل بلد على اعيان الادوية بما راوا؟ ويقول ابن جنجل: وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفين منه ما عرف له اسما بالعربية ومنه ما لم يعرف له اسما فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق والاندلس الى ايام الناصر عبد الرحمن بن محمد فكتابه ارمنيوس ملك القسطنطينية احسب في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهاداه بهاديا لها قدر عظيم فكان من جملة هديته كتاب ديوسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقي .. وكتب ارمنيوس في كتابه الى الناصر أن كتاب ديوسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف اشخاص تلك الادوية ..

ثم بعث ارمنيوس الى الناصر براهب كان يسمى نقولا (يتكلم الاغريقي) واللاتيني وهو (اعجمية الاندلس) وكان يومئذ بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفقيش وحرص على استخراج ما دل من أسماء عقاقير كتاب ديوسقوريدس الى العربية .. فصح يبحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء هذه العقاقير تصحيح الوقوف على اشخاصها بمدينة قرطبة خاصة ما ازال الشك عن القلوب واوجب المعرفة بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف وتقبل الدخيل هكذا ضمن معجم اللغة هو ما اشرنا اليه في المفهوم الاول للفظ التعريب أي نقل المفردات الاعجمية بلحمها ودمها وقد اجاز مجمع القاهرة الالتجاء الى هذه الطريقة اذا دعت الى ذلك الحاجة بأن لا يوجد لفظ متداول في اللغة او مهجور يؤدي بدقة المعنى المصطلح عليه . وكما لاحظنا انه قد يكون من المفيد في المرحلة الاولى من التعريب أن نلتجئ أحيانا الى هذه الطريقة ، وقد يفرضها علينا الاسراع لمواكبة سير الامم في الميدان العلمي على أنه لا ينبغي أن نعتمد

وعند هذا يفاجئنا المعارض بلون جديد من التحليل والتفنن والتحويل فيسائرنا في قولنا انما تكون اللغة بالاستعمال ويساتدنا اذا ما قلنا انه من الواجب أن يتعرب التدريس وعندها يتبرم مرددا مقالة انيس فريحة : « ان الفصحى ليست لغة الكلام فلا يرجى منها أن تعبر عن الحياة بحلاوتها ومرارتها وقسوتها ولينها ، كما تستطيعه العامية والدليل ظاهر فانك لا تستطيع أن تقول بالفصحى ما تقوله في العامية واذا نقلته الى الفصحى اتى جانبا قاسيا خلوا من العنصر الانساني اللصيق باللغة » فيجيبه الاستاذ بلاشير : « اني لاصرح ان لغة الاعتزاز هي العربية الفصحى .. ولو كنت عربيا لكنت بالطبع فخورا بهذه اللغة ان اللغة العربية هذه تمكن العربي من ابراز شخصيته امام لغات الامم الكبرى وتشعره أنه يمتلك لغة حضارية ممتازة .. » على أن مشكل الفصحى والعامية ليس خاصا بالعربية فهذا الاستاذ مرتيني الاخصائي في ميدان اللسانية يصرح أن انتشار الفرنسية الفصحى بين عامة الفرنسيين حديث العهد ويضيف انه لا وجود للغة عامية فرنسية بل اننا كلما ابتعدنا عن باريس في مختلف الاتجاهات ننتقل تدريجيا من لهجة الى اخرى ومع ذلك كل الفرنسيين يخاطبون معلمهم أو تساوستهم بعين اللغة .

وبهذا الاعتبار هل توجد بتونس لغة عامية واحدة بها يتخاطب اهل الوطن القبلي أو اهل المهدية أو اهل قفصة؟ وما هي العامية التي قد يفكر بعضهم في تعميمها لتموض الفصحى؟ أم هي لغة الفلاح أم الجزار أم الملاح: لغة القرى أم لغة البادية؟

ونحن مع ذلك لا ننكر أن لبعض الالفاظ العامية طرافة وانه في الامكان أن تستغل العامية لاثراء الفصحى وتلقيحها ونحن فكرنا آنفا ما صرح به ابن البيطار من استعماله البربرية واللاتينية لتسمية بعض الاعشاب بل اننا لا نتخرج في بداية الامر من استعمال بعض المصطلحات الدخيلة ضمن مقالنا أو في دروسنا وهذا ابن سينا في كتبه عامة وفي رسالته اللواحية خاصة يستخدم مصطلحات مستعارة من اليونانية والفارسية والهندية بنسبة لا تقل عن الثلث عن مجموع المصطلحات المستعملة في رسالته .

ولعل احسن مثال يصور لنا هذا التدرج في نقل

للاحاطة بالالفاظ الاصطلاحية ويقول آخر لقد تجاوز الاستاذ سليم عمار عقبة الاصطلاحات اذ كان ياتى بالمقابل الفرنسى بجوار المصطلح العربى حتى يتمكن من لم يتعود على الاستماع الى العربية من الاستفادة ومن ادراك المفاهيم العلمية . ويقتراح بعض الطلبة ان يتمرن المتريصون على تسجيل ملاحظاتهم باللسان العربى وان يقوم المساعدون من بين ما يقومون به من دروس بدرس فى العربية ويقول طالب آخر ان ما استفادوه من هذا الدرس بالعربية هو ما كانوا يستفيدون فى دروس الفرنسية ، بل انه فى الامكان ان يقال انهم لو تعودوا من قبل على الاستماع الى دروس عربية لكان تصورهم للمفاهيم اسرع وهضمهم لها اسهل وايسر .

ثم يعقب معقب منهم ان معظم المرضى من ذوى الثقافة المتوسطة ويكون من الانجح ان يخاطبهم الاطباء بال لغة التى يفهمون اى العربية وفى ذلك ما يعين على النلاج يتفهم المريض نوع مرضه وما يقتضيه من دواء ومن تدبير وبذلك يسهل على الطبيب نفسه قيامه بمامورياته .

بهذه الانطباعات المشجعة اختتم تولى مؤملا فى ندوة مقبلة ان الاحظ ان الايمان الذى تغلب فى النهاية وان التعريب الحق الصادق قد نخل حيز التنفيذ وان نتائج الملموسة قد ساعدت على ازالة بقية التخوفات لدى من كان يوجس خفية من مبادرة كان يرى فيها مجازفة وتهورا .

اساسا ونهايا على هذه الطريقة بل يجب ان تصطبغ بالصبغة المرطوية خاصة ، ونحن فى موقف المستهلك لا المنتج ، وقد نكون البين جانباً غير متشددين فى هذه النقطة بالذات لو كنا لغرباً ائداداً ناخذ منهم بقدر ما نعطيهم ناتى بالامر الطريف المتأثر بشخصيتنا ووضعنا الخاص فنرد على ما اخذنا عوضاً ونجرى بيننا وبين الغير تياراً مستمراً من التبادل الحق تساوت فيه جهتنا لا فضل لجانب منها على الآخر بل ما تكافأت اعمالها ولكليهما على الآخر فضل .

ونحن نعود فى النهاية الى ملاحظتنا وهى ان اللغة انما هى اداة يكون لها من الصلاحية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعملها من الكفاءة والبراعة ، وحياسة اللغة بالاستعمال واللغة تتطور بتطور الحياة والافان ما وقف وتحجر اضمحل وصار الى الفناء .

هذا وما يبعث على الامل — لا على التفاؤل — ما نقلته لنا الصحف فى الرابع والعشرين من شهر فيفري المنصرم فكان شبه المفاجأة الطيبة وهو ما اقدم عليه بعزم وحزم الاستاذ الدكتور سليم عمار من كلية الطب بتونس فالتقى بها اول درس فى الطب باللسان العربى .

ولعل ما يبعث على التفاؤل ما علق به بعض الطلبة الذين حضروا الدرس فقال قائلهم ان هذا الدرس كان حقاً منعمشاً ولو ان البعض من الطلبة وجد صعوبة

دَوْرُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ فِي تَنْمِيَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

الدكتور علي السنو في

استاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الانسانية - تونس

وإذا نحن تصدنا من التنمية مفهوم الفزارة اللغوية أقررنا بشيء من الاندهاش بأن اللغة العربية من هذه الوجهة قد جاوز ثراؤها الحد ، إذ عدد الالفاظ العربية يفوت الستة ملايين لا يستعمل منها الا قرابة الستة آلاف مفردة والباقي مهمل ، مع العلم بأن اللغة العربية تقتنى ثروتها هذه من أصولها الثلاثية والرباعية والخماسية وتضم اليها نظاما متكاملًا لا يختل في الاشتقاق ونظامًا متطورًا في النحت بحيث تصارع غيرها من اللغات الكبرى .

وإذا نحن فحصنا مفهوم التنمية للغة العربية على صعيد الانتاج الادبي ، وجدنا أن اللغة العربية قد اصدرت في الماضي البعيد والماضي القريب أدبا قيما وتصدر اليوم أدبا رائدا وكلا الادبين دليل ان احتجنا الى دليل على أن اللغة العربية قادرة مرة أخرى على أن تقوم بوظيفتها كأداة لتنمية الفكر البشرى .

وإذا نحن حاولنا حد مفهوم التنمية للغة العربية على الصعيد الحضارى شهد التاريخ بأنها قامت بدور ايجابى الى ابعد حدود الايجابية في اصدار ثقافة عالمية بأنم معنى الكلمة وأنها ثبتت كوحدة لغوية الى يوم الناس فرسخت كلغة حضارة نطقا وكتابة قرابة

تساؤلات عديدة تبادرت الى ذهني وأنا أحاول معالجة هذا الموضوع ، تساؤلات أدرتها حول مفهوم التنمية للغة العربية ثم على اى صعيد تكون هذه التنمية ؟

فنحن ماذا نعنى بطرحنا هذه القضية على بساط البحث ؟ أفنعنى التنمية من حيث الانتشار ؟ .. أم نحن نعنى التنمية من حيث الوفرة والفزارة ؟ .. أو أننا لا نعنى الفزارة اللغوية وإنما نعنى التنمية للغة العربية من حيث ثراء الانتاج الادبي والثقافي ؟ أو أننا لا نعنى شيئا من ذلك كله وإنما نعنى امرا آخر .. ؟

فاذا ما نحن عنيما بالتنمية والانتشار تذكرنا ما هو مقرر عند الخاص والعام من أن اللغة العربية منتشرة وكثرة الناطقين بها على وجه البسيطة دليل دامغ ليس بعده من دليل على أنها اللسان القومى لما يقارب المائتى مليون من البشر موطنهم يمتد من المحيط الى الخليج ثم اللغة العربية هي اللسان المقدس لما يزيد على الخمسمائة مليون من المسلمين منتشرين في أرض الله هي أداة يقيمون بها صلواتهم وشعائرهم الدينية ؟

سنة عشر قرنا منها قرنان قبل الاسلام وذلك رغم مختلف الانتقاسات المتكاثرة وتقلبات ضروب الاحداث المتسوعة .

و اذا نحن بحثنا في مفهوم تنمية اللغة العربية على الصعيد الذاتى فأنفسنا نبرى تلقائيا لتجيب بأن اللغة العربية هي لغة شعبنا هي اللغة الام هي مقوم من أبرز مقوماتنا وركن من اثبت اركان شخصيتنا القومية وعنصر من أمتن عناصر ذاتيتنا اذ هي تنقل الينا تراث آباءنا وتلقى عنا التراث الذى سنتقله الى الاجيال المقبلة .

غير ان ما نبغى من مفهوم لتنمية اللغة العربية هو المفهوم الحركى الدينامى للتنمية هو المفهوم الذى يعنى الاجيال المقبلة وبذلك نفهم أن ما نصصنا عليه في هذا العرض الخاطف من تقريرات واطرارات ليس هو في حقيقة الامر والواقع سوى استحضار لماض مجيد ولحاضر نلمسه ونحياه والحال ان هذا الحاضر يوجب بكل تأكيد ان تطرح القضية على اساس البحث عن كيفية تنمية اللغة العربية تنمية تؤهلها للمساهمة بجد في تهيئة عالم الغد عن طريقها هي لا عن طريق ضرة لها اذ قديما كان يؤلف باللغة العربية في الطب والفلك والهندسة والرياضيات .

فما يمنع اللغة العربية من أن تكون اليوم وغدا لغة العلوم العصرية والفنون الصناعية ؟ ان اللغات كائنات تحيا ككل كائن بخضوعها لنواميس الهيكلية البنوية للحياة واللغة الحية هي التي تصهر بطريقتة متواصلة مستمرة عناصر جديدة تتقبلها وتلقى ما لم يبق لها صالحا من عناصر . فاللغة تجدد ككل كائن حى ولا تحيا اللغات الا في افواه الناطقين بها واللغة العربية لا تشذ عن القاعدة الهيكلية الطبيعية فهى على شاكلة القوم الذين يتكلمونها وهم ان ارادوا لها الحياة مطالبون باخضاعها لاغراضهم المختلفة وحاجاتهم المتجددة .

ليس احد يجهل أن اللغات لا تحيا بتقارير اساتذة الجامعات ولا بالاسانيد ولا بالحيثيات والاحكام وانما تحيا اللغات بالاستعمال والممارسة واين يكون استعمال اللغة العربية ان هي لم تعلم وتمارس الاسرة وفي المدرسة وفي المجتمع ؟

ان هذا الامر يفرض علينا نبذ الانتوائية حتى لا يصبح هذا التراث الذى تتمتع به اللغة العربية على مختلف الاصعدة والذى من واجبنا الحفاظ عليه عبئا ثقيلًا قد يعرقل أو يمنع مسيرة اللغة العربية في النمو الذى معناه مواكبة الناطقين بها ما يجد في الحياة .

فالتنمية المتصودة اذن هي التنمية على صعيد العلوم الحديثة وهي تنمية تكون لها جذور في الالفاظ وفي الحضارة معا . ومعنى ذلك ان العلوم الحديثة التي غزت وتغزو جميع ميادين الحياة هي علوم لا تزال اللغة العربية على عتبة ابوابها بالرغم مما أنجز وينجز فيها يتعلق بالعلوم الانسانية وخاصة اللسانيات وعلوم الاجتماع وعلوم التحليل النفسى وهي ميادين تأصل للغة العربية فيها تراء لغوى بفضل مختلف الوسائل الاعلامية المعاصرة .

ان الرهان الحقيقى الذى على اللغة العربية ان تكسبه انما يتمثل في قيامنا أو عدمه نحن رجال الفكر والعلم الناطقين بالضاد بمسؤوليتنا أمام الاجيال الصاعدة واللاحقة معا تلك الاجيال التي نريد لها لغة حية مرنة طيعة لغة عربية صالحة لاداء وظيفتها تمتاز بما تمتاز به اللغات العصرية من سهولة التركيب ودقة التعبير ووضوح التبليغ لغة قادرة على السير في صعيد الحضارة وركب التقدم لغة تحقق التفتح لمقتضيات الروح العلمى الجديد ..

ولا يفوتنا في هذا المجال تأكيد الاعتراف بكل شجاعة وبكل جدية وبكل موضوعية بأن اسهام الاجيال الصاعدة في ممارسة شؤون حياة المستقبل يوجب علينا لاستكمال مقوماتنا وتدارك تأخرنا الناتج عن قسرون الانحطاط والهيمنة الاجنبية أن نهل مباشرة في الوقت الراهن من ينابيع الثقافات والحضارات الاخرى اذ القضية المطروحة في هذا اللقاء هي في نظرى ليست قضية اللغة العربية بوصفها فقط كأداة لنقل المعرفة وانما هي قضية الادمغة القادرة على استساغة المعرفة المعاصرة بمفهومها الاقتصادي والعلمى والتقنى والتكنولوجى .

ان المعرفة التقنية والتكنولوجية التي نريد بل يحتم علينا ضمان المصير تحقيقها لدى الاجيال الصاعدة هي معرفة تتطلب لتمام وتؤتى اكلها ارضية تقنية تكنولوجية يتوقف وجودها على ايجاد الخبراء وهؤلاء

انما تتولى المدرسة خلقهم بالتعليم هو الاداة المحققة لهذه الغاية .

وفي هذا الصدد لا ننسى الجهود الجبار الذى بذلته وتبذله الدولة التونسية منذ الاستقلال فى سبيل نشر التعليم وديمقراطيته على أساس نظام تعليمى يمكن التونسى من بلوغ كمال انسانيته وتحقيق مصيره . فالتعليم وخاصة الجامعى منه يسمى لتخريج المثقفين الذى يستطيعون الاطلاع على الثقافة العالمية وعلى تحير الصالح منها لمجتمعنا وعلى المشاركة فى ركب الحضارة .

والجدير بالملاحظة فى قضية تنمية اللغة العربية هو أن التعريب لاداة العلم لا يعنى حذف اللغات الاجنبية . فالجامعات بالبلاد العربية وبضمنها جامعتنا التونسية صرحت بأن اللغة العربية لا تصلح الآن للعلوم الحديثة من طب وهندسة ورياضيات وطبيعة ونبات وحيوان وغيرها لقيام عدد من العوائق يحول دون استخدامها فيها وحافظت كلها ما عدا سورية والمملكة العربية السعودية على تدريس العلوم الصحيحة بالانجليزية كما هو الشأن بمصر والسودان والعراق (**) وبالفرنسية فى لبنان والجزائر والمغرب الاقصى وتونس .

ان البلاد التونسية فى هذا المجال لم تقلب لغة التعليم بين عشية وضحاها من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية وانما خطت ذلك فى تدرج ولا يفوتنى فى السياق أن أذكر هنا جاء فى المحاضرة التى القاها فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة يوم 11 ماي من سنة 1968 بجامعة مونريال بكندا حين قال :

اما على الصعيد اللغوى فاننا لم نكن نشعر كما لا نشعر اليوم بأى مركب . ولقد استبقينا اختيارنا للغة الفرنسية كما كان الحال فى عهد الاستعمار . ولم يكن شئ يحملنا على العدول عن اعتماد لغتين معا بعد الاستقلال . ولم يكن بوسعنا أن نسمح لانفسنا بأدنى تبذير لطاقتنا ، ولا بأية اضاءة لاوقاتنا ، ولم نكن فى الواقع لنتمسك بالاوهام فيما يتعلق بهذا الموضوع . ان ادراكنا كان دقيقا بضرورة سنوك مسلك الجد والواقعية الذى تقتضيه تلك المغامرة المتمثلة

فى ممارسة الحرية وتلك المغامرة الاخرى الماثلة فى اقامة أسس الدولة وتنظيم اقتصادها . وإذا كان هذا حالنا وهذا اتجاهنا فكيف تحدثنا انفسنا بالرجوع الى الوراء لنستقى مميّنا من منابع ثقافة منفردة ، أو بالاستسلام الى اوهام عاطفية تكون عاملا من عوامل التقهقر .

على اننا حين نتحدث عن تونس فاننا لا نوقى الكلام حقه عند ما ننوه بازدواج لفتها . والحقيقة تقتضينا أن نقول ان لها ثقافة مزدوجة . فتونس لا تنتكر لشيء من ماضيها الذى تعبر عنه اللغة العربية . وهى تعلم أن الفضل فى مشاركتها الكاملة فى ثقافة العالم المعاصر وفى حياته ، يعود الى حذقتها للغة الفرنسية . ولقد اثبتت التجربة التونسية أن اللغة تساعد على اقرار الهياكل واثباتها . وهذا ما خبرته تونس ، وأؤكد لكم أن هذه التجربة لم تأت عفوا وأنها صادرة عن ادراك دقيق .

ان النظر فى التطبيقات الفعلية لتنمية اللغة العربية على صعيد التربية والتعليم يجعلنا نكتشف عوائق من بينها أن التعليم ان كان يمكنه ان يحول بصفة ملموسة تطوير اللغة العربية فى الفاظها وهياكلها البنيوية والفكرية والوجدانية معا فهو لا يمكنه ذلك بدون تحقيق تنمية للثقافة نفسها الامر الذى يجر حتما الى الاعتراف بأن الاختيار القومى لفائدة تعلم اللغات الاجنبية والفرنسية منها خاصة هو رغم مشاكله المعروفة فى التطبيق اختيار لتنمية شاملة بأتم معنى الشمول اول المستفيدين منها اللغة العربية .

ولسائل ان يسأل واين هى العوائق اذن ؟ القضية ليست بسيطة وانى ارتكز فيها أقول على نتائج أعمال المؤتمر العام الذى عقده اتحاد الجامعات العربية فى فيفري من سنة 1973 وعلى الاستفتاء الذى اضطلع به المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى بالرباط سنة 1966 . ذلك أن الآراء جميعها تتفق على ان اللغة العربية هى الاداة الطبيعية للتعليم على اختلاف المستويات والعلوم لكن ينقصها الصفات التى يطالب بها اصحاب هذه العلوم ومن اؤكد تلك الصفات هى تلك التى تتمثل فى وجود اطار تدريسي للمناهج التعليمية اذ التعليم عملية بتصلة مترابطة الحلقات

(**) كان الطب فقط يدرس بالانجليزية فى العراق ثم شمله التعريب — (اللسان العربى) .

لا ينفصل فيها التعليم الجامعي عن التعليم الثانوي والابتدائي وذلك يقتضى أن تكمل مناهج كل مرحلة مناهج المرحلة التى تسبقها وان لم يتحقق ذلك ضاعت الجهود سدى .

ثم بخصوص تعليم اللغة العربية نفسها انصحح ان رجال التعليم لهم خبرة بالعلوم الحديثة او على الأقل بالبعض منها وهو ما تعارفنا على تسميته بالتكويين الاساسى يمكنهم من المساعدة على تعصير اللغة العربية ؟

ثم على صعيد مرحلة التعليم الابتدائي الذى يعد اليوم في تونس زهاء التسعمائة الف طفل افي امكن المعلم غير المطلع ولو على العناصر الاولى الضرورية لتلك العلوم الحديثة ان يلتن تلاميذه شيئا آخر غير تلك اللغة المتجدة استغفر الله اللغة العتيقة التى كلنا يعترف بان البون بينها وبين المفاهيم الجديدة موجود . فنحن نخشى ان يكون ذلك ثقلا على ذاكرة جيل صاعد مصيره العيش في حياة معاصرة .

فكم من معلم عجز في كثير من الاحيان على اجتياز العقبات التى تعترضه اثناء التدريس . لقد قال رئيس الدولة في الخطاب الذى القاه بمناسبة اشرافه على مهرجان نهاية السنة الدراسية في 25 جوان سنة 1958 : اريد ان الاحظ ان التعليم بالمدارس الثانوية سيكون متجها الى التعريب واستعمال اللغة العربية حيث تكون لغة التدريس لجميع المواد . . .

نعم هذا الرهان نحن بصدد كسبه ولكن ؟ . . . يجب الاعتراف بان العربية كلفة واداة تشكو على صعيد التعليم الابتدائي امورا منها قلة الادوات ومنها مضامين واساليب تكاد تكون قاصرة رغم محاولات التجديد المحتشمة ومنها فقدان روح المعاصرة في اكثر من موطن ومنها خاصة عدم سيطرة جانب وافر من الاطار على آلياتها الاولى وهذا كله من شأنه ان لا يساعد على تنمية اللغة العربية لغتنا الام . ان التعليم يجب ان يكون محوره دعائم جوهرية اربع او لا يكون : اللغة العربية ، اللغة الاجنبية ، الرياضيات ، التقنيات .

ومن الواجب ان تكون الثقافة العامة متزايدة التفتح على العالم المعاصر وذلك انها يتحقق باستعمال الطرق البيداغوجية الجديدة التى تعتمد اكثر فاكثر

دراسة الوسائل الذى يكتنف الطفل . وكذلك يحضل بتنمية تعليم هو معرفة العالم بما في ذلك العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافية وادب . الخ كما يشمل مفاهيم جديدة للتربية الاقتصادية والمدنية ودراسة الدواليب الاجتماعية والسياسية . ومن جهة اخرى فان تعليم اللغة العربية انما نحقق له النمو والتطوير بالاتلال من تركيزه على دراسة النحو والصرف والادب الكلاسيكى وبالاكتثار من التدريب على اللغة باعتبارها اداة تعبير وتواصل . وهذا المفهوم للتنمية على صعيد اللغة العربية يفرض علينا تحوير برامجنا فلماذا لا نجرؤ فنحول الامور . انى شخصا اطلمت على برامج التعليم بالبلاد الاسكندنافية في الصائفة الماضية واذكر هنا مقتظفا من برامج المرحلة العليا للمدرسة الموحدة التى يعادلها عندنا اتسام المرحلة الاولى من التعليم الثانوى ففى هذا البرنامج يوجد التنصيص التالى : يستعمل التلميذ اللغة الام فيما يلى : محادثات - عروض قصيرة - استجابات - تمارين مسرحية - ارتجال تمثيلات سهلة - دراسة نصوص مختلفة - التعبير عن المشاعر والاحاسيس - النقد - كيفية استعمال المعاجم - كيفية استعمال دوائر المعارف - كيفية استعمال الدوريات - قراءة الصحف - قراء نصوص لخيرة الكتاب وخاصة المعاصرين - انشاءات في الوصف والقصة وكتابة الرسائل - كيفية القيام بحوصلات - دراسة الالفاظ والتراكيب ومعلومات عن تاريخ اللغة - بهذا المقتطف من البرنامج الرسمى لمدرسة سويدية نرى الفارق الموجود في المستوى نفسه من التعليم بين ما في السويد وبين ما عندنا في تونس فنحن ما زلنا نتبع المناهج الفرنسية في تعليمنا . . . بينما فرنسا نفسها تحور . . . ان الهدف اذن من تنمية اللغة على طريق التربية والتعليم ليس تمكين المتعلم من حشد مجموع من المعارف دفعة واحدة وانتهى الامر بل الهدف من التعليم هو ان يتعلم التلميذ كيف يتعلم ومعنى ذلك اكتساب ادوات التربية المستمرة طيلة الحياة واكتساب الوسائل الكفيلة لتحقيق التلاؤم مع التحولات كلها الطارئة والتي قد تطرا .

على هذا العرض الخاطف نفهم بوضوح مصدر اللعواقب في سبيل تنمية اللغة العربية . ان الانسان الذى لا يزال يعيش في اطار اللغة العربية بصيفها التقليدية قد يحمل هذا الانسان حملا تلقائيا وربما لا شعوريا على ان يفتح عينيه على الماضى بدلا من فتحها

على المستقبل .. ومن الممكن أيضا أن يكون محمولا على الشعور بالنفرة تجاه التجديد اللغوي لأنه يشعر بفقدان شيء وفي الحقيقة والامر الواقع نحن انما نريد تنمية للغة العربية من شأنها أن تمكن الاجيال الصاعدة من الانعتاق ومن التفتح ومن الشعور بأنها تواكب عالما جديدا هو عالم من واجب جيل الغد ان لا يقتصر فيه على الاستهلاك بل عليه ايضا المساهمة في اثرائه .

ان هذا المنهاج الذي نتحدث عنه قد بدأ الشروع في ممارسته لان الصحف والمجلات منذ ما يزيد عن القرن ثم وسائل الاعلام المصرية اليوم من اذاعة وتلفزة هي دائبة في القيام برسالتها ولا تنفك تقدم للمستهلك من قراء ومستمعين ونظارة مبادئ العلوم المصرية وبذلك ساهمت وتساهم في عملية فتح الاذهان على الاكتشاف العلمى للكون وعلى تنمية ملكة الملاحظة وعلى تعويض مثالية رومانسية بتحليل هادىء للاحداث .

ويكفينى لحوصلة مقالتي ان ابرز ان نمو اللغة العربية يرادف نمو الانسان العربى ضرورة ان محاولة قصر اللغة على ما هو مكتوب قد يعتبر نسيان ان التونسيين احياء وهم يخضعون لسنة الحياة القاضية

بالتحول والتجدد في حركة مستمرة كل يوم وليلة .

وسواء اكانت اللغة التى يتخاطب بها التونسيون تتماشى او لا تتماشى مع قواعد الحسن الكليسيكى وسواء اكانت رائقة بديعة ام لم تكن فتلك اللغة انما هى الحياة ، الحياة التونسية ، الحياة المنبثقة المتنجرة ..

وتلك اللغة التى نكتب وتلك اللغة بها نتكلم تلك اللغة تكشف عما نريد ان نكون ..

فتنمية اللغة العربية تعنى فى نظرى تنمية الحياة . لكن اسمحوا لى بهذين السؤالين :

اذا كان فى الامكان المساهمة فى تنمية الحياة اهن اليسر تقنينها ؟

والمجامع اللغوية التى تبذل جبار الجهود فى تقنين اللغة العربية ما قولها فى الموضوع ؟

المعربُ والدخيلُ ضروريان لإزدهار اللغة

الأستاذ نور الدين صمود

حبشية ، منها : الملائكة ، وجهنم ، والجبت (أى الشيطان أو الساحر) وكلمة المنافقين ، ونطر (أى شق) ، ومشكاة (أى كوة) ، ودرى (أى مضىء) ، وأوبى (أى سبجى) ، وقسورة (أى أسد) ، وأرائك وأخدود ، الخ . الخ .

(2) كما نجد في القرآن أيضا خمسة وعشرين لفظة من اللغة السريانية ، منها : اليم ، وعدن ، وسريا (أى نهرا) ، ورهوا ، (أى سلكتنا دمتا) ، وأسفارا (أى كتب) ، كذلك الكرسي ، والقيوم ، والقمل ، وهيت لك ، واللوح . الخ .

(3) أما اللغة العبرية فاننا نجد من الفاظها في القرآن الكريم سبعة عشر لفظة ، منها : اخلد (أى ركن) ، كفلين (أى ضعفين) ومزقوم (أى مكتوب) . وهدنا (أى تبنا) ، وملكوت ، الخ .

(4) أما اللغة النبطية فتوجد في القرآن من الفاظها احدى عشرة لفظة ، منها : تتبيرا ، ومناص (أى فرار) ، واكواب (أى اكواز) ، وصرهن (أى شققهن) ، وأصرى (أى عهدى) .

ان جميع اللغات المتطورة لا يمكن ان تسلم من ان تدخلها كلمات من لغات أخرى . . . وتلك علامة من علامات تطورها وحياتها ، اذ لو اقتضت اللغة - أية لغة - على الفاظها لتوقفت عن التطور ، ولما كانت جديرة باسم لغة حية . . . ولقد كانت اللغة العربية في عهد حياتها المزدهرة وحيويتها المتدفقة تتأثر بغيرها وتؤثر في غيرها أخذا وعطاء . . . فقد أخذت من لغات الاقوام المجاورين لها ما شاء الله لها ان تأخذ ، فذلك طبيعة الحياة وذلك هو شأن اللغة الحية . . . وقو وقع ذلك في الجاهلية وفي صدر الاسلام . . . أيام نزول الوحي على الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ورغم ان بعض المفسرين للقرآن الكريم يرون أن القرآن لا يشتمل على الفاظ غير عربية صريحة ، فان الباحثين الرصينين قد اثبتوا وجود الفاظ من لغات كثيرة في القرآن الكريم . ولقد كانت للعرب صلات مع الحبشة لذلك كانت هجرة المسلمين الاولى الى بلاد الحبشة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى يثرب (المدينة المنورة) .

(1) ولهذا نجد في القرآن سبعة وثلاثين لفظة

في القرآن ، سوى لفظة تركية : هي غساق (اى بارد منتن) .

(11) وبالإضافة الى ما سبق ذكره من الفاظ نسينا كلامنا الى اصلها اى الى لغتها ، فاننا نجد الفاظا اخرى يصفها علماء اللغة بأنها غير عربية او اعجمية دون تحديد للغة معينة ، وعددها احدى وثلاثون لفظة ، منها : الرس (اى البئر) وسقر (من أسماء نار الآخرة) ، وقرطاسا وسلسبيلا و ابا (اى الحشيش) .

وهكذا فان جملة الالفاظ الدخيلة في القرآن الكريم من لغات الاتوام المعاصرة والمجاورة للعرب او البعيدة عنهم سبعة وخمسون ومائة كلمة (157) تسربت الى العربية من عشر لغات بعضها قريب الاصل من العربية وبعضها بعيد كل البعد عنها .

هناك ملاحظة بدئية منطقية تستنتج مما سبق عرضه ، وهى ان اللغات التى احتك اهلها بالعرب تكثر الفاظها في القرآن ، مثل الفارسية . اما اللغات التى لم يكن لاصحابها احتكاك او اتصال حضارى بالعرب ، فان الفاظها تنس في القرآن الكريم مثل البربرية والتركية ، وهذا سببى مثلما هو الشأن بالنسبة للفرنسية التى تكثر الفاظها في لهجتنا التونسية، ثم تليها الايطالية بحكم مجاورتنا ومعاشتنا لاصحاب هاتين اللغتين .. اما الالفاظ الانجليزية والالمانية فانها اقل من سابقتها بكثير .. وان كانت قد بدأت تكثر في الآونة الاخيرة بحكم النشاط السياحى في تونس .

وهناك ملاحظة اخرى وهى ان ما ذكرناه من الالفاظ الدخيلة في العربية قد استعملت في كتاب الله عز وجل، ولم نورد هنا الالفاظ التى استعملها الكتاب والشعراء ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم ونكتفى بذكر نماذج مما ورد مبدؤا بحرف النون ، منها :

النأى : آلة طرب ينفخ فيها .

النارجيلة : الجوز الهندي وآلة يدخن بها .

تلك نماذج من الالفاظ التى دخلت القرآن من مجموعة اللغات السامية . وهناك الفاظ دخلت القرآن الكريم من المجموعة الهندية الاوربية : اى اليونانية والفارسية والهندية .

(5) فمن الالفاظ اليونانية الموجودة في القرآن الكريم عشر الفاظ ، منها : اقلامهم وقنطار ، والرقيم (اى اللوح او الكتاب او الدواة) ، والفردوس ، وقسط (اى عدل) ، ومرجان ، والصراط ، والقسطاس (اى الميزان او العدل) ، الخ الخ .

(6) اما الفارسية ، ففى القرآن الكريم من كلماتها عشرون كلمة ، منها على سبيل المثال : دينار ، وكز ، وتنور ، وسجيل ، وسندس ، ومقاليد ، وبرزخ ، وياقوت ، وباريق ، وزنجبيل ، وكورت (اى غورت) ، ومسك ، واستبرق ، والسجل ، الخ .

(7) ما الكلمات التى هى من اصل هندي والداخله في القرآن الكريم فعددها اثنتان : ابلمى (بمعنى اشربى) وطوبى : (اسم للجنة) .

(8) اما الالفاظ المنسوبة الى المجموعة الحامية : اى البربرية والقبطية والزنجية .

فمن البربرية لغة شمال افريقية ، ثلاث كلمات، هى : اناه (اى نضجه) في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه » (اى غير منتظرين نضجه) وكلمة يصهر (بمعنى ينضج) ، والمهل (وهو عكر الزيت) .

(9) ومن القبطية توجد في القرآن الكريم ست كلمات ، منها : بطائنها : (اى ظواهرها) ، ومزجاة (اى قليلة) ومتكا (اى الاترح او الترنج) .

وفي القرآن الكريم لفظة واحدة زنجية هى : حصب (اى حطب) .

(10) اما مجموعة اللغات الطورانية فلا نجد من الفاظها

(1) اهتمدنا في ذلك على كتاب التراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين .

من امر فاني لا الح على استعمال كل ما هو دخيل في العربية مثل كلمة (الجرديني) وما جرى مجراها .. فأمر هذه الالفاظ هين يمكن ان يعثر له على نظير في العربية الفصيحة .. ولكن الذي أرى وجوب تعريبه وتبنيه هي الالفاظ التي لا وجود لنظير لها في العربية ويجب ان تؤخذ بحروفها كما تنطق في اللغات الأجنبية لان تعريبها لا يؤدي المعنى المطلوب .. ويكفى ان تكشف غطاء (محرك السيارة) لتري الاشياء التي عليك ان تبحث لها عن أسماء (*) ولا أزعم أن ايجاد أسماء عربية لاجزاء السيارة أمر مستحيل ولكني أعتقد ان امكانية تعريبها أمر ممكن ، كما وقع بالنسبة لمصطلحات الكرة التي صارت وكأنها من وضع الخليل ابن احمد أو ابن منظور ، فهناك : الركنية والتسلل والمهاجم والمرمى وحارسه والهدف .. الخ الخ . ولكن ما الذي جعل هذه الالفاظ مقبولة بعد تعريبها ؟ ! ان الاستعمال هو الذي جعلها حية .. وكثرة التردد هو الذي جعلها مقبولة .. فقد كانت في اول العهد باستعمالها تثير الضحك والسخرية ..

واعود فاقول : ان أسماء اجزاء السيارة يمكن تعريبها ولكن على شرط ان يقع استعمالها باستمرار من قبل الناس جميعا من المشتري لهذه القطع ، ومن بائعها ومن مصلحها ومركبها وصانعها ، الخ الخ . وما لم يحدث ذلك فاني أرى أننا ما دينا مقدمين على الفاظ جديدة غير معروفة ، فانه يحسن — للمحافظة على الامتداد الحضاري — ان يقع أخذ تلك الالفاظ واستعمالها كما هي عند صانعيها .. مع امكانية اخضاع تلك الالفاظ للنطق العربي كما فعل الاجداد مع كلمات الصراط التي لعلها كانت تنطق عند اليونان (سيراتوس) .. الخ الخ .

لقد كانت اللغة العبرية لغة ميتة لا يعرفها الا الربيون في البيع ، ولكنهم صيروها لغة حية يدرسون بها العلوم بشتى فروعها ، وما ذلك الا لانهم أخذوا من اللغات الحية ما يحتاجون اليه من الالفاظ وأخضعوه الى لغتهم وكتبوه بحروفهم . لقد زعموا ان غلاما سأل ابا العلاء المعري ، فقال له : انت القائل :

(*) في المعجم العسكري الموحد أسماء عربية لكل اجزاء السيارة والطيارة والمدفع وغيرها .. (اللسان العربي) .

وبالإضافة الى ما سبق فان الكلمات الدخيلة قد هضمت العربية بعضها وصارت تتصرف في هذا البعض وتصرفه كما هو الشأن بالنسبة لالفاظها الاصلية .. ولكن اشتغى عليها البعض الآخر فبقى جامدا لا يتصرف ولا يستعمل الا في حالة واحدة . فمن المتصرف كلمات مثل : المنافقين : نقول ناسق ينافق نفاقا ، والصراط : طراطى وصراطك ، الخ . وباريق ، ابريق ، الخ ..

واما الكلمات التي لا تتصرف ، فمثالها : طوبى والرقيم والمهل ، الخ .

كما فعلنا نحن في لهجتنا التونسية بالفاظ دخلت الينا من بعض اللغات اللاتينية كقولنا (بلاصتى) و (بلاصتك) ، الخ . وتلفت لك (وتلفت لى) الخ (وروبتى) (وروبتك) الخ .

واذا استطاعت اللغة ان تأخذ الالفاظ من اللغات الاخرى وتخضعها لمتطلباتها فانها لغة حية جديدة بالتطور والبقاء والازدهار .. اما اذا اكتفى أصحابها بالالفاظ التي عرفها آباؤهم واجدادهم وأرادوا ان يعيشوا بها في هذا العصر والمصور القادمة ، فانهم واهمون سادرون في احلامهم لا يفهمون معنى حياة اللغة ..

لقد كان القدماء اجرا منا على الاخذ من اللغات الاخرى وعلى صهر تلك الالفاظ في لغتهم لتصبح منهم واليهم ، ، لقد قرأت مرة في معجم اصدره مكتب تنسيق التعريب فيه قل (بستانى) ولا تقل (جرديني) واصحاب هذا المعجم يعرفون جيدا ان كلمة بستانى فارسية الاصل دخيلة على العربية ، فلماذا لم يرفضوها كما رفضوا كلمة (جرديني) الفرنسية الاصل .. وواضح ان كلمة بستانى قد اكسبها الاستعمال العربي عروبة . اما كلمة جرديني فانها لم ينلها هذا الشرف ، لذلك لم يستسغها مكتب تنسيق التعريب ، ، وانا اتقول لهم : ولكن دعوها — هي وامثالها — تستعمل في العربية عقدا أو عقدين من الزمن وسترون انها لا تقل عن البستانى عروبة وفصاحة .. ومهما يكن

والنانور : سر القربان المقدس ، والصلوات
التي تنلى عليه ، وغطاء أواني القداس (وهما يونانيتين)
وغيرهما ، وغيرهما .

ولا نريد أن نستعرض الكلمات المستحدثة في
هذا الباب مثل : النقابة والنقيب والنسبية ، الخ الخ .

فالكلمات المستحدثة أو التي حولت عن معناها
الأصلى لا تكاد تحصى مثل : الصلاة والزكاة والوضوء ،
والشهادة . فهناك شهادة أن لا اله الا الله وشهادة
التحصيل ، والشهادة الاهلية ، وشهادة التبريز ،
وشهادة الزور ، وشهادة الفقر الخ . الخ . ولو
عرضت هذه الكلمات والكلمات التالية على امرئ
القيس أو احد معاصريه لانكرها ، مثل : القطار ،
والعربة ، والجريدة ، والمجلة ، والرشاش ، والمسدس
والمدفع ، والكشافة ، والجوالة ، والمليون ، والمليار ،
والفلسفة ، والجغرافيا ، والامبريالية والبروليتاريا ،
والديمقراطية ، والبيروقراطية ، والديماغوجية ،
وغيرها من الفصحح والدخيل .

كما لا نريد أن نستعرض الكلمات الدخيلة
المبدوءة ببقية الحروف الهجائية ، فهي كثيرة جدا لا
تكاد تقع تحت حصر . . . ولكننا نكتفى بما أشرنا اليه
أتفا . . . وخاصة بما جاء في القرآن الكريم .

والملاحظ أن كثيرا من الالفاظ الآتية الذكر لم
يستعملها العرب اضطرارا باعتبارها الفاظا لا نظير
لها في العربية ، فمعظمها يمكن أن نجد له بديلا في
اللسان العربي . . . وكان في الامكان أن يقع تجنبها
وذكر ما يقوم مقامها . . . ومعظم هذه الالفاظ شاع
على السنة العرب القدماء حتى صار جزءا من لغتهم
لا يكادون يميزون بينها وبين ما هو أصيل في اللغة
العربية . . .

وبدبهي ان نطق تلك الالفاظ المشار اليها
— وغيرها من الدخيل — مغاير للنطق الاصلى في
اللغات المذكورة ، بل ان الكثير منها — ان لم اقل
كلها — ينطق في لغتها الاصلية بطريقة مغايرة لما
ينطق به عند العرب . . . وهذا أمر طبيعي ، لان نطق
كل لغة يختلف عن نطق اللغات الأخرى . . .

الناننج : من فصيلة البرنتقال .

النرجس : زهر معروف .

نرد : لعبة الطاولة .

النرد : عود يتبخر به .

النموذج والانموذج .

النفير : البوق ينفخ فيه .

النيزك ج نيازك : شعلة كبرى كالرمح وهو
احد أقسام الشهب المتساقطة .

النسرين : ورد ابيض عطري .

النيلوفر : زهور مائية .

والنيروز : اول يوم من أيام السنة الشمسية في
فارس ، (وكلها فارسية) .

والنبراس : المصباح (سريانية) .

نيسان : شهر امريل (سريانية أيضا) .

والناتور : حافظ الكرم والزرع (سريانية أيضا)

الناسور : مرض (يونانية) .

والناموس : جبريل (يونانية أيضا) .

تلك مجموعة من الالفاظ الدخيلة التي عربيها
العرب في مختلف عصورهم القديمة باستعمالهم اياها
في لغتهم وهي من باب حرف النون ، وقد ضربنا صفحا
عن الكلمات المأخوذة عن اللغات الحديثة ، أي التي
لم يعرفها العرب في عهودهم القديمة ، مثل كلمة :
النازية الالمانية والنيلون الانجليزية ، وغيرهما . أو
القديمة غير المستعملة مثل : النانجة : ج نوافج (أي
وعاء المسك) ، والاتجر (ج اتاجر) أي (مرساة
السفينة) ، والنبريج : أنبوب النارجيلة ، والنيل :
نبات يصبغ به أزرق (وكلها فارسية) ، والناددين ،
(نبات طيب الرائحة) .

(1) اعتمدنا في ذلك على (المنجد) في اللغة للاب لويس معلوف .

ولو اننى كنت الاخير زماته *
لات بما لم تستطعه الاوائل ؟

لقد زعمت انك لو عشت الى آخر الزمان لانتيت
بما لم يستطع الاتيان به جميع الاوائل ، فهل تستطيع
ان تزيد حرفا واحدا على الحروف الهجائية العربية
المعروفة .. ؟

وقد زعموا ان المعرى عجز امام هذا السؤال
وقال بعد انصراف ذلك الغلام : ان هذا الفتى لن
يعيش طويلا لان ذكاه سيحرق عقله .. وتزعم
الاسطورة ان الفتى مات وصدقت نبوءة المعرى ..

والحقيقة ان اللغة لا تحتاج الا الى حروفها ما
دامت لا تستعمل الا الفاظها ، اما اذا ارادت ان تواكب
الحياة من حولها فانها ستحتاج حتما الى حروف اخرى
والا فان كتابتها ونطقها لكثير من الكلمات الاجنبية
سيظل تقريبا ولست ادرى كيف غاب عن المعرى ان
يضيف حرفا او اكثر من حرف الى الابجدية العربية
المعروفة في زمانه ، فقد عاصر عدة امم ذات لغات
مختلفة ، ولنا اخبار تؤكد انه سمع اللغة الفارسية
على الاقل وفيها حروف لا توجد في العربية مثل :
الف والـف والـب ، بصرف النظر عن طريقة كتابتها .
واذا كنا نحن في لغتنا الحديثة قد تبيننا هذه الحروف
واصبحنا نستعملها ، فاننا غير جادين
تجاهها وتجاه غيرها من الحروف
التي اخذناها من اللغات الحية ، فلم يقرأ حساب هذه
الحروف في المطابع الحديثة في المشرق والمغرب ، لذلك
ما زلنا نكتب في تونس كلمات : (قراج) بالقاف وكتب
في مصر بالجيم (جراج) وكتب (انريل) بالفاء
و (ستوب) بالباء وقلما نجد مطبعة تستعمل لهذه
الحروف مصطلحات قارة .. فهي غير موحدة في العالم
العربي ، ويطول بنا الحديث لو فصلنا القول في هذا
الموضوع ولكننا نكتفى بهذا التلميح لنعود الى موضوعنا
الاصلى .

ان هذه الحروف التى اقترح الاعتراف بها فى
العربية ضرورية لكتابة كثير من الكلمات التى يمكن
ان تتبناها العربية لذلك يجب توفيرها فى المطابع بجميع
انواعها ، ويجب الاتفاق عليها من قبل جميع الدول
العربية ..

واذا كنا قد لمسنا حاجة لغتنا الى الحروف
(الصوائت) التى لا وجود لها فيها فاننا نلاحظ حاجتنا
الملحة الى الحروف (الصوائت) فى العربية توجد
منها : الضمة والكسرة والفتحة فقط ، وهى الصوائت
القصيرة الى جانب (الصوائت) الطويلة ، وهى :
(الواو والياء والالف) عند ما تكون حروف مد : مثل
(يقول - قيل - قال) فهل نحن لا نحتاج الا الى
هذه الصوائت فى لغتنا العربية دون غيرها ؟

الحقيقة اننا محتاجون الى اكثر من هذه
(الصوائت) الستة ، فهى لا تكاد تؤدي حاجة اللغة
العربية فضلا عن الدخيل ، ويكتفى ان تعرف ان القدماء
كانوا يقولون عن بعض الاعمال المعتلة العين انها
تنطق بالاشمام ، اى بين الضم والكسر مثل : (قيل)
فينطق حرف العلة بين الياء والواو . وما هذه الملاحظة
الطويلة الا لعدم وجود حركة واحدة بين الواو والياء .
وكثيرا ما نحتاج الى هذه الحركة والى امثالها مما
يقاربها .

ونحن نعرف فى العربية (الفتحة القصيرة - اى
النصبة) و (الفتحة الطويلة - اى الالف) تارة
نجدهما مرققتين وتارة اخرى نجدهما
مفخمتين حسب الحرف الذى تليها فاذا قلنا : ح -
ص - ض - ط - ظ - غ - ق - ر - كانت الفتحة
مفخمة مساوية لحرف (A) الفرنسى ، واذا نطقنا
بقية الحروف الهجائية كانت الفتحة مرققة مساوية
للحرف الفرنسى (è) ، وكذلك الامر بالنسبة للفتحة
الطويلة ، اى الالف مع الحروف المذكورة ، فنحن نقول
(خالد صالح راحل ظالم ضائع طالب غافل قاعد)
فان الالف تساوى (A) اما مع بقية الحروف فان
هذه الالف تكون مرققة مساوية للحرف (è) مثل :
بائع - تائب - ثابت - جائر - دائب - ذاهب -
زائل - كامل - لائم - مائع - نائم - عائم - فائق
- سائل - شاهد - واهب - يائس .

لكننا نلاحظ ان معظم هذه الاحرف السابقة تفخم
بعدها النصبة والالف اذا ورد بعدها حرف (الراء)
فنقول : بارت - تارة - ثار - جار - حار - زار -
مار - نار - عار - فار - سار - وقد يقع هذا
التفخيم مع بقية حروف التفخيم الالفنة الذكر .. وقد

(*) صواب البيت الذى يستقيم به السبك هو : وانى وان كنت الاخير زماته .. (اللسان العربى) .

لا تفخم بعض الحروف حتى مع حرف الراء .. وهذا موضوع يحتاج الى كثير من الدراسة والتحري والتدقيق ..

واللغة التي تريد ان تكون لغة حية يجب ان لا تبقى صوائها خاضعة للغرف فنحن نعرف كيف نقرا كلمة (باب) وكلمة (بار) وكلمات : (قال طارق) (وجاء سالم) ولكننا لا ننتبه الى اننا نارة ننطق الالف مفخمة وتارة ننطقها مرقتة وتل مثل ذلك في الفتحة في (طرق) و (اكل) .. ان هذا الفرق لا نشعر به نحن العرب الذين عاشرنا هذه اللغة وعاشرتنا السنوات الطوال ، ولكن الذى يشعر بهذه المشكلة هم الذين يدرسون اللغة العربية من الاجانب ، فهم يدرسون في البداية الفتحة على انها تساوى (ع) مثل : بَ والالف فتحة طويلة تساوى (A) مثل (بار) ولكنهم سرعان ما يجدونها قد اصبحت (A) مثل (قى) و (قَا) .

واذا اردنا نحن ان نكتب كلمة اجنبية لم نسمعنا الفتحة والالف ، فاذا اردنا ان نقول : (مال) (السيارة) فان القارئ سيقرا الالف بعد الميم مرقتة ، واذا اراد احد ان يكتب اسم (شاتو بريون) او (لامرتين) فان العرف هو الذى يجعلنا نفخم الشين واللام في بداية الاسمين ، ولو لم نكن نعرفهما لرتقناهما ولقلنا : شاتوبريون ولامرتين بالترقيق ..

وقد سألنى ذات مرة شخص فقال لى : اتنا ادعى (فلان القرمازى) من صفاتس لكن الناس كلهم يرقنون الميم في اسمى فقلت ويرقنونها في كلمة (صفاتس ايضا) وسيظل في اسمك هذا الاشكال ما لم يخترع العرب حرفا آخر يمثل الالف المفخمة ..

والملاحظ ان بعض بلاد المشرق يفخمون معظم الحروف الهجائية فيقولون (بغداد) و (الزمان) و (الشباب) فياليت شعرى ما الصحيح .. وباليت شعرى متى نظفر بالالف مفخمة نستعملها الى جانب الالف المرقتة وكذلك بفتحة مفخمة واخرى مرقتة ..

ولقائل ان يقول : ان حروف الخاء والراء والصاد والطاء والظاء والنين والقاف هي حروف مفخمة بطبيعتها والحروف الباقية مرقتة بطبيعتها ايضا فنقول له : هي كذلك ولكن يجب ان تكون لنا حركات مبضبوطة ، فاننا نحتاج - عند كتابة كلمة دخيلة او معربة - الى

هذه الحركات .. فقد نرقق حرفا مفخما وقد نفخم حرفا مرقتا .

والملاحظ ان المشاركة اجرا منا في اخذ الالفاظ عن الغرب وعن كثير من اللغات .. فقد قدم لى شخص عراقى نفسه وقال (انه مدير قسم الدراما بالاذاعة العراقية) وهو يقصد قسم التمثيليات ، فالميم في العربية حرف مرقت لكن في كلمة (الدراما) يجب تفخيمه حسب النطق الاجنبى . وقد اضحكنى ادهم لما قرا كلمة (ماما) بالترقيق بينما هي بالتفخيم (اى امى) ، والكلمات التي يجب تفخيم حروفها وهي في الاصل مرقتة ، كثيرة مثل : مالطة ، وباش حانية ، ومدام (اى سيدة) بتفخيم الميم والالف بعد الدال .

وفي مصر ينطقون الحرفين مرقتين (مدام) ونحن نقول : (البنك) (بفتحة مفخمة فوق الباء) وفي مصر يرقنونها ، وكذلك السينما .

لقد اثبتت من البداية اننا في حاجة ملحة الى ان نأخذ ما نحتاج اليه واعيد فالكذ : ان نأخذ ما نحتاج اليه من الكلمات كما فعل اجدادنا العرب في عصر ازدهار لغتهم .. وقد تلت : ان الشرقيين اجرا منا على ادخال الكلمات الاجنبية في كتاباتهم وكلامهم .. وقد يستعملون كلمات اجنبية لا يحتاجون اليها لوجود ما يساويها في اللغة العربية . فبعض قاعات العرض تعلن في الجرائد هكذا : (فلان في برجرام واحد) عوض (شريطان في برنامج واحد) وان كانت كلمة (برنامج) بدورها فارسية الاصل .. لكنها اصبحت عربية بالاقدمية (اما البورجرام) - ولست ادرى كيف اكتب حرف (القاء) فيها - (G D) فهي فرنسية لا يجوز للمحدثين - بل لا يجرا المحدثون - على ادماجها في العربية كما فعل القداماء بكلمة (البرنامج) وبغيرها .

وفي الشرق يقولون ايضا معلنين عن بعض البضائع : (هذا شيك وهذا اشيك منه) .. فقد عربوا هذه الكلمة وتصرفوا فيها وعاملوها بمعاملة الكلمات العربية الفصيحة ، ولو التي احكم نظرة سريعة على الجرائد في الشرق عموما لتبين له مدى اخذهم من اللغات المختلفة .. وحتى من العامية ايضا ، ففي كل قطر عربى كلمات لا نظير لها في العربية الفصيحة ، فاذا اردت ان تكون واتعينا في وصف الاشياء في قصة تونسية صبيحة فبماذا تسمى :

(التبقاب والبلفة والبلوزة والكرون والميدة والبرويطة والزنقة والحلام والطبيخة والشكشوكة والطيبار والديوكة والمقرونة والشكلاطة والبشكوطو ، الخ ..)

إذا كنت من أنصار الفصاحة والصفاء اللغوي فإناك ستمسح الواقع وتجمل بعض شخصيات الرواية يذهب الى السوق وفي يده (سلة) عوض (قفة) ويلبس جبة وحذاء بدل (كرون) و (بلفة) . ويشترى رطلا أو رطلين من اللحم (بدل كيلو لحم) .

والملاحظ أن مقدار الرطل في الشرق يختلف عن الرطل في تونس ، وصدق المثل القائل : (كل بلاد وارطالها) وتجعله يشتري أشياء لها أسماء فصيحة عوض الأشياء التي ليس لها اسم فصيح ، ثم يعود الى المنزل لتطبخ له زوجته أكلة فصيحة - وما أقلها - مثل : الحساء ، أو الشريد ، أو الأرز . أما المقرونة والبرغل والمحمص فلا سبيل الى طبخها عند من يؤمن بالصفاء اللغوي وبعدم ادخال الدخيل ، والعامى في اللغة الفصيحة . ويكون الطبخ في (قدر) عوض (كوكوت) وعلى كانون عوض غاز .

في حين رأينا العرب في عصور ازدهار اللغة العربية قد أخذوا عن الفرس أسماء العشرات من الأكلات كالفالودج واللوزينج والسكياج .. الخ .

ولم يكن العرب يعرفون هذه الأطعمة وطبعا لا يعرفون أسماءها .. وقد رووا أن عليا ابن أبي طالب أطعموه أكلة لذيذة فسأل عن اسمها فقيل له : (الفالودج) ، فقال : وما الفالودج ؟ ، فقيل له : هو طعام المهرجان ، فقال : (أذن مهرجوننا كل يوم) ، ورغم ذلك فإن العرب - في عهود ازدهارهم الحضارى واللغوى كانوا يستعملون هذه الأسماء في كتاباتهم .. ويكفى أن ننظر الى كتاب البخلاء للجاحظ والى غيره لتلمس صدق ذلك .

وأنا أومن بالتوسط ولست مع الشاعر الذى قال :

ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر

فلا أومن بوجود ادخال كل لفظ اجنبى أو عامى

الى اللغة العربية بل يجب أن نأخذ ما تدعو اليه الحاجة الى أخذه لان اللغة كائن حى يجب أن يعبر عن الحياة بشيء كثير من الحيوية والواقعية ، وأن لا نعيش اليوم بأسماء الامس البعيد ..

روى لى الأديب القصاص التونسي البشير خريف قال : ذهبت لاشترى (ثلاجة) فقال لى البائع : هذه (الفريجيدير) تمتاز بكذا ، فقلت له : قل (ثلاجة) عوض (فريجيدير) ، فقال : ان مخترعها سماها (فريجيدير) فلماذا تريد تسميتها (ثلاجة) ؟ فأخترعها أنت وسمها ما شئت . وأنا لست مع هذا البائع في وجوب أخذ جميع الأشياء كما سماها الاجانب بل يجب تعريب ما أمكن تعريبه كالثلاجة والهاتف - وان كانت الاغلبية تستعمل التلفون أكثر من استعمالها للهاتف .

ان اللغة كائن حى لا يستطيع أن ينتظر ما توصى به المجامع اللغوية في تسمية الأشياء أو تعريبها .. فالذين يتحكمون في التطور اللغوى - في معظم الأحيان - هم الصحفيون الذين لا تهملهم صحفهم اليومية ليبرفروا ماذا قال المجمع اللغوى في تسمية (الفيراندة) و (الكوكوت) و (البلكون) وغيرها من الأشياء .

ان العرب - في الجاهلية وفي صدر الاسلام - كانوا يأخذون الأشياء بالاسم الذى وضعه لها صانعوها ، فعند ما جاءهم من فارس (الاستبرق) أخذوه باسمه ولم يحاولوا تعريبه لان صانعيه سموه كذلك وامثال ذلك : (الاستبرق الزبرجد والفيروز والجام) وغيرها كثير .

ولما استورد العرب المرأة من بلاد الروم سألوا عن اسمها فقيل لهم : (سجنجل) فأخذوا هذا الاسم ولكنه لم يشع وقد استعمله امرؤ القيس في معلقته حيث قال :

.....تراثبها مصقولة كالسجنجل

لا ضير على اللغة العربية من الدخيل والمغرب ومن العامى الذى لا مندوحة منه ، ولنا في كتاب الله أسوة حسنة ، فقد سبق أن بينا أن فى القرآن الكريم مائة وسبعة وخمسين لفظة دخيلة كان فى الامكان تجنب الكثير منها بابدالها بما يرادفها فى العربية الفصيحة .. اوليس العرب والمسلمون فى شتى